الشيخ محمد بن يحيى بهران
رحمه الله

ابتسام البرق

شرح منظومة القصص الحق في سيرة خير الخلق

صلى الله عليه وآله وسلم

الطبعة الأولى

يطلب من مؤسسة غمضان التجارية صنعاء، اليمن
صندوق بريد ٤٨٣ - هاتف ٤٦٠

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

شرح قصص الحق

شرح قصص الحق

الشيخ محمد بن يحيى بهران
رحمه الله

ابتسام البرق

شرح منظومة القصص الحق في سيرة خير الخلق

صلى الله عليه وآله وسلم

أنشأها الإمام المتوكل على الله
يحيى شرف الدين
عليه السلام

الطبعة الأولى
سنة ١٣٩٢ هـ سنة ١٩٧٢ م

يطلب من مؤسسة غمضان التجارية صنعاء، اليمن
صندوق بريد ٤٨٣ - هاتف ٤٦٠

تحقيق وتقديم وإشراف
يحيى عبد الكريم الفضيل
سامحه الله

طبع على نفقة السيد العلامة أحمد بن يحيى شرف الدين كوكبان وشركاه

١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤م

الطبعة الأولى

بيروت ـــ لبنان

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتابة عن السيرة النبوية ، كتابة عن المثل العليا للإنسانية في أجلّ صفاتها ، وهي أعلى الصفات الأخلاقية والروحانية ، والعلمية والأدبية ، والكتابة عن السيرة النبوية كتابة عن النموذج الأكمل والأسنى في الحضارة الدنيوية بكل معانيها ، الإجتماعية والعمرانية والسياسية والإقتصادية ، والكتابة عن سيرة خاتم الرسل صفوة الله من خلقه محمد بن عبدالله ﷺ هي كتابة عن الدولة الإسلامية منذ نشأتها الأولى ، بأقوى وأمتن كيان وهي بكافة مقوماتها الاستقلالية والحضارية ، من عدالة إجتماعية وحماية عسكرية حربية ودفاعية ، بإدارة قوية داخلية وخارجية .

بل هي الدولة الإسلامية التي قامت وتقوم على تدريب أبنائها كل أبنائها على الأخلاق والفواضل وعلى الدفاع بكل وسائل القوة الأدبية والحربية لتكون حضارية بأعمالها ، إنسانية بأخلاقها ، مستقلة تحمي كيانها بأبنائها .

ومهما يكن من قدرة أدبية للمؤلفين والمؤرخين فلن يقدر أحد منهم أن يستوعب تحقيق وشرح باب واحد من هذه الأبواب مهما علت كفائتهم وارتفعت قدرتهم وملكتهم في البيان والأسلوب .

ذلك لأنها سياسة إدارية رسمها وخطط لها الحكيم العليم في القرآن الكريم الدستور الدائم للأمة الاسلامية ولقد قال (ما فرطنا في الكتاب من شي. ء)

وكتاب الله دستور الدولة الإسلامية ، ولا خوف عليه من تحريف أو ضياع لأنه محفوظ بعناية من أنزله سبحانه وتعالى القائل (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ؛

إن الكتابة عن السيرة النبوية ، والعناية بأسانيدها الصحيحة ، وطرقها الواضحة الصريحة ، تعني أكثر مما تعني بأنها سيرة أكرم الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ إنها تعني بالنظر لعموم المسلمين أنها دستور حياة أمر بها القرآن الكريم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (ما ءاتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

فالكتابة عن السيرة النبوية تعني تدوين أحكام دستورية من أحكام الشريعة الإسلامية بنص القرآن الكريم (والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى) .

وقد كتب عنها المؤلفون والمؤرخون وهم كثر وكلهم من أولهم إلى آخرهم يجد هذه السيرة النبوية بحر علوم لا ينحسر ، ومعين أحكام لا ينضب ، جواهر أخبارها لا يعلق بها صدى ، ولا يقطعها مدى ، تواترت بها الأخبار ، فحكت عنها الرواة وألوف الأسفار .

فلا يجد المعارض فيها منفذاً لنقده ، ولا يجد المعادي فيها مسلكاً لعناده ، وبالرغم عن كثرة ما كتب المعاندون من المستشرقين وغيرهم لإرادة إيجاد نقطة ضعف ليصبوا عليها حقد قلوبهم ، ويصوّبوا اليها نبال سمومهم وكلما رأوا في خيالاتهم شبهة خفية ، وحاولوا وضع غشاوة من أضاليل افتراءاتهم ، كلما بهرهم سطوع برهان الحق ، وظهور النور الساطع باليقين ، (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

وكلما بهرهم ما في السيرة النبوية والحوادث التي جرت فيها وما فيها من المعجزات الخارقة ، والآيات الواضحة ، رجعوا خائبين خاسئين (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) .

فلهذا كانت دراسة السيرة النبوية ما تزال ضرورية لأتباع الرسالة الخالدة ليعلموا ما يكاد لهم بعد ذلك من ورائهم ويعرفوا كيف يردون أيدي العابثين والماكرين عن شرف رسالتهم وقداسة أمتهم المحمدية على صاحبها وآله أفضل الصلوات والتسليم .

والظاهرة البارزة في الفرق بين كتابة السيرة في القرون السابقة وبين كتابتها اليوم هي أن كتابة الأفاضل ، من العلماء الأوائل ، تعني بالحقائق والواقعية ، دونما حاجة إلى تصنيع في الألفاظ ولا تنسيق في السرد .

لذلك كانت كتابة الأوائل من العلماء أصل كبير يمكن الإعتماد عليه والإستنباط منه لأن الكتابة في اليوم قد أصبحت منمقة بألفاظ والقصد منها إبراز المظاهر والأهداف والنزعات المذهبية .

لهذا نجد علماء الزيدية في مؤلفاتهم لا يطلبون الا الحق ولا يقولون إلا الصدق ولا ينقمون إلا على الباطل من أي مصدر ورد ، فلا انحياز مذهبي ولا إستجداء مادي ولا محاولة فرض رأي على أي أحد من الناس .

والزيدية وإن كان لهم غرض النشر والتوعية فهم لا يغمطون مؤلفات الآخرين ولا ينتقصون رأياً ولا مذهباً من آراء العلماء المجتهدين لأن من أصول قواعد الزيدية أن كل مجتهد مصيب في ما أدى إليه إجتهاد في البحث المنصف عن الحقيقة في أي مسئلة فرعية عملا بقوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمةً فبإذن الله) وقوله ﷺ (من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر) .

أما في مسائل الأصول فإن الحق مع واحد وليس لأي أحد من الطلاب تقليد أي أحد من العلماء في أصول الدين فإن الحق في أصول الدين مع واحد والمخالف يهيم في ضلال مبين .

إذا عرفنا ذلك ، عرفنا قيمة رواية الإمام الأعظم المتوكل على الله (يحيى شرف الدين عليه السلام) إمام الجهاد وا لاجتهاد ، والمرجع لعلماء الإسلام في جميع البلاد ، سيما مع حيازته للسماع والرواية عن الأئمة المجتهدين .

إذا عرفنا كل ذلك، عرفنا أن روايته للسيرة النبوية رواية صحيحة بأعلا أسانيد الصحة وها هو قد سرد جواهر أخبار السيرة في سلك النظام الرائع الفصيح مما يجعل القارىء يبتهج أيما ابتهاج عند قراءته لها ويستمتع بما حوتـــه من جودة النظم وحسن التأليف وبلاغة الخطاب .

وكل ما يلزم من فقه من السيرة النبوية لسيد الخلق قد حواه أو دعا اليه في منظومته (قصص الحق) .

وقد ابتدرها كثير من العلماء الأعلام فألفوا عليها الشروح المستفيضة والتعاليق المفيدة منها شرح المولى الصدر شيخ الاسلام محمد بن يحيى بهران رضي الله عنه وهو ما نقدم له هذه السطور .

في عن ذكر مقدار ما حوته القصيدة من الفصاحة والبلاغة فأمّا لصاحبها من سعة الإطلاع والعلم بالرواية والدراسة فلا بد من إطلاع القارىء على شيء من ترجمته مع ترجمة الشارح رحمهما الله تعالى .

أما الناظم فهو مولانا الإمام المتوكل على الله (يحيى شرف الدين) بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد [1] بن يحيى المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن الأمير الكبير المنصور بالله بن الأمير المجتهد المطلق أبي الأئمة المفضل بن عبد الله الملقب بالحجاج لكثرة حجه ابن الأمير علي بن الأمير الكبير العالم يحيى بن الإمام الأعظم القاسم [2] بن الإمام الداعي إلى الله يوسف [3] بن الإمام المنصور بالله يحيى [4] بن الإمام الناصر للدين أحمد [5] بن الإمام الهادي لدى الله يحيى [6] بن الحسين الحافظ المحدث ابن إمام الأمة وترجمان الأئمة القسم الرسي[7] بن إبراهيم البحر الغمر طباطبا بن إسماعيل الديباج بن الإمام إبراهيم الشبه [8] بن الإمام الحسن [9] المثنى بن الإمام

---

(١) دعوته سنة ٧٩٣ هـ وقد عارضه الامام المنصور علي بن صلاح الدين واستطاع ان يتغلب عليه فسجنه في صنعاء لمدةسبع سنوات اشتغل المهدي عليه السلام في خلالها بتدوين مؤلفاتهالقيمة التي نفع الله بها أكثر من غيرها وكما يقال : رب مضرة نافعة . وبعد خروجه من السجن استمر على دعوته إلى أن توفي ٨٤٠ هـ .

(٢) بيعته بعد قتل المهدي الحسين بن القاسم العياني وبعد موت أبيه المنصور سنة ٤٠٤ هـ .

(٣) بيعته سنة ٣٥٨ هـ. وقيل سنة ٣٦٦ هـ. واستمرت إمامته إلى سنة ٣٨٩ هـ. حين تنازل للإمام القاسم العياني وقيل إلى سنة ٤٠٣ هـ. وموته سنة ٤٠٣ بمدينة صعده .

(٤) دعوته ومبايعته في سنة ٣٢٥ هـ. إلى سنة ٣٦٦ هـ. وقيل إلى سنة ٣٥٨ هـ .

(٥) مبايعته بالامامة سنة ٣٠١ هـ. بعد تنازل أخيه المرتضى ومبايعته له وهو أول إمام استولى على اليمن الكبرى بأكلها ودخل عدن في ثمانين الف فارس .

(٦) مبايعته سنة ٢٨٠ هـ. ولاذ به أهل اليمن المؤمنين بعد أن فشا الفساد واستشرى الشر من الزعماء المتجبرين من المطرفية والقرامطة ودخل صعده وصنعاء ثم رجع إلى الرس فاستنجد به أهل اليمن للمرة الثانية فعاد اليهم وجاهد في الله حق جهاده وكان يقول : « إن هي إلا سيرة علي وإلا فالنار » ومات رحمه الله بصعده ٢٩٨ هـ .

(٧) مبايعته سنة ٢٤٠ هـ. وهو في مدينة الكوفة ثم انتقل إلى الحجاز وسكن جبل الرس وكان إماماً فاضلا وفيه يقول الشاعر :

ولو أنه نادى المنادى بمكة	بخيف منى في من تضم المواسم
من السيد السباق في كل غايــة	لقال جميـع الناس لاشك قاسم

وفاتــه سنة ٢٤٦ هـ .

(٨) سمي الشبه لكثرة شبهه بجده رسول الله (ص) قام بعد البيعة له سنة ١٤٥ هـ. ثم طارده المنصور أبو الدوانيق العباسي ثم ظفر به فحبسه حتى مات في السنة المذكورة .

(٩) كانت المبايعة له وقام ودعا ثم غلبه الوليد بن عبد الملك بن مروان حتى مــات مسموماً، رضوان الله عليه .

الحسن [1] السبط بن أمير المؤمنين أسد الله الغالب علي[2] بن أبي طالب كرم الله وجهه.
هذا نسبه الشريف وهذا حسبه المنيف .

أما مولد ———— ودعوته ———— ووفاته
فهي كما يلي :

ولد عليه السلام يوم ١٥ رمضان سنة ٨٧٧ هـ. في حصن حضور الشيخ [3] من مخاليف صنعا قضا (ثلا) في اليمن الميمون وبين حضور وكوكبان مسافة تقدر بـ ١٠ كلم ، وبين كوكبان وحضور أودية ومزارع (شبام) و (حبابه) .

والدته الشريفة الفاضلة دهما بنت الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي رحمهم الله تعالى وسبب تسميته بالاسمين معاً (يحيى وشرف الدين) كما ورد في ترجمته للمولى العلامة محمد بن محمد زباره في تاريخه (أئمة اليمن) أن والده رأى في المنام أن قائلا يقول له (إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) ورأى غيره من بلده أن قائلا يقول له : بشر ولد المهدي (يعني الأمير شمس الدين) بحدوث ولد له وقل له يسميه شرف الدين ، وبعد ولادته كتب الأبوان إلى الإمام المطهر بن محمد بن سليمان جده من قبل أمه بهذين الخبرين عن الرؤيا فأشار عليهما أن يكون تسميته بالإسمين معاً فعرف بعد ذلك به وقد نشأ في أحضان أبويه وقرأ القرآن الكريم في ذمار وأكمل وهو في ثمان سنوات ثم ارتحل مع والده إلى حصن الظفير ببلاد حجه شمال صنعا فأخذ في فنون العلم وأمعن فيها درساً وتمحيصاً بجد ونشاط وأخذ على العلماء الاعلام في الظفير وصنعا وذمار في جميع العلوم الدينية والأدبية والتاريخية حتى برز في جميعها ولاسيما علوم القرآن الكريم والسنة النبوية وأصول الفقه حتى صار علماً من الأعلام وإماماً كبيراً ومرجعاً في العلوم شهيراً ، ، في الرواية والدراية والقراءة والتفسير والفصاحة والبلاغة مع تحليه بالأخلاق الفاضلة والشجاعة النادرة والكرم

---

(١) هو الامام السبط ريحانة رسول الله (ص) أحد أهل الكساء الخمسة صلوات الله عليهم قام لثمان بقين من شهر رمضان ٤٠ هـ. عقيب دفن أبيه كرم الله وجهه وخلافته ستة أشهر ثم ارتحل إلى المدينة المنورة ومات بها مسموماً سنة ٥٢ هـ. ودفن بالبقيع بجوار أمه بضعة رسول الله فاطمة الزهراء وذلك في بقيع الغرقد صلوات الله عليهم أجمعين .

(٢) هو خليفة رسول الله ووصيه وباب مدينة علمه الامام أبي السبطين ولي كل مؤمن ومؤمنة كرم الله وجهه كانت مبايعته العامة سنة ٣٥ هـ. فقام بها أحسن قيام وكانت سيرته لا تزال مضرب الأمثال حتى قتل في سنة ٤٠ هـ. في مسجد الكوفة صلوات الله عليه .

(٣) يرتفع عن سطح البحر ٢٠٠ كم ويبعد عن صنعاء حوالي ٥٠ كم إلى الشمال الغربي .

الفياض ، أما تقواه [1] وورعه فحدث عن البحر ولا حرج .

وفي سنة ٩١٢ هـ. رشحه أكابر علماء اليمن وعقلائهم ومشايخهم وانتخبوه إماماً شرعياً وبايعوه بالإمامة العظمى فقام بالدعوة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كما يجب ونهض بالإصلاح العام ودعا إلى الجهاد والإجتهاد وأعلن العدل والمساواة بين العباد وقرب العلماء واستشار العقلاء ونعمت البلاد بما أحياه من السنة والعدل وعمر الجوامع والمدارس وأحيا علوم الدين وزجزح أركان البدع وحارب الظالمين وعني بالتربية الدينية والتقاليد الأصيلة فنعمت الأهالي بالأمن والإستقرار والرفاهة حتى صار عهده زهرة العهود ، وسار بالبلاد نحو التقدم والثراء وانتشر العلم واستقام الأمر لكن ذلك لم يرق لأرباب السوء وأصحاب الإستبداد وأعوان الفساد فأوغروا بحيلهم الصدور وشتتو بين أولاده الأمور وأبتلي الإمام عليه السلام فصبر ، وامتحن بكف نظره وقد ترجم له المؤرخون ، وأجمع على فضله أصحاب السير الموالفون والمخالفون

قال شيخ الإسلام محمد الشوكاني في « البدر الطالع » : ولد في ١٥ شهر رمضان الكريم سة ٨٧٧ هجرية بحضور الشيخ وقرأ على جماعة من العلماء منهم عبد الله احمد الشطبي في التذكرة والأزهار وشرحه وفي الخلاصة في علم الكلام وكان ذلك أيام صغره ثم أعاد قراءة التذكرة على الشيخ عبد الله بن يحيى الناظري ثم قرأ على والده شمس الدين بن الإمام، الأول من (المفصل) ثم رحل إلى صنعاء في سنة ٨٩٣ هـ. فتم قراءة (المفصل) على الفقيه العلامة علي صالح العلفي ثم قرأ شرحه على الفقيه العلامة محمد بن إبراهيم الظفاري وقرأ عليه (شرح الكافية والشافية) في الصرف وشرحها و (تلخيص المفتاح والمفتاح للسكاكي) على السيد الهادي إبن محمد الوزير وقرأ عليه (الكشاف ومختصر المنتهى وشرحه العضد) وقرأ في الحديث (شفاء الأوام) و (أصول الأحكام) وبعض (جامع الأصول) علي الإمام محمد علي الوشلي رحمه الله ، وقرأ في كثير من الفنون وبرع في العلوم العقلية والنقلية واشتهر علمه وظهرت نجابته وأكبَّ على نشر العلم .

ثم دعا إلى نفسه في العشر الأولى من شهر جمادى الأول ٩١٢ هـ. وكان في ظفير

---

(١) يروى انه لما رجع إلى صنعاء ٩٣٤ هـ. خرج أولا إلى مقبرة خزيمة فنظر إلى قبور من بداخلها ومن قطن فيها من تلك الأجسام البالية والعظام الفانية لم يملك الإمام نفسه البكاء حتى بكى لبكائه من حضر ورق له من نظر ثم إن الإمام إسترجع واستغفر وحمد الله وشكر ورجع إلى الجامع الكبير فصلى فيه ثم طلع إلى محله في القصر وهو حليف الفكرة نديم الحسرة على تلك الوجوه التي فارقت الأحباب وسكنت اللحود الى اليوم الموعود .

حجه فبايعه العلماء والأكابر وتلقى الدعوة أهل جبال اليمن بالقبول وكانت جهات تهامة واليمن الأسفل إلى السلطان عامر عبد الوهاب وما زالت بينه وبين الإمام محاولات ومصاولات ثم اتفق خروج طايفة من الجراكسة إلى سواحل اليمن سنة ٩٢١ هـ. فكاتبوا السلطان عامر عبد الوهاب أن يعينهم بشيء من الميرة لكونهم خرجوا من الديار المصرية لمقاتلة الإفرنج الذين في البحر يخطفون مراكب المسلمين فامتنع عامر ، ودخلوا بلاده ومعهم البنادق ولم يكن لأهل اليمن بها عهد إذ ذاك فبعث إليهم جيشاً كبيراً من أصحابه وهم في قلة ووقع التلاقي فرمى الجراكسة بالبنادق ولما سمع جيش عامر أصواتها ورأوا القتلى منهم فروا فتبعهم الجراكسة يقتلون كيف يشاؤون ثم فر عامر عبد الوهاب وتتبعوه من مكان إلى مكان حتى وصل إلى قريب من صنعاء فقتلوه [1] ، ثم دخلوا صنعاء ففعلوا أفاعيل منكرة ثم خرجوا قاصدين الإمام فوقع الصلح أنهم يبقون في صنعاء والإمام يبقى في ثلا فاشترطوا ملاقاة الإمام فأشير عليه بعدم ذلك لما عليه الجراكسة من الغدر والمكر فلما علموا ذلك عادوا إلى القتال فلم يظفروا بطائل ثم في خلال ذلك بلغهم قتل السلطان (قانصوه الغوري) على يد ابن عثمان صاحب الروم ، فرجعوا ولكن قد عبثوا في اليمن وقتلوا النفوس واستباحوا الحرمات ونهبوا الأموال . وبعد ذلك دانت صنعاء وبلادها وصعده وبلادها وما بينهما لطاعة الإمام ثم إن الإمام غزى إلى بلاد بني طاهر فافتتح (التعكر) قاهرة تعز وحراز ، ثم عاد سليمان باشا بجند كبير من الأتراك ووصل إلى زبيد وتعز ، ثم استفتح الإمام جازان وبلاد أبي عريش وساير الجهات التهامية إلى أن قال :

ثم حصل بين الإمام وبين ولده المطهر مواحشه واتفقت أمور يطول شرحها ثم قال : واستقر الإمام بكوكبان ثم انتقل إلى الظفير وامتحن بذهاب بصره فصبر واحتسب وأقام لا شغل له بغير الطاعة حتى توفاه الله ليلة الأحد وقت صلوة العشاء الآخرة في ٧ شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ هـ. ودفن بحصن الظفير ومشهده هنالك مزور إلى أن قال العلامة الشوكاني :

وله مؤلفات منها كتاب الأثمار إختصره من الأزهار وجاء بعبارة موجزة نقية

---

(١) قال في غاية الأماني : ومن عجائب الاتفاق وكرامات الأئمة المهلكة لأهل الشقاق ان قصة عامر معهم – يعني الجراكسة – كقصة الإمام السراجي عليه السلام في ذلك المكان ومثل ذلك اليوم وتلك الساعة فسبحان من لا يزول سلطانه .

شاملة لما في الأزهار وحذف ما فيه من تكرار ، وله شعر جيد منه القصيدة المسماة (قصص الحق) التي مطلعها :

لكم من الحب صافيه ووافيه ... ومن هوى القلب باديه وخافيه

ومن شعره القصيدة التي قالها عند فتح مدينة صعده وزيارة مشهد الإمام الهادي عليه السلام وأولها :

زرناك في سرد الحديد وفي القنا ... والمشرفية والخيول الشزب
وجحافل مثل الجبال تلاطمت ... أمواجهن بكل أصيد أغلب
من كل أبلج من ذؤابة هاشم ... وبكل أروع من سلالة يعرب

إنتهى من البدر الطالع .

وقد ألف بعض المؤرخين كتباً خاصة في سيرة الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين عليه السلام صاحب الترجمة هذه منها (السلوك الذهبية ، خلاصة السيرة اليحيوية) للمولى العلامة محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم علي بن الإمام شرف الدين رحمه الله ومنها (المواهب السنية) للمولى العلامة الحسن بن عبد الرحمن شرف الدين رحمه الله .

كما ترجم له في كتاب غاية الأماني لصاحبه السيد العلامة يحيى بن الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم، بن محمد رحمه الله فقال : وقد استولى على اليمن بأكمله جنوبه وشماله وحتى حدود رمل البصره في العراق من الجهة الشرقية وذكر أنه عسكر الإمام في موضع يعرف بالمصراخ في رمل البصره وأقام فيه مع جنده عشرين يوماً ثم نهض وتردد في تلك الناحية وذلت له الرقاب العاصية . انتهى بايجاز .

قلت وكثير من المدن اليمنية قد أقام فيها الإمام أوزارها بعد مطالبة أهلها لأراضاتهم والتعرف على مشاكلهم والإعانة بسد حاجاتهم ولنشر الوعي الإسلامي الصحيح فيهم ومن هذه المدن والمحلات نجران [1] وبرط ، والمصراخ ، والرملة ، والزاهر ، والجوف ، وصنعاء ، والجراف ، وكوكبان ، وذي مرمر ، وثلا ، وذمار ،

---

(١) عند بقاء الامام في نجران أمر بعمارة مشهد على قبر عبد الله بن ثامر الذي استشهد قبل مبعث النبي (ص) في القصة المشهورة ، واخرجت جثته في ايام الخليفة عمر بن الخطاب ووجد جرحه ينزف دماً اه روح الروح .

وقارن ، وعزان بني عشب ، وكحلان تاج الدين ، وحصن فده ، وحضور شعيب ، وبيت ردم ، ومدع ، وقلعة الأكمة همدان ، وجربان ، وكنن ،والكميم، والمنقب ، والبون ، وعمران ، والسوده والظفير ، وغيرها .

أما الجهات الشمالية الغربية ، فقد زارها ولده عز الدين وبقي فيها ، ومنها جازان ، وأبي عريش ، وأما الجهات الجنوبية والجهات الشرقية ، فقد زارها ولده المطهر ، وبقي في تعز ، وزبيد ، وتهامه وكذلك الجهات الشرقية مثل رداع ، وبيجان ، وما إلى ذلك .

وهكذا فإن وصول الإمام شرف الدين عليه السلام بنفسه إلى كثير من الحصون والمحلات والمدن اليمنية ليدل دلالة قاطعة على مدى اهتمامه وجهاده واختلاطه بأهلها وتعرفه على عاداتها وتقاليدها ومع ذلك أقام فيها شرعة الدين وأحيا نخوة الجهاد والكفاح عند أبنائها في سبل الله والدين والكرامة وقد كان يمدح الأبطال اليمنيين في شعره ونثره ويعلن حبهم والإعتراف لهم منه بحسن الطاعة للشرع الشريف وحسن الإنقيـــاد .

ومن شعره في رسالة بعثَ بها إلى خولان الطيال [1] قوله :

أبلــغ سلامي هداك الله خولانـــا	جزاهم الله بالإحسـان إحسانـــا
أنصـــار دين الهدى والقائمــين لما	قد أنزل الله في معنــاه قرآنـــا
أهل الحميـــة للدين الحنيف فقــد	شادوا لدين الهدى والحق بنيانـــا
هم الأسود إذا صالوا رأيت لهــم	حماهم الله مضرابا ومطعانــــــا
بخٍ لخولان قد أرضا جهادهمــوا	ربَّ العباد بلا شك وأرضانـــا
حــامُوْا على الدين يا خولان لا تهنوا	كونوا على طاعة الرحمــن أعوانا
وأبشروا بالذي ترجونــه عجــلا	نصراً عزيزاً وتمكينــاً ورضوانا
طبتم فطاب لكم أجر الجهاد وقد	فزتم به وعلوتم في الورى شانـــا
ولا نزال لكم ندعوا ونشكركــم	فالله يرعاكموا طُرّاً ويرعـــانـــا
وآخر القول نظمـي مثل أولِــهِ	أبلغ سلامي هداك الله خولانـــا

انتهى من كتاب (أئمة اليمن) للمولى محمد بن محمد زباره رحمه الله .

---

[1] (١) خولان قبيلة كبيرة في اليمن تعرف بخولان الطيال نسبها بعض المؤرخين إلى قضاعه وبعضهم إلى بكيل وهي اليوم أكبر القبائل اليمنية وحدودها ضواحي صنعاء غرباً وعبيدة ومارب شرقاً ، ويقع هذا الاسم على قبيلة أخرى كبيرة في محافظة (صعدة) لواء الشام وتعرف بخولان الشام .

هذا وقد ذكر في كتاب السلوك الذهبية وفي غاية الأماني وغيرهما أنباء توافد علماء الإسلام إليه ومنهم وفود علماء مكة والمدينة المنورة إلى حضرته اهـ وكان من أكابر أعوانه وأنصاره أخوه الأمير علي بن شمس الدين بن الإمام المهدي عليهم السلام المتوفي سنة ٩٢٧ هـ. وقد رثاه القاضي العلامة محمد بن يحي بهران رحمه الله بقصيدة وفيها بعض صفاته منها قوله :

بَرٌّ تقــي فاضــل ورع	حليفه الذكر والآيات والسور
ما زال يحتقر الدنيا وزهرتهــا	حتى تساوى لديه الدر والحجر
لا فارقت رحمة الباري لمضجعه	ولا عداه ملث القطر منهمــر

وأجمعت التراجم المحررة له من أكابر العلماء أن الإمام عليه السلام في طول مدة عهده الميمون كان في الجهاد صابراً ، وعلى الإصلاح مثابراً ، مجاهداً في سبيل الله يقارع الأبطال ، وينازل الأخطار ، ويباشر المعارك بنفسه وبيده الشريفة وكان بالإصلاح العام يحيي الشريعة المطهرة في قلوب أهل اليمن وغيرهم حتى أصبح الدين في عهده قوياً ، والإسلام ظافراً ، فالمدارس معمورة بالعلماء ، والمساكن مغمورة بالخيرات ، مع سعادة طالعه ، وسلامة طويته ، حتى استقرت الأحوال وهدأت الحروب وبلغ الحال حداً أدى إلى إظهار الإمام تعجبه من صلاح البلاد وتعاقب النصر في الجهاد

فإنه إذ يحمد الله عليه فهو يخاف من أن يكون ذلك من الله إملاءاً لأنه لم يعهد لأسلافه من الأئمة والخلفاء الراشدين ومنهم أباؤه السالفون ما صفت لهم الدنيا ، ولا لذ لهم مركبها الوعر ، بحال من الأحوال ، وكانوا في الشدايد عائشين ، وبالجهاد والإجتهاد قائمين ، يطلبون السعادة ، من خلال الفوز بالشهادة ، أما هو فهو يسأل نفسه لماذا كل هذه الراحة التي لا كدر يذكر معها .

لكن : سرعان ما وضح لديه الأمر فكادت له الشدايد وتعاقبت عليه المصايب واحدة تلو أخرى وكان أولها موت ولده عبد القيوم في يوم زفافه لختم القرآن الكريم . فما كان من الإمام إلا أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وصبر واحتسب . **ومن الحوادث** المحزنة انشقاق عصا الإتفاق بين ولديه المطهر وشمس الدين **ومنها** أنه حين تقدمت به السن وضعفت قدرته الجسدية إبتلاه الله بفقد بصره ونال بسبب ذلك من البلاء ما لم ينله أحد من الخلفاء من قبله فكان أن حمد الله وشكره حق شكره . **وانتهى الحال** إلى أنه لم يسعه مع ذلك إلا أن أعلن لأهل الحل والعقد من علماء ورجالات اليمن

مخبراً بتنازله عن الخلافة الإسلامية والإمامة الشرعية جاعلاً مسؤولية الإستخلاف بعده إليهم [1] . ومن رسائله المشهورة في هذا الصدد رسالته إلى علماء صعده يشير عليهم بإختيار السيد العلامة أحمد بن عز الدين المويدي أو السيد العلامة بدر الدين بن محمد بن يحيى بن أحمد عز الدين وأشارهم بمبايعة أحدهما وأفادهم بأن تنازله عن الخلافة ضرورية لعدم تمكنه من القيام التام بمسؤوليتها سيما مع فقده لبصره ، فأجابو عليه أولاً :

أنه لا يمكن نصب إمام مع وجوده وإنه وإن ذهب بصره ففيه الكفاية من الخير والصلاح وله من التدبير وحسن البصيرة ما لم يكن في غيره من أهل العصر .

فعاد جواب الإمام شرف الدين عليه السلام بأن تنازله كان رأياً نهائياً وألزمهم الحجة عند الله سبحانه .

وعند ذلك رجح علماء صعده مبايعة الإمام أحمد بن عز الدين وأجابوا على الإمام فشكرهم واستحسن ما فعلوه . إنتهى من تاريخ غاية الأماني وكتاب التحف .

ثم إن الأمير المطهر بن الإمام شرف الدين والأمير شمس الدين التقيا في سنة ٩٦٢هـ. بعد الاختلاف بينهما التقيا في محل يقال له الرُّغَيْل من مخلاف مسور واصطلحا وسكن الخلاف فعاد بعدها الأمير شمس الدين حتّى وصل إلى براش في بلاد الطويلة لطيافه بلاده وفيها مرض . ثم توفي في شهر صفر سنة ٩٦٣ هـ. ونقل جثمانه الطاهر

---

(١) تأمل كيف إنصاف الإمام شرف الدين في تنازله لأهل الحل والعقد ومنهم العلماء ليختاروا للأمامة من يصلح لها ولهم وفي ذلك نفي التهمة بحب توجيه الناس إلى اولاده كما غلط بعض المعاصرين ومن هو الإمام ومن هم اولاده الذين كانوا في مقدمة صفوف الجهاد واول من يبارز الأنداد ويقارع الأبطال في جميع مراحل النضال الطويل فولاية الإمام كانت جهداً عليه وعلى أولاده لا لهم في عصر كان الحكم فيه والسطوة للسيف والرمح وكان على الإمام نفسه ان يتقدم صفوف إخوانه المجاهدين معه ويثبت ثبات الجبال تجاه السيوف والرماح والنبال التي تنهال عليه من خصومه اعداء الدين وكان عليه ان يجندل بيمينه مباشرة وبسيفه كبار الأشداء من قادة الأعداء في براز ليست الغلبة فيه مأمونة ولكنه : الإيمان وقوة الجأش والبرهان .

والفرق بين ما عليه الناس والقادة في عصره وبين ما عليه الناس والقادة في عصرنا ونحن على رأس القرن الرابع عشر للهجرة ، الفرق ذلك يختلف اختلافاً بعيداً . فما كانت الإمامة ميسورة ولا محبوبة ما كانت إلا تحمل اعباءواجب ومسؤولية شاقة من اول أعمالها التضحية بالنفس والمالوالولد وناهيكبذلك.

ولقد وهم السيد الأديب المعاصر زيد بن علي الوزير في كتابه(محاولة لفهم المشكلةاليمنية) حين نسب تولية الامام لبعض أولاده بعضاً من أعماله بأن ذلك كما قال : يوحي بحب تسيير الدولة لصالحهم .

والواقع وما ذكرناه يكذب ما استوحاه السيد زيد عفاه الله ولقد اجتمعت به شخصياً وأفادني أنه كان يجهل ما كان من تنازل الإمام شرف الدين عليه السلام،وأنه قد زاده العلم بذلك تمجيداً لشخصية الإمام إلى جانب تمجيده لحكمه والله الموفق .

منْ براش إلى كوكبان وقبره هنالك مشهود مزور رحمه الله تعالى .

وكأن الإمام شرف الدين عليه السلام ما يزال على قيد الحياة في ظفير حجه لا شغل له إلا بالمطالعة والعبادة لله سبحانه وكان يحب ولده الأمير شمس الدين حباً جماً لأنه أصلح أولاده وأبرهم به وأجدرهم بالقيام بأسرته . فكتم أولاده خبر موته عن جدهم الإمام شرف الدين عليه السلام خوفاً على قلبه الرحيم من التصدع بالحزن الشديد مع ما هو عليه من فقد البصر وهموم الغير .

قال في غاية الأماني ما لفظه :

وفي ليلة الأحد سابع شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ هـ . ، مات الإمام الأعظم والطود الشامخ الأشم أمير المؤمنين يحيى شرف الدين بن شمس الدين في حصن الظفير ودفن هنالك في قبته التي بناها بالقرب من قبة جده الإمام المهدي لدين الله احمد بن يحيى عليه السلام ، ثم قال :

ولقد كانت دولة هذا الإمام غرة في وجه الزمان وحسنة لم تسمح بها الأيام إلا في ذلك الأوان ، عمرت فيها ربوع الدين ، وشيدت أركان شريعة سيد المرسلين ﷺ الأكرمين ، وظهر الحق وبسق ، وذهب الباطل وزهق ، ومع هذا فلم ينس نصيبه من الدنيا على الوجه اللايق بحاله المعروف من سيرة أمثاله ، بمثل الترفيه عن النفس والأهل والأولاد والأصحاب والأمجاد والعلماء الأعلام والأعيان الكرام .

ولقد بنى في صنعا والجراف والروضة المباني العجيبة المحفوفة بالبساتين المشتملة على أصناف الأشجار المتدلية بأنواع الثمار ، كما بنى حصن فاضل في أعلى حدة بني شهاب إشتمل على منازل عدة وساحات ممتدة ، ولم يبرح يتنقل في تلك الحدايق والمباني ويفك من أيدي الزمان الأسير والعاني ، ويقصده من العفاة القاصي والداني ، حتى قصدته الأيام بقسط من نوائبها وأجلبت عليه بخيلها وركابها ، إلى أن مضى لسبيله حميداً فقيداً . فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً وعوّضه جنة وحريراً . انتهى

قلت أما شمايل الإمام عليه السلام فقد وصف بأنه كان بهي المنظر ، رَبْعَةً من الرجال ، خفيف الحركة ، أبيض الوجه ، أقنى الأنف ، أنجل العينين ، أجلى الجبهة ، قوي الإرادة ، لطيف المؤانسة ، سريع الذاكرة ، ، جميل المذاكرة ، يعطي كجده رسول الله ﷺ عطاء من لا يخشى الفقر ، يباشر بنفسه النظر في الأمور كلها ، يعطف على الفقراء والضعفاء أكثر من غيرهم ، لا يصبر على ضيم ، ولا يسكت

عن منكر ، إلى غير ذلك من شمائله رحمه الله رحمة واسعة ، وأنعم عليه بالرضوان والنعيم المقيم وأدخله مساكن طيّبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم .

ومن أراد البحث والإستقصاء فعليه بكتاب (المواهب السنية) لمؤلفه المولى العلامة المؤرخ الكبير الحسن بن عبد الرحمن شرف الدين وكتاب (السلوك الذهبية) للمولى العلامة محمد بن إبراهيم بن مفضل شرف الدين .

على أننا نقدر أن نستخلص فنعرف عظمة إصلاحات الإمام عليه السلام ملخصاً في الملحوظات التالية :

١ ــ في نهج العمران وإحياء المعارف والعلوم

من البديهي أن الإمام الذي كان يشتغل بنفسه بتأليف المؤلفات من الكتب الدينية ، والرسائل التوجيهية ، نثراً ونظماً علاوةً على ما عليه من كثرة الأعمال ، ومزاولة الجهاد والإجتهاد، وفي فصل المسائل الخاصة والعامة ، من البديهي أن نعرف بذلك مقدار الإهتمام بنشر العلوم الدينية والدنيوية ، الأدبية والتاريخية ، وغيرها مع قيامه بنفسه بتدريس العلوم ، ورواية الحديث والتفسير ، حتى صار المرجع الأعلى في عصره في علم الرواية والدراية ، فهو شيخ مشايخ العلوم وواسطة عقدها المنظوم .

بلغ قدرة فائقة على الضبط والإدراك ، وعلم الرجال ، فأصبح الإسناد عن طريقه أفضل الأسانيد ، والرواية عن حفظه أعلا الروايات ، وعليه العلماء اليوم ، وفي القرن الرابع عشر للهجرة نجد رواية علماء اليمن وأئمتهم للحديث والتفسير والسير أكثرها عن طريقه ، ويحدثون عن روايته وإجازته ، وقد ألفت المؤلفات في الإسناد إليه كما فعل الشوكاني رحمه الله في (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر) وكما فعل غيره .

وقد قام ببناء المدارس السبع المشهورة إلى يومنا هذا كل منها تدعى (مدرسة الإمام شرف الدين) وكل واحدة منها تحتوي على مسجد واسع للصلاة ، ومقصورة في مؤخرة المسجد للعلماء والمتعلمين ، تدرس فيها العلوم . وفي كل من المدارس مكتبة موقوفة على العلماء والمتعلمين ، مع بناء غرف صغيرة في ساحة المسجد الخارجة عنه تسمى (المنازل) لسكنى المهاجرين من طلبة العلم الشريف وجعل في كل مدرسة من المعلمين ما تحتاج إليه ووقف عليهم ما يغني لمرتباتهم اللازمة .

أما المدارس المذكورة فهي :

أ ــ مدرسة (صنعاء) وتقع في الميدان المجاور لقصر السلاح وكان إسمها

القديم (الأزهر) وكان قبل عمارتها يوجد في الساحة مسجد صغير يقال أنه من بناء الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رحمه الله .

ب - مدرسة (ذمار) : وهي معروفة ويطلق عليها اسم المدرسة وتقع في أحسن موقع من مدينة ذمار .

ج- مدرسة (كوكبان): وتقع على مشارف المدينة في حصن كوكبان من جهة الشمال الغربي .

د - مدرسة (ثلا) : وتقع على مشارف مدينة ثلا في الجهة الجنوبية .

هـ - مدرسة (حجة) : وتقع في منطقة (حوره) إلى الغرب من مدينة حجة وقد بني محلها في عصرنا جامع (حوره) للإمام الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين رحمه الله .

و - مدرسة (السودة) : وتقع في نفس المدينة تحت الحصن .

ز - مدرسة (ظفير حجه) : وتقع في مشارف مدينة الظفير داخل الحصن من الجهة الشرقية وتعرف بالحوطه وتضم هذه الحوطه جامع المدرسة المذكورة ومشهد صغير في قبة قبر فيه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى رحمه الله . وقبة قبر فيها الإمام شرف الدين رحمه الله مع مجموعة كبيرة من أعلام اليمن والجهابذة الأفاضل من المجتهدين والمؤلفين والمذاكرين وغيرهم .

ومن مآثره العمرانية (جامع الجراف) ويروى أنه كان من الإمام استفتاحه بصلاة الجمعة في الجامع المذكور سنة ٩٤٤ هـ .

وله معمورات كثيرة من المساجد والمناهل منها ما عمره إبتداءاً ومنها ما جدّد عمارته كما قام بإحياء كثير من عمْران المحلات والأسواق والطرقات ، وكذلك الأماكن والثكنات والقلاع العسكرية .

وله المعمورات الكثيرة من المدارس المحليّة القبليه والمدنيه تدرس فيها كل العلوم الدينية والأدبية والتاريخية والأصول والفروع والمفهوم والمنطوق والبلاغة والفصاحة والأخلاق والفواضل .

وهو أول من سنّ الجوائز المدرسية بصفة رسمية في الحكومة اليمنية وكان يعطي المتفوق (الناجح) من الطلاب جائزة وبعضهم من أجازه بأن ملأ فمه من العملة الذهبية .

وكان يشجع على التأليف والكتابة في العلوم ولاسيما الدينية . ومن ذلك أن يتلقى المؤلف الواصل به مؤلفه ببالغ التشريف فيأمر الجنود والحاشية الإمامية من العلماء والنضلاء ، وعامة الناس، بأن يشيعوا المؤلف وكتابه المؤلّف من خارج العاصمة إلى القصر الإمامي ، تقديراً لجهوده المبذولة في التأليف وتشجيعاً للعلماء في ذلك كما رواه فضيلة القاضي محمد بن علي الشوكاني (شيخ الإسلام) في ترجمة فضيلة القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران رحمه الله .

٢ – في نهج الإصلاح الزراعي :

لقد كان الإمام شرف الدين نشيطاً في إحياء المزارع والمزارعين وإعانتهم ومساعدتهم كما ساعدهم مع ذلك الحظ والقبول وتواتر الرحمة الإلهية الذي ما بخلت معه السماء فجادت بالأمطار وسالت الأودية بالأنهار .

حتّى أخصبت المزارع والأشجار ، وازدهرت الحدايق والأراضي بالحبوب والثمار ، حتّى عزى ذلك كثير من الناس إلى فضله عند الله وأعتقد أنه بركة دعائه . وضرب المثل بعهده الميمون بين العهود .

٣ – في نهج الدفاع الوطني :

أما في مسألة التجنيد والدفاع ، فقد كان الإمام شرف الدين عليه السلام يعني به أكثر من أي شيء آخر . لذلك استطاع تأليف قوة متكاملة أفرادها كل شباب الشعب اليمني بحيث أنه عند النفير إلى الجهاد يهب كل حامل سلاح في جهة الدفاع . زد على ذلك أنه استطاع أن يجعل سلاح البنادق ميسوراً لكل مقاتل بالرغم من أنه لم يكن في ذلك التاريخ يباع ، وإنما يؤخذ سلباً من الغزاة الجراكسة والأروام الذين لا يوجد إلا معهم فقد كان اليمنيون يجهلونه ولا يعرفون القتال إلا بالسيوف والرماح والرمي بالمنجنيقات .

ثم أن اليمنيين فتحوا مصانع صغيرة لصناعة سلاح البنادق من مصانع يدوية واستطاعوا أن يصنعوا الرصاص المذاب الذي هو ذخيرة وقدروه على أقدار معلومة بمقياس القفلة وكان يقال (بندق عربي أبو خمس قفال) مثلاً أو أربع قفال أو غير ذلك .

وصنعوا البارود في بلادهم وأصبح متكاثراً متيسراً لكل من يريده وكل هذه الأعمال

والصناعات في وقت قصير . لأن اليمنيين أول ما عرفوه مع الجنود الجراكسة الغازين لبلادهم ثم ما لبثوا إلا قليلاً حتى أنتجوه بأيديهم في مصانعهم البدائية وطردوا الغزاة به وبما غنموه منهم . وكل هذا بتشجيع القيادة الإمامية وإرشادها الناس بكيفية التغلب على السلاح وبتأليف المهندسين بالعطاء من بيت المال وتشجيعهم وتقدير إنتاجهم . كما ذلك مشهور من سيرة الإمام عليه السلام .

٤ ـ في نهج العناية بالصحة والبلديات :

لقد شهد المؤرخون أن الإمام شرف الدين عليه السلام كان أكثر الناس رعايةً للأطباء وللطب من أجل الصحة العامة وأنه كان يقدر الأطباء ويستزيد من تفكيرهم وقدراتهم على علاج المرضى وقد حـدث في عهـده أن وقعت الإصابة بمرض (الطاعون) المرض الوبائي الذي أصاب عدة مدن يمنية وقام الإمام بمكافحته بكل الوسائل التي كانت ميسورة في ذلك العهد والعلاجات المعمولة من الأعشاب على أيد الأطباء اليمنيين وكان أكثر ما نصح به الأطباء هو إستعمال قهوة البن ، فكان غرس شجرته في ذلك العهد في جميع اليمن وكان إستعماله مع إستعمال غيره من العلاجات حتى زال الخطر نهائياً من ذلك المرض الذي أهلك في إبتداء أمره آلافاً من اليمنيين . وكان الإمام عليه السلام يأمر بالحجر الصحي عملاً بالحديث الشريف (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع وأنتم في أرض فلا تخرجوا منها فراراً منه) أخرجه السيوطي عن أحمد والبخاري ومسلم والنسأي ورواه النسائي عن أسامه بن زيد رضي الله عنه . أما في البلديات فقد روى المؤرخون أن الإمام أول من قام بإدخال المياه إلى المساجد وأفردها لمحلات خاصة تجدد كل يوم . وأنه سهل مجاري الأنهار إلى صنعاء وبعض القرى اليمنية القريبة منها حتى روي أنه أدخل إلى جراف صنعا سبعة غيول من مختلف الينابيع القريبة والبعيدة وأنه عمّر سور كثير من المدن لحراسة أهلها وللسيطرة على كل من ارتكب جرماً في أي منها جعل لأبوابها حراساً وقرر الإنتخابات لرؤساء البلديات ومن رضيه الأكثر فهو الأصلح ، وحماية للمواطنين من الأوساخ أوجد معامل صابون بأيد يمنية ولما بلغه أن الأهالي يمضغون شجرة القات ويمتصون مائها وأن ذلك ربما كان فيه تخدير أمر بالكف عن القات في جميع اليمن . حتى ظهر أنه لم يكن به بأس وأنه لا يخدر العقل وخال من الكحول وأنه لا يضر إطلاقاً بأي ضرر مباشر رجع عن رأيه فيه .

٥- في نهج التجارة والاقتصاد :

لقد كان الإمام شرف الدين عليه السلام حريصاً كل الحرص على سلامة الصادرات والواردات من التجارة بكل أنواعها وعلى سلامة أهلها والجماعة التي معها وكان يرعى طرقها ويأمر بالمحافظة عليها وتسهيل الزاد والماء والمنافع الأخرى لأهلها لأن طرقها كانت تمر بربوع خالية وصحارى ممتدة والوسيلة الوحيدة للنقل هي الجمال وكان يشدد على كل من يعتدي عليها ويقاتل المعتدين حتى أخلى عصاباتهم اللصوصية عملاً بقوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » .

وبهذه الطريقة وبالسهر والرعاية الكاملة لقوافل التجارة وعدم السماح بأي ترويع أو تثبيط لها أو لأحد من أهلها ، أصبحت (التجارة والاقتصاد) في عهده مزدهرة وأصبحت الحاجات تملؤ الأسواق في كل مدينة وجهة وفي كل سوق من أسواق اليمن.

٦ - ٧- نهجه في الأمور الإدارية الداخلية والخارجية :

إن الأمر الظاهر عندما نقرأ أو نسمع ترجمة الإمام شرف الدين عليه السلام يدلنا بوضوح على مقدار ما أعطاه الله من قوة الإدراك في الرأي وعمق التفكير مع مراعاة الصغير وتقدير الكبير وعلى أن الإمام عليه السلام أبرز السياسة الإسلامية في أحسن مظاهرها الدينية والدولية معاً مع مراعاة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي هي المصدر الوحيد لكل تشريع ولكل إدارة .

وأصبح المواطن في الداخل يتمتع بكل الحقوق مع غيره سواءاً بسواء لا فرق بين عربي وعجمي وسواء كان مسلماً أو غير مسلم بل أن غير المسلم يعتبر مواطناً ذمّياً بمعنى أنه يعفى من دفع ضرايب أمواله (الزكوة) لأن الإسلام لا يقبلها إلا من المسلم ثم إنه يعفى عن التجنيد بل إن الإسلام يأمر بالمحافظة على الذمي في نفسه وأهله وماله وإنه أمام المحاكم مع المسلم على سواء يحكم له أو عليه تماماً كما لو كان المتحاكمان مسلمين بدون فارق فالشريعة القضائية واحدة أضف إلى ذلك أن غير المسلم يقر على شعائره في الكنيسة والذبيحة والنكاح وغيرها .

وهكذا كانت سيرة الإمام عليه السلام مع غير المواطنين أو مع المسلمين غير اليمنيين تماماً كما كانت سياسته ورعايته للمواطنين اليمنيين وكان يطبق الشريعة

الإسلامية في حقوق المسلمين وإعتبارهم أخوةً فمن وصل إلى اليمن من أي بلد في العالم وهو ينتمي إلى المسلمين فله الحق الكامل مثل المواطن اليمني لا فرق فهو يمكث ما يشاء في اليمن ويحترف ما يشاء وله حق الإقامة مع حسن السلوك ، وحتى يندمج مع المواطن اليمني . وكان يقر مبدأ أن الحكومة معنية بحاجة كل من هو تحت رعايتها في جميع بلادها دون تمييز بين إنسان وآخر وحتى خزانة المال اليمنية يطلق عليها إسم (بيت مال المسلمين) عملاً بالسنة النبوية وإشعاراً بالمساواة بين كل الهيئات والأفراد والجماعات لا فضل لأحد من المسلمين على الآخر إلا بالتقوى والعلم قال تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات) وإلا بمقدار التضحية بالجهاد في سبيل الله قال تعالى: (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) .

وهكذا كانت نظرة الإمام في معاملته للدول الإسلامية والدول الصديقة غير الإسلامية عملاً بقولــه تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) إلى آخر الآية سورة الممتحنة وفي معاهداته ومصالحته مع الأعداء ما هو مبسوط في سيرته عليه السلام .

بقي أن نكتب في هذه المقدمة شيء عن أولاد الإمام شرف الدين :

لابراز ما لهم من العلم والجاه والمعرفة، ولمن يريد الإكتفاء عن طلب التواريخ المطولة،فما منهم الا من جلى في حلبة السباق والمجد والجهاد جاعلا العلم حرفته والخلق الكريم ديدنه والجهاد في الله سبيله .

أكبر أولاد الإمام شرف الدين :

هو ولده **(الإمام الناصر سيف الإسلام المطهر بن الإمام)** مولده في شهر رجب سنة ٩٠٨ هـ وهو الذي حاز الشهرة وفاق أقرانه في الجهاد ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره حتى أصبح مرموقاً بالعيون يشار إليه بالبنان وزاد من شهرته ما له من الشجاعة الخارقة والقدرة الكبيرة لمنازلة الأعداء بالسيف البتار ثم ما لبث أن خلف والده في الإمامة العظمى بإلتفاف أكثرية الشعب اليمني حوله وبالرغم عن معارضة والده الإمام شرف الدين رضي الله عنه لأنه كان يرى أن المطهر بقلبه الشديد لا يصلح للرعاية العامة ولإختلافه مع أخوته الصناديد،لكن الحق يقال أن شعبية المطهر وحب العامة له وسابقته في الجهاد الذي بهر الأعداء والغزاة وبذله النفس والنفيس مع

اليمنيين في جهاد الباطنية والجراكسة والأروام وسائر الخصال الحميدة هي أهلّته للصدارة . وكان معروفاً بسعة العلم ، وقوة الجأش ، والإطلاع التام على الأمور ، وله قصص نادرة في الجهاد والفدا ومنازلة الأبطال ، والحديث عن ذلك طويل ومشهور [1] .

وقد دعا إلى نفسه وبويع بالخلافة سنة ٩٦٥ هـ وتكنى بالإمام الناصر لدين الله ، واستمر في مزاولة أعمال الإصلاح ومكافحة الغزاة والمحاربين وقمع الظلم ومطاردة العثمانيين الذين كانوا قد استولوا في فترة الخلاف بينه وبين إخوته على كثير من البلاد اليمنية . وقد استطاع أن يخرجهم من آخر مركز لهم وهو (عَدَن) [2] وولّى عليه ، الأمير قاسم الشويع ، وبقي فيه الشويع إلى سنة ٩٧٦ هـ ومن مآثر المطهر في عدَن عمارة الجامع والمنارة التي فيه . وغير ذلك . واستمر على الجهاد إلى أن توفاه الله سنة ٩٨٣ هـ وقبره بجوار (مدرسة الإمام شرف الدين في مدينة ثلا) مشهور ، مزور . رحمه الله تعالى .

---

(١) من ذريته المعاصرين الكثير من الطيب مشاهير العلم وسادات الأدب والحلم منهم بيت (شيبان) ومنهم السيد العلامة محسن بن ناصر بن أحمد وأخيه الأمير يحي بن ناصر بن أحمد بن علي بن يحي بن محمد ابن أحمد بن محمد بن علي بن – علي يحي – بن المطهر بن الإمام .

ومنهم (بيت الكحلاني) ومنهم في ظفير حجة السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن هادي بن شرف الدين بن عبد الرحمن بن أحمد بن هادي بن ابراهيم بن حسن بن عبد الله بن (علي يحي) بن المطهر الإمام .

ومنهم (بيت شرف الدين) : ومنهم السيد العلامة أحمد بن حسين شرف الدين صاحب كتاب (تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن) .

ومنهم (بيت حميد الدين رداع) ومنهم السيد حسن بن علي بن اسماعيل بن علي بن حسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر بن الإمام .

ومنهم (بيت القاره) ومنهم الشاعر المعروف أحمد بن محمد القاره .

ويوجد من أولاد المطهر بن شرف الدين أيضاً جماعة في (تركيا) من أولاد لطف الله بن المطهر وغوث الدين بن المطهر وعلي يحي بن المطهر . وحفظ الله بن المطهر والأربعة الأولاد هؤلاء أخذهم الأتراك من اليمن أسرى حرب سجنوهم حتى الوفاة ، رحمهم الله تعالى ، ولهم أولاد هنالك ، منهم في تاريخ سنة ١٣٨٧هـ سنة ١٩٦٧ م الشيخ محمد كاظم خليفة والشيخ عبد الله شرف الدين وناصر شرف الدين وأحمد بن حسن بن علي وسفري كلج أصلان . وغيرهم ويقدر عددهم اليوم حوالي سبعمائة نفس وقد التحقوا بالجنسية التركية منذ ولادتهم زمن الأسر لآبائهم .

(٢) مدينة على الميناء الجنوبي لليمن وهي اليوم عاصمة الجنوب اليمني واليمنيون ما يزالون يشعرون بوحدتهم ولا يعترفون بالحدود التي تجزئهم إلى شطرين .

ومن أولاد الإمام شرف الدين أيضاً :

الأمير العلامة سيف الإسلام (عبد الله بن شرف الدين) مولده سنة ٩١٣ هـ[١] . نشأ في حجر والده ودرس العلوم وأنفق شبابه في تحقيق مختلف العلوم حتى صار علماً من أعلام الإسلام وفاق أقرانه في علوم الإجتهاد . واستمر على ذلك فجعل الإشتغال بالعلم الشريف في مقدمة أعماله مع إعانته لوالده وأصرَّ على ترك الولاية والإمارة وصرف همته إلى العبادة والزهد سيما بعد موت والده الإمام عليه السلام .

وله مؤلفات : منها شرح قصص الحق وشرح على مقدمة الأثمار في الفروع . وله الشعر العذب الجميل الجذّاب ، بأفصح الكلمات ولطيف العبارات ، فاستحق الصدارة في الأدب ، من ذلك قصيدته إلى أخيه شمس الدين أولها :

خطرت فقل للغصن صلي على النـــبي وبدت فقلنــا للشموس تحجّــب

ومن شعره القصيدة التي مدح بها غصون القات أولها :

أدِرْ غُصونــاً يواقيتاً من القـــات زبرجُديّات أوراقٍ وَريقّات

وفاته رحمه الله سنة ٩٧٣ هـ بمدينة ثلا وقبره في ساحة (مدرسة الإمام شرف الدين) رحمه الله تعالى .

الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين :

ومن أولاده الأمير سيف الإسلام شمس الدين بن الإمام مولده سنة ٩١٤ هـ في مدينة المحابشة في أوائل عهد والده وفي خضم معارك الجهاد . وقد نشأ في حجر الخلافة وتلقى العلوم والآداب في مختلف الفنون على كبار العلماء منهم والده الإمام شرف الدين عليه السلام . وما إن بلغ سن العشرين حتى فاق الأقران ورقا منزلة الأجلاء من آبائه الأبرار واحتذا حذوهم في التمسك بآداب شريعة جده الأمين سيد المرسلين .

وتولى لوالده الولايات الكبيرة وجاهد في الله جهاداً كبيراً ومواقفه الشجاعة مشهورة في فتح جبال حراز وما والاها وفي تعز وزبيد والطويلة والبلاد الكوكبانية بأسرها واستقر أخيراً في كوكبان مع والده وتولى أعمال البلاد الكوكبانية من سواد شبام إلى سواد الشعافلة بأطراف خبت المحويت والشغادرة لذلك كانت البلاد التي

---

(١) من ذريته فضيلة السيد العلامة الاديب محمد بن عبد الله شرف الدين رحمه الله وهو صاحب الأدب الكبير وله ديوان شعر (حكمي) وديوان شعر (حميني) ومحويان أعذب الشعر وأحسنه وأكثر قصائده الحكمية متداولة بين الشعراء والأدباء والشادين والفنانين وذلك لما لأشعاره من لطايف وبدايع مع فصاحة الخطاب وبلاغة التعبير وأما شعره الحميني فانه يفيض أدباً ورقة ولطفاً بألفاظ ومعان تأخذ الألباب .

ثولاها أحسن البلاد نمواً وازدهاراً فاتسعت خيراتها وكثر علماؤها وأدباؤها .

وكان ديوانه في قصره العامر في مدينة كوكبان يستقبل كل يوم وفوداً من العلماء والأدباء والشعراء وكبار الأعيان والمشايخ من جميع البلاد اليمنية .

وكان حائزاً على الحب الكبير من والده لكثرة بره وطاعته وحسن معاملته واقتفائه الشريعة . وتنفيذه أحكامها المطهرة بلطف بالغ وحرص مانع الأمر الذي يرضاه الله والناس .

وربما وقعت بينه وبين أخيه المطهر رضي الله عنهما بعض مشادّة ومشاحنة بسبب أو بآخر مما هو مشهور .

ومن حسن التوفيق أنه وقع بين هذين السيدين الكبيرين في سنة ٩٦٢ هـ لقاء كبير اصطلحا فيه واتفقا وفي سنة ٩٦٣ هـ إختار الله للأمير شمس الدين لقائه وأخفى خبر موته عن والده كما تقدم إشفاقاً عليه رحمه الله تعالى وله من الذرية الكثير الطيب منهم في شبام وكوكبان وصنعاء وغيرها من المدن والقرى اليمنية ، وله من الأولاد المولى صاحب الدولة محمد بن شمس الدين والمولى علي بن شمس الدين والمولى حسن ابن شمس الدين ولكل الثلاثة النسل الكثير ولهذا يعتبر الأمير شمس الدين :من أكثر أولاد الإمام شرف الدين ذرية . ومنهم في القرن الرابع عشر للهجرة :

فضيلة المولى العلامة جمال الدين علي [1] بن حمود بن محمد بن يحيى بن محمد بن

---

(١) مولده سنة ١٣١١ هجرية في حجر والده وعنه أخذ العلم الشريف كما أخذ عن أخيه المولى يحي بن حمود وأخذ عن شيخ الإسلام القاضي علي اليدومي وعن ولده القاضي العلامة عبد الله بن علي اليدومي مدة بقائه مع والده في (خيوان) . وقد برز في جميع العلوم ولا سيما علم الفقه والأصول والفروع وأما عن علم الحديث والسنة فحدث عن البحر ولا حرج فله الأطلاع الكامل على الحديث ورجال الحديث وأمهات المؤلفات في الحديث ومعرفة الصحيح والعليل والحسن والضعيف والرواية والاسناد مع الحفظ والضبط .

ولقد كان مرجعاً لعلماء عصره وقد عكف على تدريس العلم بمدينة الطويلة ردحاً من الزمن وتخرج على يده عدد من العلماء نذكر منهم المولى السيد يحي بن الحسين بن علي بن عبد الكرم والشيخ العلامة حمود بن محمد الشيخ والعلامة جمال الدين علي بن محمود شرف الدين والسيد العلامة أحمد بن علي الكبسي والسيد العلامة علي ابن عبد الله بن عبدالكريم والسيد العلامة حسن بن يحي الماخذي والقاضي العلامة علي الغرسي وولده أحمد ومن تلامذته ولداه العالمان الحسين وشرف الدين وغيرهم .

تولى حكومة قضاء كوكبان بعد وفاة والده ثم تولى إمارة اللوى في محافظة الطويلة ومحافظة المحويت من سنة ١٣٦٧ هـ إلى وفاته في شهر شعبان سنة ١٣٧٠ هـ وقد كان لفقده الأثر العظيم وقبره في حوطة شرقي جامع الطويلة — رحمه الله .

وقد كان بعد توليته الإمارة لم يترك الدرس أو التدريس ولم تشغله أعمال الولاية عن ذلك فقد كان يخصص الوقت من بعد الظهر إلى قيامه لصلاة العصر من كل يوم وقد سمع منه وروى عنه الكثير من العلماء المعاصرين في صنعاء والحديدة وزبيد وشبام وكوكبان والطويلة وغيرها .

عبد الرحمن بن الإمام أحمد [1] بن الأمير الكبير محمد بن الإمام الحسين [2] بن الإمام عبد القادر [3] بن الناصر [4] بن الأمير عبد الرب بن علي بن الأمير شمس الدين

---

(١) قام ودعا للخلافة العظمى سنة ١١٦١ هـ ثم تنازل عنها للقائم بصنعاء واستمر أميراً على البلاد الكوكبانية وحاكماً عاماً بها . ومن ذريته في عصرنا هذا المولى العلامة علي بن أحمد بن علي كوكبان والمولى العلامة عبد الله بن علي بن عبد الكريم والمولى العلامة محمد بن محمد بن عبد الكريم والمولى العلامة محمد بن عبد الله شرف الدين والمولى علي بن محمود شرف الدين والمولى العلامة يحيى بن الحسين بن علي بن عبد الكريم وولده الشاب العالم الأديب أحمد بن يحيى والسيد العلامة أحمد بن عبد الله بن علي بن عبدالكريم شرف الدين واخوته العلماء علي بن عبد الله ومحمد بن عبد الله وشرف الدين بن عبد الله والسيد العلامة محمد بن عبد الرحمن بن أحمد شرف الدين صنعا والسيد العلامة أحمد بن يحيى بن محمد كوكبان والسيد الفاضل عبد الرحمن بن حسن شرف الدين والسيد العلامة الشاب الماجد الكريم محمد بن علي بن أحمد عباس وغيرهم من العلماء والادباء، في القرن الرابع عشر وما فيهم ممن ذكرته الا من عرفته وخبرته فوجدته علماً من الأعلام ومنهم من عرفتهم في درجة الآباء ومنهم في درجة الزملاء الأتراب وكنت مع الزملاء مشاركاً لهم في الأخذ والدراسة العلمية في مدرسة (ثلا) ندرس ونقرأ سوية عن مولانا وشيخنا القاضي العلامة شيخ الإسلام عبد الله بن محمد المجاهد رحمه الله تعالى ، وذلك فيما بين سنة ١٣٥٢ هـ إلى سنة ١٣٥٤ هـ .

وكان معنا جماعة كثيرة من الطلاب من جميع المدن اليمنية وكانت أوقات وأيام جلو وغضة نضرة ومن جملة الطلاب الأخ السيد محمد بن حمود بن علي القاسمي والقاضي العلامة الأديب أحمد بن علي الهيصمي وغيرهم وها أنا أكتب هذه السطور في المقدمة هذه وأنا غريب في بيروت — لبنان لظروف دعت إلى ذلك الاغتراب وأرى كثيراً من زملائي قد تفرقوا واغتربوا ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا أسأل الله العون والمدد والتوفيق والرحمة لنا ولهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات آمين .

(٢) قام ودعا بالخلافة سنة ١٠٩٧ هـ ثم تنازل عنها . ومن ذريته السيد العلامة محمد بن عبدالكريم بن اسمعيل وأخيه علي بن عبد الكريم شرف الدين .

(٣) المولى عبد القادر بن الناصر هو الجامع الأكثر لأولاد الامام شرف الدين في شبام وكوكبان وقد كان نجماً من نجوم العترة النبوية وعلماً من أعلام الأمة اليمنية . قام ودعا للخلافة سنة ١٠٩٠ هـ ثم تنازل عنها .

ومن ذريته من الأشراف المعاصرين في القرن الرابع عشر الهجري السيد العلامة الأديب (عامل صنعاء) الحسين بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابراهيم بن شيخ العلماء وكبيرهم في عصره المولى عبدالقادر بن أحمد بن عبد القادر . ومنهم السيد العلامة الكبير عبد القادر بن عبد الله عبد القادر صنعاء وشقيقي السيد الأخ العلامة علي بن عبد الكريم بن محمد الفضيل بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن يوسف بن أحمد بن علي ابن عبد القادر . والسيد العلامة أحمد بن محمد الدولة المحويث . والسيد العلامة حسين بن علي بن عباس والسيد الوالد الماجد حسن بن علي بن اسماعيل بن علي بن اسماعيل بن علي بن عبد القادر وحفيده الأخ العلامة حسين ابن محمد بن حسن . والسيد العلامة أحمد بن محمد بن أحمد يحيى وغيرهم وكل واحد من هؤلاء ينتمي الى بيت فيه بيوت كثيرة من المعاصرين ومنهم من قد سبق إلى رحمة الله ومنهم من لا يزال على قيد الحياة والجهاد في هذه الحياة .

وما نوهت بذكرهم إلا لأني خالطتهم وعرفتهم وأخذت عن الآباء منهم وزاملت الأبناء في طلب العلم الشريف في شبام لدى القاضي الشيخ العلامة علي بن أحمد الهيصمي رحمه الله . وفي ثلا وفي كوكبان وفي الطويلة وغير ذلك وممن لم أذكرهم الكثير الطيب مما لم يتسع له الا مؤلف شامل مستقل ، ان شاء الله قد دونت بعضها في مذكراتي والله الموفق والمعين .

(٤) من أعلام ذريته المعاصرين السيد العلامة عبد الكريم بن محمد الناصر والسيد محمد بن قاسم الناصر والسيد العلامة الحاكم عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن شرف الدين والسيد العلامة الأديب يحيى بن محمد بن أحمد الفضيل واخوته وغيرهم .

بن الإمام (يحيى شرف الدين) رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن أولاد الإمام شرف الدين :

الأمير عز الدين [1] بن الإمام شرف الدين مولده في سنه ٩١٥ هـ وفي حجر الخلافة نشأ وترعرع وفيها ارتضع لبان العلوم وبرز واجتهد في منطوقها والمفهوم وصار علماً من الأعلام وسيفاً مصلتاً من سيوف الإسلام وتولى بأمر والده عدة قيادات وفتح عدة بلدان وتولى بإمرته لواء الشام وبلاد أبي عريش وجيزان ثم انتقل إلى مدينة ظفار واستقر بها بعد موت والده إلى أن حاصره الاروام وأخذوه أسيراً إلى بلادهم تركيا ومات في الطريق بجزيرة ينبع اليمنية سنة ٩٨٤ هـ .

ومن أولاد الإمام شرف الدين أيضاً :

الأمير سيف الإسلام علي [2] بن الإمام شرف الدين مولده سنة ٩٢٧ هـ وفي حجر والده تربى ونشأ وغذي لبان العلوم والمعارف كإخوته حتى أصبح سيد العلماء وكبير المحققين . قرأ واستجاز عدداً من العلماء الأعلام مع قراءته على والده الإمام وكان شهماً كريماً ورعاً لبيباً .

كما كان شاعراً مفلقاً وفصيحاً بليغاً ومن شعره القصيدة المشهورة التي ينشدها الكثيرون حتى اليوم أولها :

هزوا القـــدود فاخجلوا سمر القنـــا وتقلدوا عوض السيوف الأعينا

وكان المشار إليه بالبنان بعد والده لتولي الخلافة لكنه لم يظهر دعوته وآثر بها أخاه الإمام المطهر لما له من شعبية غامرة وشجاعة نادرة وحنكة مجرّبة .

وتولى لأخيه واستقر في حصن ذي مرمر حتى مات مسموماً في رجب سنة ٩٧٨هـ

---

(١) من اولاده زكي الدين بن عز الدين المتوفى سنة ٩٨٣ هـ .

(٢) من اولاده محي الدين وأبو الغيث بن علي . ومن ذريته المعاصرين بيت الولي وبيت القاسم في شبام وكوكبان وبيت صلاح في هجرة السر بني حشيش وغيرهم .

ومن أولاد الإمام شرف الدين أيضاً :

الأمير الحسن [1] بن الإمام شرف الدين مولده ونشأته في حجر والده الإمام كما أخذ وسمع عنه العلم الشريف وسمع وأخذ ودرس على كثير من العلماء المعاصرين له . وبلغ درجة فائقة في العلم والزهد والورع .وتولى لوالده إدارة بلاد كحلان تاج الدين وما اليها واستمر فيها حتى توفاه الله في سنة ٩٨٣ هـ وقبره وقبر ولده الهادي في حصن كحلان تاج الدين رحمهم الله تعالى .

ومن أولاد الإمام شرف الدين :

الأمير عبد القيوم مولده سنة ٩٣٨ هـ وقد توفي في حياة والده بعد أن صار يُعَد من العلماء رغم أنه غلام يافع ،وفي حفلة أقيمت بإسمه لختمه القرآن الكريم سقط من علا الحصان ومات فرثاه والده الإمام شرف الدين بقصيدة منها :

حمـدت الله ربي يا بُنَيّا ... علـى يـوم نعيت بـه إليا
نفضت حسـاسي والروح لما ... نفضت تراب قبرك من يديا
ولما أن ختمت الذكر حيـا ... قدمت به على الباري صبيـا
وكنا في زفاف الختم نسعـى ... فقـال الرب زفـوه لدّيّا
وكنت قد امتلئتَ من المعـاني ... فلن تترك مـن الإحسان شيّا
وكـانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعـظ منك حيا

رحمهم الله تعالى جميعاً وإيانا والمؤمنين :

ومن أولاد الإمام شرف الدين :

الأمير الحسين بن الإمام شرف الدين : وفاته سنة ٩٨٣ هـ .

---

(١) من اولاده شرف الدين وزين العابدين المتوفى سنة ٩٨٣ هـ. والهادي بن الحسن بن الإمام شرف الدين .

ومن ذريته في عصرنا هذا بيت الكحلاني ومنهم الأخ العلامة المطهر بن يحيى الكحلاني والأخ أحمد ابن يحيى وولده عبد الله بن أحمد بن يحيى بن حسن بن يحيى بن زيد بن محسن بن لطف الله بن علي بن محمد بن علي بن شرف الدين بن الهادي بن الحسن بن الإمام شرف الدين وهو من العلماء النجباء مولده في سنة ١٣٥١ هـ. قرأ على عمه المطهر وعلى القاضي العلامة احمد بن قاسم الشمط الأهنومي وقرأ في صنعا على المولى العلامة أحمد بن علي الكحلاني والقاضي العلامة عبد الله السرحي والقاضي محمد العمراني وغيرهم .

الأمير رضى الدين [1] بن الإمام		وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير عبد التواب [2] بن الإمام		وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير زكريا [3]	«	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير إبراهيم [4]	«	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.
الأمير محيي الدين [5]	«	وفاته سنة ٩٨٣ هـ.

إنتهى المراد مختصراً من ترجمة الإمام شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليهم السلام وترجمه بعض أولاده الكرام وقد سبق في غضون هذه الترجمة ذكر تاريخ وفاته وما نقله المولى العلامة يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن علي رحمه الله في تاريخه غاية الأماني في أخبار القطر اليماني المطبوع سنة ١٣٨٨ هـ .

وفي الختام لا بد وأن أسدي الشكر والثنا العاطر للسيد الولد العلامة أحمد بن يحيى بن الحسين بن علي بن عبدالكريم[6] لما قام ويقوم بهمن الحث والتأييد والمعونة بطبع

---

(١) لم أعرف تاريخ مولده . ومن أولاده : الهادي بن رضى الدين توفى سنة ١٠٠٦ هـ. ومحمد رضي الدين قتل في معركة مع الأروام في الطويلة سنة ٩٧٧ هـ. وقبره في ساحة بجنب حصن الطويله إلى الغرب الجنوبي من مدينة الطريله مشهود مزور .
ومن أولاده أيضاً لطف الله بن رضي الدين وكان متولياً على شبام في سنة ١٠٠٧ هـ .

(٢) كان من المعاونين لابن أخيه الأمير محمد بن شمس الدين ومن أولاده . محمد

(٣) لم أعرف تاريخ مولده ولا وفاته لعدم المصادر الكافية عند كتابة هذه السطور .

(٤) لعله توفى في حياة والده الإمام . وقبره في المشهد جوار جامع المدرسة بصنعاء ، ذكره في غاية الأماني .

(٥) لم أعرف تاريخ مولده ولا وفاته حال تحرير هذا .

(٦) ابن محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبدالرب بن شمس الدين من مواليد سنة ١٣٥٦ هـ. في مدينة كوكبان وقد نشأ في حجر والده على العلم والدراسة وأخذ عنه وعن السيد العلامة محمد بن قاسم الشامي وانتقل إلى صنعاء وأخذ على القاضي اسماعيل العمراني والقاضي عبد الله حميد ثم عاد إلى والده واستمر في الدراسة لديه إلى سنة ١٣٨٢ هـ. وشاء الله ن يفترق للظروف القاهرة إذ ذاك فخرج من كوكبان والتحق بالمجاهدين وتولى القيادة لقضاء كوكبان من جهة الامير سيف الاسلام محمد بن الحسين بن الامام يحي حميد الدين ومن جهة الأمير علي بن إبراهيم حتى أصيب ووقعت المصالحة، وله ملكية أدبية واخلاق نبوية ولم يزل يلازم العلم الشريف والاستزاده منه على شيخه السيد العلامة علي بن عبد الكريم بن محمد الفضيل شرف الدين وغيرهم وتحضرني حال هذا رسالة شعرية أرسلها إلى والده وجواب والده عليها . فمما جاء في رسالته إلى والده قوله :

أعيش ولكن في جحيم معذب ونار النوى تذكي فؤادي وتلهب

إلى آخر الأبيات وقد ذكرتها في مقدمة ديوان : « الأمير الحسين بن عبد القادر » رحمه الله .

هذا الكتاب القيم وغيره مع تحمله أكثر تكاليف الطبع زاد الله في شبابنا المعاصر من أمثاله الذين يحرصون على التراث العلمي للأمة اليمنية وللعالم الإسلامي . فمراجعة التراث الديني واجب مقدس ومراجعة فصول تاريخ أمتنا فرض لازم ليكون قبساً للهداية ومناراً للفوز والرشاد .

وأما مؤلف شرح قصص الحق الذي نقدم له بهذه المقدمة

فهو المولى العلامة القدوة العابد الزاهد المجتهد الورع شيخ الإسلام وكبير العلماء الأعلام محمد بن يحيى بن محمد بهران الزيدي أحد علماء اليمن المشاهير . جاء في البدر الطالع للقاضي العلامة محمد علي الشوكاني قوله : كان في أوائل عمره يتنقل في المداين اليمنية للتجارة ودخل إلى جهة الحبشة وهو مع ذلك يطلب العلم في كل محل يتجر فيه ومن مشاهير مشايخه السيد المرتضى بن قاسم وبرع في جميع الفنون وفاق أقرانه وتفرد برياسة العلم في عصره وصنف التصانيف الحافلة منها في الفقه (شرح الأثمار) للإمام شرف الدين في أربعة مجلدات وفي العربية (التحفه) وفي الأصول (الكافل) وله في المعاني والبيان مصنف ، ومصنف في العروض والقوافي سماه (الشافي) وله (تخريج البحر الزخار) للإمام المهدي و(المعتمد) جمع فيه الأمهات الست ورتبه على أبواب الفقه وله حاشية على الكشاف اختصرها من حاشية العلوي وله التفسير الكبير جمع فيه بين تفسير الزمخشرى وتفسير ابن كثير وقد عمّ النفع بشرحه للأثمار المتقدم ذكره فإنه ذكر فيه دقائق الفقه وحقائقه ما لم يوجد في غيره وذكر الأدلة على مسائله ونقحه أحسن تنقيح ، ويروى أنه لما وصل إلى الإمام شرف الدين مصنف المتن أمر بزفافه بالطبول خانه وطافوا به في المشاهد والمدارس ومعه أعيان العلماء والمتعلمين ، وقيل إنه فعل ذلك في التفسير المذكور ، وله نظم مشهور منه القصيدة التي سلك فيها مسلك الطغرائي في لامية العجم ومطلعها :

الجد في الجد والحرمان في الكسل ... فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

وهي قصيدة فائقة مشتملة على حكم فائقة . ومن نظمه الأبيات التي منها :

سرى وخلى عن مقلة النائم الغمض ... عشية حن الرعد وابتسم الومض

وأسبل جفن الغيم واكف دمعه ... على صحن خد الأفق فاهتزت الأرض

ولاعبة الأغصان وهناً يد الصبا ... فأصبح يحكي السندس الورق الغض

إلى آخرها ومات بصفر سنة ٩٥٧ هـ .

انتهى من البدر الطالع صفحة (٢٧٩) .

هذا وفي إشارة شيخ الإسلام الشوكاني إلى المترجم له بانه تفرد برئاسة العلم في عصره كفاية لمن يريد أن يعرف قدر المترجم له المولى القاضي محمد بن يحيى بهران رحمه الله تعالى على أن ما لم يذكر في مقاله هو الشيء الكثير .

وعلى الجملة فمزايا القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران أكثر من أن توصف ومحامده أكبر من أن تُعرّف . وسيجد القارىء الكريم في شرحه لقصص الحق المقدم له بهذه الكلمة ما يعرف به مقدار سعة إطلاع المؤلف وبعد نظره ومقدار ما يتميز به من اعلان الحق والإنصاف للتاريخ دون أي دافع آخر فلله ما بذل من جهد في إحياء معالم الدين رضي الله عنه وأرضاه وفي مستقر الرحمة مع الأولياء والأتقياء أجزل الله له اكرامه وجزاه .

انتهت المقدمة وهي وإن توسع البحث فيها لا تخلوا عن فائدة مرجوة لأبناءنا الكرام من الشباب اليمني والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين وصحابته الراشدين وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين آمين .

ملحوظة :

ويلاحظ أن تأليف شرح قصص الحق كان في حياة الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام وأن الشارح رحمه الله كان يجيد الثنا عليه كلما ذكره فمثلا يقول :

(قال مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب العالمين يحيى شرف الدين أيده الله بنصره وأمده بمعونته) .

هذه الجملة وأمثالها اختصرناها عند الطبع إلى لفظ : قال الإمام عليه السلام، وكلما أطلق هذا الإسم في جميع الكتاب فالمراد به ناظم القصيدة الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام .

* * *

ويلاحظ أيضاً أنه كان في المستطاع تغيير ترتيب بعض الجمل على بعض لتكون أسهل في الفهم لكن تركناها كما هي في الأصل عملاً بأمانة النقل واحتراماً لحق المؤلف رحمه الله ورضي عنه ليكون ما كتبه باقياً على ما رتّبه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اصطفى سيدنا محمداً من أشرف العناصر ، وفضله على جميع الأوائل والأواخر ، وأنزل مدحه في محكم القرآن المعجز الباهر ، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رغم كل كافر ، فجلا بأنوار هدايته صلوات الله عليه وسلامه ظلم البصائر ، وجاهد في الله حق جهاده بالحجج القاطعة والسيوف البواتر ، حتى ابتهجت مناهج الرشاد لكل رجيم جائر ، واستنارة سبل النجاة لكل حائر ، واستقرت قواعد الدين الحنيف وقرت عيون أهله كما قر عينا بالاياب المسافر ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة الاكابر ، البدور الزواهر ، البحور الزواخر ، الغيوث الهوامر ، الليوث الهواصر ، صلاة وسلاماً دائمين بداوم الله الذي لا منتهى له ولا آخر .

وبعد : فلما كانت القصيدة الفائقة ، الفريدة الرايقة ، الموسومة (قصص الحق في مدح خير الخلق) ، التي انشأها من أنشأه الله للانام رحمة ، وللإسلام عصمة ، وللمهتدين نعمة ، وعلى المعتدين نقمة مولانا شمس فلك الأمة ، وبدر هالة الأئمة ، كاشف الكروب الملمة ، ومجل الخطوب المدلهمة ، منبع العلوم والحكمة ، ومعدن الرأفة والرحمة ، أمير المؤمنين وسيد المسلمين المتوكل على الله رب

العالمين، الإمام يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى عليه وعلى آبائه السلام، لا زالت رايات النصر والإقبال عليه خافقة، ولا برحت نيرات السعادات في آفاق معاليه شارقة، وما فتئت شآبيب النعم على جنابه الكريم مستهلة دافقة، ولا انفكت موبقات النقم بكل من يناوئه ويعاديه حائقة.

لما كانت القصيدة المذكورة [1] مما لم يسبق الى نظم مثلها سابق، ولا يطمع في شق غبار ناظمها رضي الله عنه [2] لاحق، لما تضمنته من أنواع البلاغة القريبة من حد الاعجاز، واشتملت من فنون العلم الشريف مع غاية الإيجاز، أشار أيده الله بنصره الى وضع حواش تفك بعض مقفلاتها، وتبين بعض مجملاتها، ليبرز من أجواف أصدافها لؤلؤها المكنون، ويستوي في التقاط فرائد فوائدها الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فبادرت الى امتثال إشارته الكريمة، ونظمت ذلك في سلك أياديه العميمة، وعلمت أن استيفاء الشرح لما تضمنته من العلوم غير داخل تحت المقدور، وأن المتعرض لذلك كالملقي نفسه في غمرات البحر المسجور، فوضعت عليها حواشي مختصرة، فيها للمغرب تبصرة، وللعارف تذكرة، ونسبت ما أوردته فيها من النقليات الى أصوله حسب الامكان غير ملتزم حكاية الألفاظ ولا مستوف لجميع الاطراف

---

(١) اي قصص الحق.

(٢) في الاصل عزّ نصره لإن التأليف كان في حياة الإمام شرف الدين عليه السلام ولما كان عند الطبع ابدلنا الجملة المذكورة بجملة دعاء مناسب للناظم بعد موته رحمه الله وهي (رضي الله عنه) وذلك في جميع هذا الكتاب.

وإنما أنتزع من كل كلام زبدته وحاصله وألتقط من جوهر كل خبر شفافه وفاضله كل ذلك تنادياً من الإسهاب الممل وتوخياً من الإيجاز غير المخل ، فما أصاب من ذلك شاكلة الصواب فمن الله جل ذكره وبركات مولانا امير المؤمنين عز نصره وما حاد عن الغرض وقصر عن الغاية او حاص[1] فذلك جهد المقل وفي الجهد عاذر ومن الله استمد التوفيق في جميع الموارد والمصادر ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

فصل

في ذكر طرف ممّا يتعلق بعروض القصيدة وقافيتها ورويها

هذه القصيدة الميمونة من النوع الثاني من بحر البسيط عروضها مخبوبة وضربها مقطوع الا البيت الأول منها فان مصرع عروضه وضربه مقطوعان ، والعروض هو الجزء الآخر من المصراع الأول من البيت ،والضرب هو الجزء الآخر من أجزاء البيت ، ووزن هذا النوع من البسيط :

مستفعل فاعل مستفعل فعل .

أربعة أوزان ، وبيته على الدائرة .

يا رب ذي سؤدد قلنا له مرة ** ان المعالي لمن يبغي بناء العلى

لكن هذا النوع من البسيط لم تستعمله العرب في أشعارها إلا نادراً .

---

(١) حاص عنه بمعنى عدل ومال اه .

(٢) هذا اول فصل وقد جعل الشارح لكل فقرة من الكتاب عبارة (فصل) كما هو ملاحظ .

إذ لا تستلذه الاسماع ولا تستروح اليه الطباع ، وأما قافية القصيدة فمتواتر لأن القافية في الاصطلاح على ما ذهب اليه الخليل بن أحمد عبارة عن آخر حرف في البيت الى اول ساكن يليه مع حركة الحرف الذي قبل ذلك الساكن وآخر حروف البيت لا يكون الا ساكناً ، فان كان بينه وبين الساكن الذي قبله أربع حركات، فالقافية متكاوس ، وإن كان بينهما ثلاث حركات فمتراكب ، أو حركتان فمتدارك ، أو حركة واحدة كما في هذه القصيدة فمتواتر ، وإن لم يكن بينهما حركة فمترادف .

وأما روي القصيدة هذه فهو الهاء عند المحققين من علماء الروي ، والياء التي قبلها ردف ، والمدة التي بعد الهاء وصل ، والروي هو الحرف الذي تبتنى عليه القصيدة ، وتنسب اليه ، فيقال قصيدة لامية أو دالية او نحو ذلك ، وحركة الروي تسمى المجرى ، فهذه نبذة يسيرة استحسنت ايرادها ومن أحب استقصاء الكلام على ذلك فليقصد مواضعه [1] موفقاً ان شاء الله .

فصل

في حسن الإبتداء وبراعة الاستهلال

قال الامام عليه السلام في مدح جده سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين :

* (لكم مِنَ الحُبِّ صَافِيهِ ووَافِيْهِ
وَمِن هَوَا القَلْبِ بَادِيْهِ وَخافِيهِ) *

(١) مواضعه في علم العروض والقوافي .

إتفق علماء البلاغة ونوابغها على أنه ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه بحيث يكون أعذب لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأوضح معناً ، وهو: الابتداء ، والتخلص ، والإنتهاء ، وقد جاءت هذه الثلاثة في هذه القصيدة الميمونة على أحسن الوجوه وافضلها ، وأتمها وأكملها ، واذا انضم الى ذلك لحسن الابتداء مناسبة للغرض المقصود الذي سبق له الكلام وأشار اليه سمي ذلك براعة الاستهلال كما في مطلع هذه القصيدة فان فيه إشارة الى ما يجب من اخلاص المحبة لرسول الله ﷺ وذلك مناسب للغرض المقصود من مدحه ﷺ وقد أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أنس قال :« سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وفي رواية للنسائي «من ماله وأهله والناس أجمعين» وأخرج البخاري والنسائي عن أبي هريرة قال : قال ﷺ «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده » وأخرج البخاري عن عبد الله بن هشام قال : « كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر لأنت أحب الي من كل شيء إلا نفسي ، فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك ، فقال عمر فانه الآن لأنت أحب الي من نفسي ، فقال : ألأن يا عمر» .

وفي قوله عليه السلام : صافيه ووافيه جناس غير تام لاختلاف الحرف الأول من الكلمتين فهو نحو قوله تعالى من سبأ بنبأ ، وفي قوله باديه وخافيه مطابقة لما بين البادي والخافي من التقابل وذلك نوع من البديع بديع وقد سلك عليه السلام بالتعبير بالضمائر دون

الظواهر في أوائل هذه القصيدة مذهباً مذهباً لا ينتبه له إلا مثاه وفيه صيانة واحترام للمحبوب عن التصريح باسمه الظاهر مع كون الضمير أخف على اللسان ، وألذ في الأسماع ، وأهز للأعطاف ، وهو يشارك المجاز والكناية فيما لأجله كانا أبلغ من الحقيقة والتصريح ، وهو عن المقصود والإشارة اليه ونحو ذلك ، وقد استعمل عليه السلام في أوائل هذه القصيدة نوعاً من البديع وهو لزوم ما لا يلتزم لانه التزم في تسعة أبيات متوالية ان يكون ما قبل ياء الردف فاءاً .

٢ * (تَحققُوا مِن فؤآدِ الصبِ حُبكُم
فشرحُ ذلك لا يُسْطَاع مِن فِيهِ) *

المعنى أن العبارات وإن اتسعت لا تفي بشرح القليل مما لدي من المحبة لإفراطها وانما يعرف ما في القلب من ذلك بالقلب اذ القلوب شواهد على القلوب ، والصب العاشق المشتاق ، والمراد ها هنا بالحب المحبة شدة ميل الطبع الى المحبوب ، لا ما يذكره أهل الكلام ، من ان المحبة ارادة نفع المحبوب ، ودفع الضرر عنه ، وإضافة حب الى ضمير المخاطبين من إضافة المصدر الى المحبوب أي تحققوا من فؤاد الصب حبه إياكم .

٣ * (أَنْتمْ حُلولُ فؤَادِي وَهْوَ بيتكم
وصاحِب البيتِ أَدرى بالذي فِيهِ[1]) *

---

(١) التضمين للشطر الأخير من البيت قد ورد ايضاً في قول الشاعر :

دَع المذاهب واسع سعي مجتهد — إن شئت مذهب اهل البيت تحويه
هم اوضحوا محكمات الذكر ثم رووا — لما حكوه مين الأخبار من فيه
واعلم بأن حديث القوم متسع — وصاحب البيت أدرى بالذي فيه

قوله وهو بيتكم : تتميم وتأكيد لقوله أنتم حلول فؤادي ، وأما قوله وصاحب البيت الى آخره ، فالأقرب أنه مضمن ، وقد وقع في محله وأصاب محزه وفيه رمز الى أن المادح من أهل بيت الممدوح فهو أعلم بما يليق بحاله من المدح وغيره .

• (قد طارَ روحيَ مَعْكم يَومَ رِحلتِكم
وَذَا تَلافِي فجِدُّوا في تَلاَفيه) * ٤

ذكر مصاحبة الروح للأحبة ، وفراقه صاحبه لفراقهم مما يستعمله البلغاء كثيراً في أشعارهم ومن ذلك قول بعضهم :

جسمي معي غير ان الروح عندكم
فالروح في غربة واالجسم في وطن
فليعجب النـاس مني أن لي بـدنا
لا روح فيه ولي روح بلا بدن

لكن الامام عليه السلام زاد عليهم في ذلك بذكره الطيران وقوله عليه السلام وذا تلا في فجدوا في تلافيه ، مما يلحق بالجناس لما بين لفظ التلاف والتلافي من شبه الاشتقاق والضمير في تلافيه عائد الى الروح .

• (لا طِيبَ للعَيْشِ الا في جِوَاركم
فَقرْبكم لِغرامِ القَلبِ شَافِيـهِ) * ٥

العيش بقاء الحي والغرام أشد الحب وقل ما استعملته العرب ، والضمير في شافيه راجع الى الغرام .

• (يا حَادِياً بالمطَايَا نَحو ذِي سَلَـمِ
يَا مَا أَجلكَ حَالاً إِذْ توَافِيـه) • ٦

الحادي اسم فاعل،حدى الإبل يحدوها اذا ساقها واستحثها بالحداء وهو نوع من نشيد الأعراب تطرب الابل عند سماعه فيزداد سيرها ويهون عليها ما بها من الكلال والإعياء ، قال الزاجر :

فغنهـا وهي لـك الفداء   إن غنـاء الإبل الحداء

وفي الصحيحين عن أنس قال : كان لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره غلام أسود يقال له (أنجشة) وكان يحدو ، فقال له رسول الله ﷺ «ويحك يا أنجشة ارفق بالقوارير» قال أبو قلابة : يعني به النساء .

وفي رواية قال : كان للنبي ﷺ حاد يقال له أنجشة وكان حسن الصوت فقال له رسول اللهرويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير يعني ضعفة النساء .

وروي في غير الصحيحين أنه كان للنبي ﷺ حاديان ، عبد الله ابن رواحة ، كان يحدو بالرجال ، وأنجشة وكان يحدو بالنساء وذلك في بعض أسفار النبي ﷺ . والمطايا جمع مطية وأصلها مطيوه فعيلة من المطو وهو المد لما كانت تمتد في سيرها فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الأولى كماهو حكمها إذا اجتمعتأو سبقت إحداهما بالسكون وأصل مطايا مطايي بيائين، قلبت أولاهما همزة كما هو القياس في ياء فعايل وقلبت الثانية ألفاً للتخفيف فصارت الهمز بين الالفين في الجمع الأقصى فقلبت ياءاً كما هو القياس فصار مطايا، وذو سلم ، موضع على نحو يومين من المدينة الى جهة مكة ، والسلم ، في الأصل شجرة القرظ واحدته سلمة بفتح اللام ، والمنادى محذوف في قوله عليه السلام : يا ما أجلك تقديره يا هذا ما أجلك وما تعجبية وأجل فعل تعجب ،

وفاعله مستتر فيه ، والكاف مفعول وحالا تمييز وإذ ظرف زمان ومعنى توافيه . تلاقية وتصادف من دون ريث [1] والضمير في توافيه عائد الى ذي سلم .

* (بِهِ توافي بِدُوْرِ الحيِّ من ثعـلٍ
بُدُوْرَ تَمٍّ لِنوْرِ البَدْرِ تبخفيْــهِ) * ٧

ألباء في به ظرفيه والضمير راجع إلى ذي سلم والباء في بدور الحي مكسورة ظرفيه ، والحي القبيلة ، وثعل من طي موصوفون بقوة الرمي وقد يكنى بهم عن غيرهم ، وبدور الثانية جمع بدر مضاف الى تم وهو منصوب مفعول لتوافي ، وفاعله ضمير المخاطب ، وفي قوله بدور الحي ، وبدور تم جناس تركيب محرف واللام في لنور البدر ، هي اللام المقوية للفعل عند تقديم مفعوله عليه كما في قولك لزيد ضربت .

* (طارِحْهمُ مِنْ مقالي في صفَاتِهمُ
نظماً يُزيلُ لَظي قلبي ويُطفيِه) * ٨

المفاعلة من الطرح وهو الالقاء تقول طارحت فلاناً الحديث إذا ألقيت اليه شيئاً منه وألقى اليك شيئاً ، ونظما مفعول ثان لطارح وقوله ويطفيه تتميم وتأكيد لقوله يزيل لظى قلبي .

* (وان مَرَرتَ بسَفْحِ الطَّودِ من اضَمٍ
فَالثِم ثَرَى السَّفحَ مُحْياهُ وعَافِيه [2]) * ٩

---

(١) اي دون إبطاء .

(٢) يقال عفا المنزل اي دَرَسَ ويقال عفت عليه الريح اي اهملته وبابه عدا ويقال عفا الشعرَ والنبت اي كثر ومنه قوله تعا (حتى عفوا) اي كثروا والمراد في البيت بقوله عافيه ضد مُحياه كما قال الشارح رحمه الله .

السفح ما انحدر من الجبل والطود الجبل العظيم وإضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة ، جبل ، وقيل موضع على نحو ثلاثة برد من المدينة ، ومحياه إسم مفعول وفي قوله محياه وعافيه مطابقة إذ المراد بالمحيا ما أحيي بالحرث ونحوه وبالعافي مقابله . .

١٠ * (وحين تَبْصُرُ مَصْحُوباً بِعَافية
سلعاً فَسَلْ عن بَوَادِيه بِوَادِيه [(١)]) *

مصحوباً حال من فاعل تبصر وسلعاً مفعول تبصر وهو جبل بمدينة النبي ﷺ وفي قوله عن بواديه بواديه جناس مركب محرف لأن الباء في بواديه الثانية مكسورة ظرفيه بمعنى في قال عليه السلام ، وفي قوله سلعاً فسل عن تجنيس تام معروف وفيما قبله وما بعده من أنواع التجنيس مع حسن السبك وعذوبة السياق والبعد عن التكلف ما يخرج سلعاً فسل عن من الاتباع الى تفريغ الإختراع .

١١ * (عَسَاهُ يَبْدُوْ لَكمُ مِن بَدْوِهِ خِيَمٌ
فَحَبَّذَا فِي بَوَادِيْه بَوَادِيْــــهِ [(٢)]) *

عسى من أفعال المقاربة والأكثر أن يتصل به ضمير مرفوع إما بارز وإما مستتر ،واختلفوا فيما إذا اتصل به ما صورته ضمير منصوب كما في هذا البيت ، فعند سيبويه أنه منصوب وأن عسى في مثل ذلك عملت عمل لعل لما كانت في معناها في الترجي ،

---

(١) بَوَادي الأولى جمع باديَة والها ضمير ، وبِوَادِيْه الثانية جار ومجرور الباء حرف جر ووادي المجرور والها ضمير يعود الى سلع .

(٢) بوادي الاولى جمع بادية اي منازل الأعراب وبوادي الثانية جمع بادية اي ظاهره وفي القرآن (بادي الراي) اي ظاهره وقد فسر . ذلك الشارح بعد هذا .

وعند الأخفش وأتباعه أنه مرفوع وإنما استعير له ضمير النصب وعند المبرد أنه منصوب على أنه خبر عسى وفاعلها مستتر فيها ، وقوله يبدو لكم من بدوه مما يلحق بالجناس لما بين اللفظين من شبه الاشتقاق والبدو مقابل الحضر. والخيم جمع خيمة ، وحبذا من أفعال المديح والمخصوص بالمدح بواديه الثانية ، وهي جمع باد اسم فاعل من بدا ، والمراد بها ما يبدو لعين الناظر من الخيم ونحوها المقصودة بقوله عساه يبدو لكم من بدوه خيم ، وأما بواديه الأولى فجمع باديه التي هي مقابلة الحضر ففي ذكرهما جناس تام مزدوج ،ولا يخفي على من له ذوق سليم وطبع قويم ما اتفق في هذا البيت من عذوبة الألفاظ وانسجامها وجودة المعاني وتمامها على أن أكثر أبيات القصيدة منسوجة على هذا المنوال مفرغة في قالب الكمال ، فما أجدرها بقول من قال :

رقاح سامعها حتى يهزلها من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعر غيرها سمعاً ولا بصراً في طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

* (ماذَا تُحاوِلُ في أرجاءِ كاظِمَةٍ
مِنَ المَغَازِي أَبِنْ لي أَيشَ تَبْغيهِ) *[12]

ماذا بمعنى ما الذي او بمعنى أي شيء [1] ، والمحاولة الطلب والأرجاء الجوانب مفردها رجى مقصور ، وكاظمة اسم موضع ، والمغازي المقاصد ، وأيش أصلها أي شيء فخففت لكثرة الإستعمال بحذف الياء الثانية من أي وحذف ياء شيء وهمزته ثم ركبا في اللفظ والخط على غير قياس .

---

(١) اي إما موصولة ، او موصوفة

١٣ * (صَرِّحْ بِمَغْزَاكَ فِي سَلْعٍ وَفِي إِضَمٍ

فليس عِندَهُما مَعْناً تكَنِّيـهِ) *

المغزي ، المقصد ، وسلع واضم تقدم ذكرهما[1] ، وتكنيه أصله تكنى عنه فضعف للتكثير وأوصل الفعل الى المنصوب المفعول باسقاط حرف الجر كما في قوله تعالى : واختار موسى قومه ، أي من قومه ونحو ذلك .

١٤ * (أَما تَرى مِنهُمَا أنوارَ طَيْبَةَ قَـدْ

عَلَتْ لِنازحٍ رآئِيهَا وَدَانِيـهِ) *

١٥ * (أَنْوارُ مَنْزِلِ مَنْ أَنوَارُ مَنْزِلِه

مِن حَضرةِ القدْسِ لا تنفكُّ تـاتيه) *

طيبة اسم مدينة النبي ﷺ والمراد بالأنوار المذكورة إما حقيقتها كما يحكى عن كثير من الزوار يشاهدون في الليلة التي يدخلون المدينة في صبحتها انواراً تصعد في الأفق من نحو قبة رسول الله ﷺ وذلك غير مستبدع ولا مستبعد في جنب ما خص الله تعالى به حبيبه ونبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من الآيات الباهرة والكرامات الظاهرة ، وإما أن يراد بالانوار ، ما خص الله به المدينة المشرفة من الرونق والبهاء ، والأبهة والسناء ، وهبوط الملائكة المكرمين بأي القرآن المبين ، الذي هو نور للعالمين ، تجلى به القلوب ، وتزول به الكروب .

والقدس ، الطهارة والمراد بحضرة القدس مقر الملائكة المقربين

---

(١) تقدم انهما إسمين لموضعين قرب المدينة المنورة .

المتسمين بالانوار ، المطهرين من الأقذار ، سلام الله ورحمته وبركاته عليهم آناء الليل واطراف النهار ، وفي قوله لنازح رائيها ودانيه مطابقة ، وقوله أنوار منزله من وضع الظاهر موضع الضمير .

* (محمدٌ مصطفي الجبّارِ حجّتـــه
على البرايا وَقَاضِيْهِ وَمُفْتِيْــهِ) * ١٦

حكى النووي في شرح مسلم ، عن أبي بكر ابن العربي في شرحه على الترمذي عن بعضهم أن لله الف إسم وللنبي ﷺ الف اسم ثم ذكر منها بضعة وستين إسماً يقال : رجل محمود ومحمد ، اذا كثرت خصاله المحمودة ، قال ابن فارس وغيره : وبه سمي نبينا ﷺ محمداً وأحمد أي ألهم الله تعالى أهله أن يسموه به لما علم من محمود خصاله ، وقوله مصطفى الجبار ، اشارة إلى الأحاديث الواردة في ذلك .

فعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه ، أخرجه البخاري .

وعن واثلة ابن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم . أخرجه مسلم والترمذي ، وللترمذي في أخرى : ان الله اصطفى من ولد ابراهيم ، إسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة ، وذكر الباقي .

وعن العباس ﷺ قال : « قلت يا رسول الله ان قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في لبوة [1] من الأرض ، فقال ﷺ إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ، ثم خير القبائل ، فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نسباً ، وخيرهم بيتاً » أخرجه البخاري .

وعن المطلب ابن أبي وداعة قال : جاء العباس الى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئاً . فقام النبي ﷺ على المنبر فقال « من أنا ، فقالوا : أنت رسول الله . فقال : أنا محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فريقين ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً » أخرجه الترمذي .

وقوله حجته الى آخر البيت ، اشارة الى نحو قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) الآية والى نحو قوله تعالى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) الآية ، والى نحو قوله تعالى (وأنزلنا الذكر لتبين للناس) الآية .

١٧ * (العاقبُ الحاشِر المختار أحمــد وَ

الذكر المبينِ مزيل النُّكْرَ ماحِيهْ) *

---

(١) اللبوة لغة في النبْوَةِ وهي ما ارتفع من الأرض اه .

عن جبير ابن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ « لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي ، وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً » أخرجه البخاري ومسلم وأخرجه الموطأ مرسلا الى قوله العاقب وأخرجه الترمذي الى قوله « ليس بعده نبي » .

وعن أبي موسى قال : « كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءاً فقال : أنا محمد وأنا أحمد وانا المقتفي ونبي التوبة ونبي الرحمة » أخرجه مسلم ؛ قال النووي وفي حديث آخر « ونبي الملاحم » لانه ﷺ بعث بالقتال ، قال العلماء وانما اقتصر على هذه الأسماء لانه ﷺ له أسماء غيرها كما تقدم لأنها موجودة في الكتب المتقدمة .

وقوله والذكر المبين، إشارة الى قول من يقول الذكر من أسمائه ﷺ ويحمل عليه قول الله تعالى(قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا) الآية لابدال رسول من ذكر والله أعلم .

• (من كان يَخترِق السَّبعَ الطِّباقَ على
الْبراقِ لا شَيءٌ عن مَرْقَاه يثْنِيْهِ) • ١٨

• (حتى يُخصّ بقرب الله خالِقْــهِ
مِن قَابِ قَوْسَين أو أدني ينَادِيهِ) • ١٩

وانما قال عليه السلام من كان يخترق ، ولم يقل من بات يخترق لأن كان إذا وقع خبرها فعلا مضارعاً أفادت تكرره فيما مضى والمختار عنده عليه السلام أن الإسراء كان أكثر من مرة

كما ذهب اليه طائفة من العلماء، قال ابن القسم كان الإسراء بالنبي ﷺ مرتين ، مرة بروحه ومرة بجسده ، وقيل كان ثلاث مرات ، وكذلك قوله فيما سيأتي لأهل كساء كان ياويه ، لأن قصة الكساء وقعت في أوقات واماكن متعددة كما يفهم ذلك من روايات ام سلمة وعائشة ، وواثلة ابن الأسقع وغيرهم ، هكذا ذكره عليه السلام .

وفي حديث الإسراء روايات كثيرة منها ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهم عن أنس عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال :«بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم واليقظان اذ أتاني آت قال : فسمعته يقول:فشق ما بين هذه الى هذه فقلت الى الجارود وهو الى جنبي ما يعني به ، قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته ، فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطشت من ذهب مملوء إيماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل ، وفوق الحمار ، أبيض ، فقال له الجارود:وهو البراق يا أبا حمزة فقال انس: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى وصل الى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا ، قال جبريل ، قال ومن معك قال محمد قيل:أوقد أرسل اليه قال نعم:قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك فسلم عليه وسلمت عليه فرد السلام وقال : مرحبا بالإبن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال:جبريل قال ومن معك . قال : محمد قيل أوقد أرسل اليه قال:نعم قال :مرحبا فنعم المجيء جاء ففتح فلما

خلصت فاذا يحيي وعيسى وهما أبناء خالة ، قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك ، قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؛ قال جبريل قال ومن معك قال محمد ، قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء ، جاء فلما خلصت فإذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد ارسل اليه ، قال نعم ، قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال : هذا هرون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي الى السماء السادسة ، فاستفتح قيل من هذا قال جبريل ، قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك ، فقال ابكي لان غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته اكثر ممن يدخلها من أمتي .

ثم صعد بي الى السماء السابعة، فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه . قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم رفعت الى سدرة المنتهى : فاذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل. فقال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفعت الى البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل ، فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وامتك ، قال ثم فرضت علي الصلاة» الحديث ...

وفي رواية عن أنس ان رسول الله ﷺ قال «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطه في الحلقة التي يربط فيها دواب الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجائني جبريل عليه السلام بإناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء » وذكر نحو الرواية الأولى يزيد وينقص .

تنبيه حكى النووي في شرح مسلم عن القاضي ما لفظه : اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ فقيل كان جميع ذلك في المنام، والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها الا لدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل انتهى .

قـال النووي : ـ وأما قول بوأب السماء وقد بعث اليه فمراده وقد بعث اليه للإسراء وصعود السماوات وليس مراده الإستفهام عن أمر البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة وقال في سدرة المنتهى:قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم:سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ وحكي عن القاضي عياض قال واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء فانكرته عائشة ، وجاء مثله عن أبي هريرة وجماعته وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين قـال : وكـذلك اختلفوا في أن نبينا محمداً ﷺ كلم ربه سبحانه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا قال وكذلك اختلفوا في قوله تعالى ثم دنا فتدلى فالاكثرون على أن هذا الدنو والتدلي ينقسم ما بين جبريل والنبي ﷺ أو مختص بأحدهمامن الآخرأومن سدرةالمنتهى ، وذكر عن ابن عباس ومحمدابن كعب والحسن ، وجعفر ابن محمد ، وغيرهم أنه دنو من النبي ﷺ الى ربهسبحانه وتعالى ومن الله تعالى ،وعلى هذا يكون الدنو والتدلي متأولا وليس على وجهه كما قال جعفر ابن محمد الدنو من الله لا حد له ، ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي ﷺ من ربه سبحانه وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه عن غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له إظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تبارك وتعالى(فكان قاب قوسين أو أدنى) على هذا عبارة عن لطف المحل واتضاح المعرفة والإشراف

على الحقيقة من نبينا ﷺ ، وكان من الله عز وجل على إجابة الرغبة وإبانة المنزلة ويتأول في ذلك ما يتأول في قوله ﷺ عن ربه عز وجل « من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً » الحديث هذا آخر كلام القاضي .

قلت .. والذي في جامع الأصول عن ابن مسعود في قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) وفي قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) وفي قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال فيها كلها رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح زاد في روايته ، في قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) رأى جبريل في صورته ، كذا عند مسلم ، وعند البخاري، في قوله تعالى(فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى)، قال رأى جبريل عليه السلام بستمائة جناح ، وفي رواية الترمذي، قال(ما كذب الفؤاد ما رأى) قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماء والأرض ، وللبخاري والترمذي في قوله(لقد رأى من آيات ربه الكبرى)رأى رفرفاً أخضراً سد أفق السماء .

وعن ابن عباس ، (ما كذب الفؤاد ما رأى : ولقد رآه نزلة أخرى) . قال رآه بفؤاده مرتين وفي رواية . قال رآه بقلبه ، هذه رواية مسلم وعن أبي هريرة قال : ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل عليه السلام أخرجه مسلم ، وعن مسروق قال : قلت لعائشة يا أمتاه هل رأى محمد ربه . فقالت«لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب . من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو

يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب أو يرسل رسولا) ومن حدثك انه يعلم ما في غد، فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم شيئاً فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك) الآية ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين» وفي رواية قال : قلت لعائشة فأين قوله : (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) فقالت ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صوره وانه آتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق ؛ وفي رواية ان مسروقاً قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت وما هن قالت : من يزعم ان محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : انا أول من سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال«انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها إلا هاتين المرتين ورأيته منهبطاً من السماء ساداً بعظم خلقته ما بين السماء الى الأرض»الى آخر الحديث أخرجه البخاري ومسلم انتهى ؛

وحكى الإمام عليه السلام عن السدي قال : فرضت على رسول الله ﷺ الصلوات الخمس ببيت المقدس ليلة أسري به قبل مهاجرته بستة عشر شهراً فعلى هذا يكون الإسراء في ذي القعدة ، وقال الزهري أسري برسول الله ﷺ قبل خروجه المدينة بسنة فعلى هذا يكون الإسراء في ربيع الأول ، وجاء في حديث ضعيف أن الإسرى كان في ليلة السابع والعشرين من رجب واختاره الحافظ

عبد الغني المقدسي [1] .

٢٠ * (مَنْ كانَ في الكَوْنِ قَبْلَ الكَوْن صَوَّرَه
مِنْ نُورِهِ اللهُ حَظّاً مِنه يُوْلِيـــــــهِ) *

٢١ * (ذا سَيِّد الخمسةِ الأَشْبَاحِ مَا بَرِحَتْ
يَدُ العِنَــايَةِ في الأَكْوَانِ تُعْلِيْـــهِ) *

قال الإمام عليه السلام ، روي عن النبي ﷺ انه قال : « كنت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في طينته » في احكام ابن القطان . عن علي ابن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام ، أن النبي ﷺ قال : « كنت نورا بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر الف عام » وأخرج ابن سعد عن قتادة عنه ﷺ قال : « كنت اول الأنبياء في الخلق وآخر هم في البعث » انتهى .

وعــــن .. ابي هريرة قال : قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ، قال : « وآدم بين الروح والجسد » . وروى السيد ابو طالب باسناده عن جويبر عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ انه قال : « لما أمر الله آدم بالخروج من الجنة رفع طرفه نحو السماء فرأى خمسة أشباح عن يمين العرش ، قال : الهي خلقت خلقا قبلي فأوحى الله اليه أما تنظر الى هذه الأشباح قال : بلى ، قال : هذه الصفوة من نوري اشتققت أسمائهم من اسمي فانا الله المحمود وهذا محمد وانا العالي وهذا علي وانا الفاطر وهذه

---

(١) وعليه أكثر المسلمين اليوم يحتفلون بذكرى المعراج في ليلة سابع وعشرين من رجب اهـ .

فاطمة وانا المحسن وهـذا الحسن ولي الاسماء الحسنى وهـذا الحسين . فقال آدم : بحقهم اغفر لي . فأوحى الله اليه قد غفرت لك وهذه الأسماء هي التي قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) انتهى بلفظه من محاسن الأزهار للفقيه حميد الشهيد رحمه الله تعالى .

* (نُورٌ تَنقَّلَ في أَصلابِ صَفْوَةِ رَبِّ
العَرْشِ حَتَّى لِعَبدِ اللهِ يُغْشِيْـــهِ) * ٢٢

* (وَأَوْدَعَ النُّورَ عَبْدُ اللهِ آمنـــةً
كالبَحْــرِ يُودِعُ أَصدافــاً لُؤالِيْهِ) * ٢٣

الإغشاء هنا بمعنى جعل النور كغرة الفرس في وجه عبد الله ومنه سميت بعض خيل العرب بالغشوى وقالوا فرس أغشى أي قد غشي وجهها بياض ، وسيأتي في آخر الحديث ان ذلك النور في وجه عبد الله كائن كغرة الفرس .

* (فَنَوَّرَ اللهُ مِنهَــا كلَّ جَارِحَـــةٍ
كمَطلَعِ الشَّمسِ يَسْنَى إذ تُدَانِيْهِ) * ٢٤

قال الإمام عليه السلام في هذا الموضع ما لفظه ، قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال تعالى (انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً) وفي صحيح البخاري أنه قيل للبراء ابن عازب أكان وجه رسول الله مثل السيف فقال : بل كان مثل القمر ، وروي أن عائشة كانت

تخيط بليل فسقطت إبرتها وطفىء سراجها فدخل النبي ﷺ فأضاء البيت من وجهه حتى وجدت الإبرة ، وقالت حليمة : كنا نستضيء بوجهه من غير مصباح .

ومن خصائصه ﷺ انه لا ظل له لانه نور كله ولذلك كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، كما ثبت في الصحيح انتهى ؛

قال ابن هشام في سيرته عقيب ذكر حديث المائة الناقة التي فدى بها عبد الله بن عبد المطلب من الذبح لأجل نذر والده المشهور قال أبو اسحاق : ثم انصرف عبدالمطلب آخذاً بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من أسد ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهي أخت ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ، قال : مع أبي ، قالت : لك مثل الإبل التي نحرت عنك ، وقع علي الآن ، قال : أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ، ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن مناف بن فهر بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بني زهرة بن كلاب فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة من قريش،إلى أن قال : فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله ﷺ ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها : ما لك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس ، قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة ، وقد كانت تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب : أنه كائن في هذه

الأمة نبي ، قال بن اسحق : وحدثني ابي إسحق ابن يسار أنه حدث أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل في طين له وبدت آثار الطين فدعاها الى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين، فخرج من عندها فتوضى وغسل ما كان به من ذلك الطين ثم خرج عائداً إلى آمنة فمر بها فدعته الى نفسها فأبى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد ﷺ ثم مر بامرأته تلك فقال لها : ألك حاجة ، قالت لا مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فأبيت علي فدخلت على آمنة فذهبت بها ؛ قال بن اسحق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه غرة الفرس ، قالت فدعوته رجاء ان تكون تلك لي ، فأبى علي ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله ﷺ قال : ويزعمون فيما يتحدث به الناس والله أعلم : أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع فقولي : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام انتهى .

* (وكَانَ في حَمْلِه آيٌ مُضَاعَفَـةٌ
رَهْصاً مِنَ اللهِ للحقِّ الَّذي فِيـهِ) * ٢٥

* (كالغَطْسِ والنَّكْسِ والإِبْهَاجِ مَحمَلُه
وَحُسْن حالٍ لأُمِّ الخير تَحْكِيـهِ) * ٢٦

حكى في سيرة ابن هشام عن آمنة أم النبي ﷺ أنها قالت :

رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء ؛ قال الإمام عليه السلام ، في قوله كالعطس والنكس البيت، فبه اشارة إلى ما ذكره ابن مرزوق ، في شرح البردة حيث قال : لما استقر رسول الله في بطن أمه أصبحت أصنام الدنيا منكوسة وكذا سرير ابليس والملك يغطسه في لجج البحار أربعين يوماً وكان الناس في جدب عظيم فأخصبوا فسميت تلك السنة سنة الإبهاج ولم يبق كاهن الا حجب ولا سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوساً والملك يومه منحوساً .

٢٧ • (وحِيْنَ حَالَ لِخلقِ اللهِ مَظْهَـرُهُ

كانَتْ خَوارِقُ لِلكُفْرانِ تُعْمِيْهِ) •

٢٨ • (مِلؤُ السَّموات والأَرضِيْنِ يُظهرُهُ

ظُهُورَ مُظْهِرِ دِيْنِ اللهِ يُعْلِيْـهِ) •

٢٩ • (كالشُّهْبِ مَاجَتْ لِحَربِ الجنِّ تُعْمِيْه

والطَّير هَاجَتْ لجَيْشِ الفِيْل تَرْمِيْهِ) •

عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زاد فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله ﷺ صرعت للجن مقاعدها من السماء بالشهب ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس ما هذا إلا لأمر حدث فبعث جنوده

فوجدوا رسول الله قائماً يصلي بين جبلين بمكة فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض ، أخرجه الترمذي .

وفي سيرة ابن هشام ما لفظه : فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه ، حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لإستراق السمع فيها فرموا بالنجوم فعرفت النجوم أن ذلك لأمر حدث من الله في العباد الى آخر ما ذكره .

قال فيها بن اسحق : وحدثني يعقوب ابن عتيبة عن المغيرة بن الأحنش أنه حدث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وأنهم جاؤا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً ، فقالوا له : يا عمرو ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ، قال : بلى قال : فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا ، وهلاك هذا الخلق الذي فيها ، وان كانت نجوما غيرها ، وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراده الله في هذا الخلق فما هو ، انتهى .

قال في الكشاف .. في سورة الجن فإن قلت كأن الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) ، فذكر في خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين ، قلت قال بعضهم : حدث ببعث رسول الله ﷺ وهو إحدى آياته .

والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية ، قال بشر بن أبي خادم .

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب[1]

وقال أوس بن حجر :

وأنقض كـالدري يتبعـــــه نقع يثور تخاله طنبا

وقال آخر :

يرد علينا العير من دون إلفه ، أو الثور كالدري يتبعه الدم .

ولكن الشياطين كانت تسرف في بعض الأحوال ، فلما بعث رسول الله ﷺ كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة ، حتى تنبه لها الانس والجن ، ومنع الاستراق أصلا ، الى آخر ما ذكره .

وقـــال في تفسير سورة الملك : ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نـــار الكواكب ، لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارة في الفلك على حالها وما ذاك إلا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص.

وأما قول الإمام عليه السلام : والطير هاجت لجيش الفيل ترمبه ، فهو اشارة الى قصة أصحاب الفيل وهي مشهورة طويلة لكني أذكر منها ما أورده جار الله في الكشاف في تفسير سورة الفيل وهو حاصل القصة وخلاصتها ، قال رحمه الله : روي ان أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصبحة النجاشي .. بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك ، وقيل أججت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة .

فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود ، وكان قوياً عظيماً

(١) برهقها الغبار .. أي يغشاها وفي الحديث : (إذا صلى أحدكم إلى الشيء فليرهقه) أي فليغشه ولا يبعد عنه تمت مختار الصحاح .

والجحش ولد العير وفي المختار أنه ولد الحمار والمعنى واحد تمت .

واثني عشر فيلا غيره ، وقيل ثمانية ، وقيل كان معه الف فيل ، وقيل كان وحده ، فلما بلغ المغمس [1] خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ، فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول ، فأرسل الله طيراً سوداً وقيل خضراً وقيل بيضاء مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة .

وعن ابن عباس .. : انه رأى منها عند أم هاني نحو قعبر مخططة بحمرة كالجزع الظفاري ـ فكان الحجرر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ، ففروا وسلكوا في كل طريق ومنهل وأصيب إبرهة فتساقطت أنامله وآرابه حتى انصطع صدره من قلبه ، وانقلب وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي ، قيل الذي كان قبل الذي كان في زمن رسول الله ﷺ بأربعين سنة وقيل بثلاثة وعشرين سنة .

وعن عائشة .. رأيت قائد الفيل وسايسه أعميين مقعدين يستطعمان ، وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فجهزه وكان رجلا حشماً وسيماً ، وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، فلما ذكر حاجته قال : سقطت من عيني ، جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتك ، وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود إبل قليلة ، قال : أنا رب الإبل وللبيت

(١) هكذا ضبطها في الأصل وهو اسم موضع قريب بين مكة والطائف على بعدسة أميال

رب سيمنعه .

ثم رجع وأتى باب البيت وأخذ بحلقته وهو يقول :

لا هـم إن المرء يمـــنع رحله فأمنع حلالك

وانصره عـلى آل الصـليـب وعـابديه اليوم آلاك

لا يغلبـن صـليبهـم ومحالهم ابداً محـالك

إن كنـت تـاركهم وكعـبتنا فـأمر ما بدا لك

ثم قال :

يا رب لا ارجو لهم سواك يا رب فامنع منهموا حماك

فالتفت وهو يدعو فاذا بطير من نحو اليمن فقال : والله إنهـا لطير غريبة ، ما هي بنجدية ولا تهامية . وفيه أن أهل مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الكثير وكان سبب غناه .

وعـن عكرمـة . : من أصابته جدرته وهو أول جدري ظهر انتهى بلفظه .

وفيه بعض مخالفة لما في سيرة ابن هشام وزيادات ، وفي قوله[1] إبرهة ابن الصباح الأشرم . نظر ، فابرهة ابن الصباح من أقيال حمير وفد على النبي ﷺ ، وهو غير إبرهة الأشرم الحبشي صاحب الفيل ، وكذا في قوله : وانقلب وزيره أبو يكسوم لأن المعروف أن إبرهة المذكور هو المكنى أبا يكسوم لا وزيره .

* (والماءُ سَالَ على النِّيرَانِ يُطْفِئُهَا
والنَّارُ صَالَتْ لأَجلِ الماءِ تُغْفِيـهِ) *

هذه إشارة إلى ما روي انه ليلة مولده ﷺ خمدت نار

---

(١) يعني الزمخشري في الكشاف .

فارس ولم تكن قد خمدت قبل ذلك منذ خمسمائة عام، وانها غاضت بحيرة (ساوة) وحكى الإمام عليه السلام، أن بحيرة (ساوة) في ماءها ولم يبق منه شيء حتى أن لهب النار صار يصعد من قعرها وكأنها فتحت أرضيا منها خرقاً، وهي بركة على ما قيل كان طولها ستة أميال، وقيل اثنين وعشرين فرسخاً وعرضها كذلك، (وساوة): مدينة بينها وبين (الري) ستة أميال وقال بعضهم: موضع بالشام.

* (وَبَاتَ إِيْوَانُ كِسْرَىٰ وَهْوَ مُنْصَدِعٌ
كمــا هَوَتْ شُرُفَاتٌ مِن أَعــالِيهِ) * ٣١

روي انه انصدع إيوان كسرى يوم مولد النبي ﷺ وسقطت من شرفاته أربعة عشر شرفة وكان ذلك عدد من تملك منهم بعده.

قــال الإمــام .. عليه السلام: انقرض ملك الأكاسرة في زمن عثمان رضي الله عنه .. وقصة رؤيا المؤيدات وإرسال كسرى عبد المسيح إلى سطيح [1]، مشهور. انتهى.

* (كذا الهَوَاتِفُ والكُهَّانُ صَارِخَــةٌ
وَغَيرُ ذٰلِكَ مِمَّا لَسْتُ أُحْصِيهِ) * ٣٢

هذا باب واسع لا سبيل الى استقصاء ما ورد منه ولكنا نذكر نبذة من ذلك شافية إن شاء الله.

فمن ذلك .. خبر شق وسطيح روي أن ربيعة بن نصر ملك اليمن

(١) سطيح: إسم كاهن مشهور والظاهر ان القصة هي التي سيأتي ذكرها بعد هذا بأسطر فتأمل.

في عصره رأى رؤيا هالته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه اليه ، فلم يجد عند أحد منهم ما يشفيه . فأرسل الى سطيح ربيع بن ربيعةبنمازن فقال:اني قد رأيت رؤيا هالتني فأخبرني عنها فانك ان أصبتها أصبت تأويلها، فقال : رأيت حمحمة خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ، فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح فما عندك في تأويلها ؟ فقال : احلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن بأرضكم الحبش فليملكن ما بين ابين الى جرش، فقال له الملك : وأبيك يا سطيح ان ذلك لنا لغايظ موجع فمتى هو كائن في زماني هذا ، أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده لحين أكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين ، قال : أفيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع ؟ قال : لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم قال : يليه ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحداً منهم باليمن قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي بيده الوحي من قبل العلي ، قال : وممن يكون هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر ابن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون، قال : أحق ما تخبرني به ؟ قال : نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليهشق وإسمهشق ابن صعب من بني أنمار بن نزار فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم

يختلفان قال : نعم رأيت حممه خرجت من ظلمة فوقعت بين روضه وأكمه فأكلت منها كل ذات نسمه قال له الملك: فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السوداء فليغلبن على كل رخصة البنان وليماكن ما بين أبين الى نجران ، قال له الملك : وابيك يا شق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني هذا أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان ، قال : ومن هو هذا العظيم الشان ؟ قال: غلام ذو شان يذيقهم أشد الهوان ولا بد أن يخرج من بيت ذي يزن ، قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال : أحق ما تقول ؟ قال : أي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتك به لحق ما فيه يمض .

غريبــــة .. قال الأميري في كتاب حياة الحيوان وأما شق وسطيح الكاهنان ، فشق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة؛ وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان إنما كان ينطوي مثل الحصر، ولد شق وسطيح في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر مزيقيا صاحب قصة سد مارب ودعيت سطيح وتفلت في فيه وأخبرت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ودعت بشق . ففعلت به مثل ذلك ثم ماتت ، وقبرها في الجحفة انتهى .

وفي صحيح البخاري .. عن ابن عمر قال: ما سمعت عمر يقول لشيء قط إني أظنه كذا إلا كان كما يظن عمر : بينا عمر جالس اذ مر به رجل جميل فقال : لقد أخطأ ظني وان هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، علي بالرجل فدعي له فقال له ذلك فقال : ما رأيت كاليوم ، استقبل به رجل مسلم قال : فاني أعزم عليك إلا ما أخبرتني ، قال : كنت كاهنهم في الجاهلية قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ، قال : بينما انا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع ، قالت : ألم ترى الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إيناسها ولحوقها بالقلاص وأخلاسها، قال عمر : صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد منه صوتاً يقول : يا ذريح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله، فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى أيا حليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقمت فما مشينا الى أن قيل هذا نبي، انتهى .

وفي سيرة ابن هشام زيادة في هذه القصة منها أن الجني جاءه ليلة ثانية ، فقال شعراً .

عجبت من الجن وأخبارها	وشدها العيس بأوكارها
تهوى إلى مكة تبغي الهدى	ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة في هاشم	بين روابيها وأحجارها

وفيها عن حسان بن ثابت . قال: والله إني لغلام يفعة أبن سبع سنين أو ثماني سنين أعقل كلما سمعت إذ سمعت يهودياً يصرخ على أطمة بشرب يا معشر يهود . حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له : ويلك مالك قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

قال ابن اسحق لما وضعته أمه أرسلت الى جده عبد المطلب ، أنه قد ولد لك غلام فانظر اليه فأتاه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه ، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكر له على ما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه إليها ، انتهى .

وفي كتاب الإمتاع من كتب السيرة النبوية أنه ﷺ ولد عام الفيل يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على الراجح من الأقوال في السنة الثانية والأربعين من ملك كسرى أنو شروان في شعب بني هاشم بمكة في دار باعها أولاد عقيل من محمد بن يوسف أخي الحجاج فأدخلها في داره ثم أخرجته الخيزران أم هرون من ذلك البيت فجعلته مسجداً تصلي فيه ووافق مولده ﷺ العشرين من نيسان .

وولد بالغفر من المنازل وهو مولد الأنبياء عليهم السلام .

ويقال لان طالعه برج الأسد والقمر فيه ، وتركوا عليه ﷺ جفنة كبيرة فانفلقت عنه فلقتين فكان ذلك من مباديء أمارات النبوة في نفسه الكريمة .

ويقال ولد مختوماً مسروراً مقبوضة أصابع يده ، مشيراً بالسبابة كالمسبح بها فاعجب بذلك جده عبد المطلب وقال ليكونن لابني هذا شأن ، وعق عنه بكبش يوم سابعه وسماه محمداً ، وقيل ختنه جده يوم سابعه ، وقيل جبريل عليه السلام .

ومات أبوه وهو في بطن أمه على المشهور والله أعلم وأحكم .

* (وَفي حَضَانَتِهِ مَا كَانَ مِن عَجَبٍ

لَدى حَلِيْمَةَ إذ كَانَتْ تُرَبِّيْــهِ) * ٣٣

٣٤ * (مِنْ شَقّ صَدْرٍ وتَطْهِيْرٍ لمُهْجَتِــهِ

ومِن أفانِينَ رِزْقٍ كَانَ يُنْمِيــهِ) *

قال في الإمتاع وغيره ، إن أمه ﷺ أرضعته سبعة أشهر ثم أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح أياماً قلائل وكانت قد أرضعت قبل رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب ثم أرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد ، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذويب السعدية من بني سعد بن بكر بن هوازن بلبن زوجها الحارث بن عبد العزي السعدي ، انتهى .

وحكى ابن هشام في سيرته عن أبي اسحق باسناده قال كانت حليمة بنت أبي ذويب السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء ، قالت : وهي في سنة شهباء لم يبق لنا شيئاً قالت : فخرجت على أتان لي قمراً معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلتنا أجمع مع صبينا الذي معي من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه ولكنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على اتاني تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق عليهم ذلك ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتاباه اذا قيل لها انه يتيم ، وذلك إنا إنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبي . وكنا نقول يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه ، لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري فلما أجمعنا الإنطلاق قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً معي

والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه . فقال لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، قالت فذهبت اليه فأخذته ، وما حملني على أخذه الا أني لم أجد غيره ، قالت فلما أخذته رجعت به الى رحله فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء الله من اللبن فشرب حتى روي وشرب معه أخواه – وذكر بن اسحق أن رسول الله ﷺ لا يقبل الا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الآخر فكأنه مجبول على العدل مفطور على جميل المشاركة والفضل ﷺ – حتى رويا ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك ، فاذا بها حافل فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا شبعاً ورياً ، فبتنا بخير ليلة قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا ، تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت والله إني لأرجو ذلك ، قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت الركب ما يقدر علي شيء من حميرهم حتى أن صواحبي ليقلن يا بنت ابي ذؤيب ويحك أربعي علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فأقول لهن بلى والله إنها لهي فيقلن والله ان لها لشأناً ، قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها وكانت غنمي على تروح على خير قدمنا به معنا شباعاً لبناً فنحلب ونشرب ، وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرين من قومنا يقولون لرعاتهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة وتروح غنمي شباعاً لبناً فلم نزل نتقرب من الله الزيادة واالخير حتى حضت ، وفصلته وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتين

حتّى كان غلاماً جفراً [1] قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته ، كلمنا أمه وقات لها يبقى عندي حتّى يغلظ فاني أخشى عليه وباء مكة قالت : فلم نزل بها حتّى ردته معنا ، قالت : فرجعنا به ، فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لي وأبيه : ذلك أخي القرشي قدأخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً ممتقعاً لونه ، قالت : فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا ما لك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو . قالت : فرجعنا به الى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت : ما أقدمك به يا ضئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ، فقلت قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت الأحداث عليه فاديته عليك كما تحبين ، قالت : ما هذا شأنك فأصدقيني خبرك ، قالت : فلم تدعني حتّى أخبرتها ، قالت افتخوفت عليه الشيطان . فقلت : نعم ، قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وان لابني شأناً واخبرتها مما تقدم ذكره في وضعه .

٣٥ * (ثم اسْتَمَرَّتْ بَشَارَاتُ الإلهِ بِـــهِ

قولاً وفِعلاً وألطافاً يُزَكِّيْـــهِ) *

---

(١) أي واسع الجنبين ، والأصل فيه ان ولد المعز اذا فصل عن امه واتسع جنبه سمي جفراً تمت .

* (مِنْ مِثْلِ سِتْرٍ وَتَضْلِيلِ الغَمَامِ لَهُ
وَقَوْلِ رَاهِبِ بَصْري إذ يُحَاذِيْهِ) * ٣٦

قال ابن هشام : قال بن اسحق وحدثني بعض أهل العلم ان مما ﷺ هاج أمه السعدية على رده الى أمه مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه أن نفراً من الحبشة رأوه معها حين ما رجعت به بعد فطامه ، فنظروا اليه وسألوها وقلبوه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم .

قال ابن اسحق فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كلأة الله وحفظه بنبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب بالأبواء، موضع بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة .

قال ابن هشام : ام عبد المطلب بن هاشم ، سلمى بنت عمرو النجارية فهذه هي الخؤولة التي ذكر بن اسحق لرسول الله ﷺ فيهم .

قال بن اسحق فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج لا يجاس عليه أحد من بنيه إجلالا له قال فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفر أي شديد ممتلىء حتى يجلس عليه فنأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ،

فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منه دعوا ابني فوالله إن له لشأناً ثم يجلسه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين هلك عبد المطلب بن هاشم وذلك بعد الفيل بثماني سنين قال : وكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب ، مع عمه أبي طالب ، وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصي به أبا طالب وذلك لأن عبدالله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب لأب وأم أمها فاطمة بنت عمر بن عابد ين عبد بن عمران بن مخزوم. قال ابن اسحق : فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جده ، فكان اليه ومعه ، قال بن اسحق : وحدثني يحي بن عباد : بن عبدالله بن الزبير أن أباه حدثه : أن رجلا من لهب كان عايفاً، فكان اذا قدم مكة أتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فيهم ، قال : فاتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه قال : فنظر الى رسول الله ﷺ ثم شغله اليه شيء فلما فرغ قال أين الغلام علي به فلما رأى أبو طالب حرصه عليه، غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً فوالله ليكونن له شأن قال وانطلق به أبو طالب .

قال ابن اسحق : ثم ان أبا طالب خرج في ركب تاجراً الى الشام فلما تهيأ للرحيل، وأجمع للمسير ضبث به رسول الله ﷺ فيما يزعمون فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً، وكما قال فخرج به معه فلما نزل الركب (بصرى) من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ بنيت قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك

العام بحيرى وكان كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام فلما نزلوا قريباً من صومعته ، صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته يزعمون ان رسول الله ﷺ في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حين استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال : اني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وانا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم ، قال له رجل منهم : والله يا بحيرى ان لك شأناً اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف . وقد أحببت أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا كلكم ، فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم لم يرى الصفة التي يعرف ويجد عنده قال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم على طعامي قالوا له يا بحيرى ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا فتخلف في رحالنا قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، قال : فقال رجل من قريش: واللات والعزى ان كان للؤماً بنا أن يتخلف ابن عبد الله ابن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام إليه واحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ينظر الى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده

من صفته ، حتّى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرى فقال له : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ـ وانما قال له بحيرى ذلك لانه سمع بحيرى قومه يحلفون بهما ـ فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً قط مثل بغضهما ، فقال له بحيرى فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال له : سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة ، قال بن اسحق : فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك فقال : ابني فقال له بحيرى : ما هو بابنك ولا ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً قال : فانه ابن أخي قال : فما فعل أبوه ، قال : مات وامه حبلى به قال : صدقت فارجع بابن أخيك واحذر عليه اليهود فوالله لأن رأوه وعرفوا ما عرفت لتبغينه اليهود شراً ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده ، فخرج به عمه ابو طالب سريعاً حتّى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما يروي الناس ان زريزاً ، وتماماً ، ودريساً ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ بمثل ما رأى بحيرى فردهم عنه بحيرى وذكرهم السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب بحيرى وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وانهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ولم يزل به حتّى عرفوا ما قال لهم وصدقوه فتركوه وانصرفوا عنه .

فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله تعالى ويحفظه ويحوطه من

أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالاته ، حتى بلغ ان كان رجلا أفضل قومه وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانةوأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، تنزهاً وتكرماً حتى ما يقع اسمه في قومه إلا الأمينلماجمع اللهفيه من الأمور الصالحة .

وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر ليحدث فيما كان الله يحفظه في صغره من أمر الجاهلية ، منها أنه قال : لقد كنت رأيتني في غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فاني لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم لا أراه اكمة وجيعة ثم قال شد عليك إزارك فأخذته فشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وإزاري علي من بين أصحابي اه .

*(كذا أَحَادِيثُ سَيْفِ بَعْدِ تُبَّعِهِمْ
وَغيرِهِم منْ دَرىٰ مَا كُنْتَ تُنْبِيهِ) * ٣٧

المراد بتبع المذكور : أسعد ابو كرب المعروف بأسعد الكامل . قال ابن اسحق: كان قد جعل طريقهحين أقبلمن المشرق على المدينة وكان قد مر بها في البداية فلم يحتج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها إلى أن قال فجاءه حبران من أحبار اليهود وهما عالمان راسخان حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له : أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ، ولم تؤمن عليك عاجل العقوبة قال لهما : ولم ذلك ؟ قالا: هي مهاجر

بني في هذا الحرم من قريش في آخر الزمان ، تكون مهاجره وقراره ، فتناها عن ذلك ورأى أن لهما علما وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما .

قال بن اسحق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان وأمج موضعان آتاه نفر من هذيل فقالوا له : ايها الملك ألا ندلك على بيت مال يرى كثيراً أغفلت الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده ، وانما أراد الهذليون هلاكه وهلاك قومه بذلك،لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وسعى عنده،فلما اجمع لما قالوا أرسل الى الحبرين فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله تعالى اتخذه في الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن ولتهلكن من معك جميعاً ، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إن أنا قدمت عليه ، قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله ، وبالدماء التي يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له ، فعرف نصيحتهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة وطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيها يذكرون ينحر للناس ويطعم أهله ، ويسقيهم العسل ، ورأى في المنام أنه يكسو البيت فكساه الخصف [1] ، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه

---

(١) قال في القاموس الخصف محركة حلة تعمل من خوص التمر ، والثوب الغليظ جداً وجمعه خُصُف ، ولعله ما يعرف اليوم بالحصير .

المعافر [١]، ثم رأى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملا والوصائل [٢]، وكان تبع ، فيما يزعمون أول من كسى البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوا دماءاً ولا ميتة ولا مثلاتاً وهي الحائض .

وجعل له باباً ومفتاحاً ا هـ .

وذكــر لــه .. في بعض كتب التاريخ أشعار منها :

وكسوت البيت الذي حرم اللـ ... ـه ملاء معضــداً وبــرودا
وأمرنا بأهله الجرهميين ... وكــانوا بحافتيه شهــودا
واطفنا به من الشهر خمسا ... ووضعنــا لبابه إقليــدا
ونحرنــا بالشعب ستة الآ ... ف ترى الناس حولهن ركودا
ثم عدنا نؤم أرض سهيل ... ورفعنا لواءنا المعقودا

ومنها له :

وحلفت بعد يمين صبر موليا ... قسماً لعمرك ليس بالمتــردد
ألا يكون بيثرب إن جئتها ... أحد وافنيهم بكل مهند
حتى اتاني من قريضة عالم ... حبر لعمرك في اليهود مسود
قال ازدجر عن قرية محجوبة ... لنبي مكة من قريش مهتــد
فعفوت عن مارمت غير مثرب ... وتركتهم لعقاب يوم سرمد

قــال الإمام عليه السلام : قال البيهقي ولم يزل هذا الشعر يتوارثه الأنصار ، وكان عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ؛ وأخرج احمد بن حنبل ، عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال : لا تسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم ، وروي له أيضاً :

شهدت على أحمد أنــه ... رسول من الله باري النسم

---

(١) المعافر بفتح الميم : بلد في اليمن واليها تنسب الثياب المعافرية .

(٢) الملا : الملاحف ، والوصائل : ثياب مخططة يمنية .

له أمة سميت في الزبو رأمته هي خير الأمـم
فلو مد دهري الى دهره لكنت وزيراً له وابن عـم

وأما سيف المذكور، فهو سيف بن ذي يزن الحميري المشهور، روي أنه لما أمده كسرى بالفرس فقتل الحبشة واستولى على اليمن واستقرت قواعد ملكه في صنعاء بعد مولد النبي ﷺ، وفد اليه الوفود، فقدم اليه عبدالمطلب بن هاشم ومعه أخوه عبد شمس وعبدالله بن جدعان ووهب بن رباح، الى صنعاء وذلك بعد مولد النبي ﷺ لسنتين فخلا بعبد المطلب سراً وسأله عن امارات في النبي ﷺ وهو طفل فذكرها له فبشره بنبؤته واستو صاه به من اليهود، وحذره منهم، وقال له: إنا نجده في كتبنا، وهذا وقت وجوده وسيبعثه الله نبياً لا تأمن عليه من اليهود، مع قصة طويلة اهـ كما وجد.

وحكى ابـن اسحـق عن عـاصم ابن عمرو الأنصاري عن رجال من قومه، قالوا: ان مما دعانا الى الاسلام، ما كنا نسمع من رجال يهود كنا إذا قاتلناهم ونلنا منهم، قالوا لنا: انه قد تقارب زمان نبي مبعوث نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله محمد ﷺ أجبناه وآمنا به، وكفروا به ففي ذلك أنزل الله تعالى (فلما جاءهم كتاب من عند الله) الآية؛ وحكي في ذلك عما كانوا يسمعون من اليهود أحاديث اخر. وذكر ذلك أيضاً ما حكاه سليمان الفارسي عن الراهب الذي قال له: قد أضل زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب فهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، إلى آخر ما كرناه وذكر أيضاً قصة زيد بن عمرو بن نفيل، لما خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام، وقول

الراهب له إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أضلك زمان نبي يخرج من بلادك الّتي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه . وذكر أيضاً ما حكى عن الإنجيل وفيه:فلو قد جاء المنجما هذا الذي يرسله اليكم من عندالرب خرج فهوشهيد علي وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي هذا قلت لكم كيما لا تشكوا في المنجما .

والمنجما بالسرياتية معناها محمد ﷺ وهو بالرومية البّرقليطس انتهى بلفظه .

وفي حديث أخرجه التّرمذي حين ذكر سفر أبي طالب الى الشام ومعه النبي ﷺ صبياً ، قال فخرج الينا الراهب ، فجعل يتخللنا حتّى جاء فأخذ بيد محمد وقال:هذا سيد العالمين ، فقال له أشياخ قريش : وما علمك بما تقول ؟ قال : أجد صفته ونعته في الكتاب المنزل ، إلى آخر الحديث .

وفي حديث أخرجه البخاري عن ابن عمرو بن العاص ان في صفة النبي في التوراة(يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزاً للامنين ، انت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا سنجاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتّى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به أعيناً عمياء ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

وفي حديث أخرجه أبو داود عن أبي موسى أنه سمع النجاشي يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك ، وما تحملت من الناس لأتيته حتّى أحمل نعليه ؛ وروي عن هرقل ملك الروم نحو ذلك .

وكحديث نسطور الراهب حين خرج النبي ﷺ مع ميسره غلام خديجة في تجارة لها قبل أن يتزوجها بشهرين وأربعة وعشرين يوماً وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فقال : هذا نبي ، وهو آخر الأنبياء ، وكما جاء في حديث قيس بن ساعدة الإيادي المشهور . واستقصى ما ورد في هذا المعنى مما لا سبيل اليه .

٣٨. * (وفي البدايَة إسرافِيْلُ لَازَمَـــهُ
وفي الرِّعَايةِ جِبْرِيلٌ يُرَاعِيْـــهِ) *

٣٩ * (كما سَيأْتِي لَهُ عِنْد النَّهايَةِ مِن
خُصوصِهِ بِمَزِيدٍ مِنْ تَوَلِّيـــهِ) *

قال الإمام عليه السلام: الإشارة بالبيت الأول الى ما في مسند الامام أحمد بن حنبل ، بسند صحيح الى الشعبي ان رسول الله ﷺ وردت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، وقرن بنبوته اسرافيل عليه السلام ، وكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه جبريل عليه السلام ، بالقرآن فلما مضت ثلاث سنين ، قرن بنبؤته جبريل عليه السلام ، ينزل القرآن على لسانه عشرين سنة عشراً بمكة وعشراً بالمدينة ﷺ ومات ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ وفي رواية ذكرها مجد الدين الشيرازي انه ﷺ لما بلغ سبع سنين من عمره أمر الله سبحانه اسرافيل أن يقوم بملازمته فكان قريباً منه دائماً الى أن تم له احدى عشرة سنة . فأمر جبريل عليه السلام بملازمته فلازمه تسعاً وعشرين سنة ، بطريق المقارنة والملازمة لكن لم يظهر [١] له ﷺ .

(١) أي لم ينظر إليه لأنه لم يظهر له ظهوراً يمكن النظر اليه بالعين المجردة .

* (وَكَانَ يُدْعى صَدِيْقاً آمِناً ثِقَةً
مِنْ كُلِّهِمْ فَهْوَ عَدْلُ الرُّكْنِ بَانِيْهِ) * ٤٠

قال في الإمتاع : وكان الله قد صانه يعني النبي ﷺ وحماه من صغره . وطهره وبرأه من دنس الجاهلية ومن كل عيب ، ومنحه كل خلق جميل حتى لم يكن يعرف بين قومه إلا بالأمين لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته بحيث أنه لما بنيت الكعبة بعد هدم قريش لها في سنة خمس وثلاثين من عمره ﷺ ، وقيل خمس وعشرين ، ووصلوا موضع الحجر الاسود اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه ، فأرادت كل قبيلة رفعه الى موضعه واتعدوا للقتال [1] وتحالفوا على الموت ، فأشار عليهم أبو أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهو يومئذ أسن قريش أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد فكان أول من دخل رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا هذا الأمين قد رضينا به وأخبروه بالخبر فقال: هلموا الي ثوباً فأتي بثوب يقال إنه كساء أبيض من متاع الشام كان له ﷺ فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال ليأخذن كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوا جميعاً ففعلوا حتى بلغوا به موضعه ، فوضعه ﷺ بيده ثم بنى عليه اه .

وحديث بنيان الكعبة ، في سيرة ابن هشام أبسط مما ذكر لكن هذا القدر منه هو الذي أشار إليه الإمام عليه السلام ،فلذلك عدلت إليه والله الموفق .

* (وَفي حِرى هَاجرَ الأَقْوَامَ مُجْتَنِباً
لِنُجْسِهِم وأَماري الخيرِ تَـأْتِيهِ[2]) * ٤١

---

(١) أي بعد أن اختلفوا .

(٢) أماري جمع أمارة ويجمع أيضاً على أمارات .

٤٢ * (وعِنْدَ رَبَّةِ قَصْرِ الدُّرِّ سَيِّدَةُ الـ
نِّساءِ كَانَ يُفَاجِي مَا يُفَاجِيْهِ) *

٤٣ * (وَلابْنِ نَوْفَلِهم في شَأْنِه نَبَــؤٌ
قَد نَالَ فيهِ مَفَازاً عِنْدَ بَارِيْــهِ) *

قال الامام عليه السلام : حرآء إسم جبل مشهور بمكة يمد ويقصر ، ويمنع ويصرف في جامع الأصول عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وحبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى أهله ويتردد لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاء الحق .

وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال إقرأ قال «فما أنا بقارىء» قال «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال إقرأ . فقلت ما أنا بقارىء فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني وقال لي إقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغني الجهد ، ثم أرسلني فقال لي (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم) حتى بلغ (ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده .

وفي رواية فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة حين أخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي فقالت له كلا أبشر فوالله ما يخزيك

الله أبداً ، وفي رواية : لايحزنك ـ بالحاء المهملة ونون بعد الزاي، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة ابن نوفل بن أسد عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخو أبيها . وكان امرءاً يتنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني بالعبرانية ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة : يا إبن عمي إسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع أكون إذ يخرجك قومك ، فقال رسوع الله ﷺ أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي ؛ الحديث أخرجه البخاري ومسلم ؛ وأخرجا حديثاً آخر في هذا المعنى يتضمن زيادات وفيه قال : ثم حمي الوحي وتتابع ، وفي سيرة ابن هشام ، وغيرها ما يشتمل على ذلك وفيها قال بن اسحق : فابتدأ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان ، وفيها قال بن اسحق : تتام الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله مصدق لما جاءه به وقد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمل على رضى الناس وسخطهم قال : فآمنت به خديجة بنت خويلد صدقت بما جاءه من الله وآزرته على أمر الله فكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاءه فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها فتثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس

رحمها الله تعالى ورضي عنها اه .

وقول الإمام عليه السلام : ربة قصر الدر سيدة النساء ، إشارة إلى ما ورد في فضل خديجة رضي الله عنها . عن رسول الله ﷺ ، فعن ابي هريرة قال : أتى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام ، أو طعام، أو شراب ، فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام وبشرها ببيت [1] من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، أخرجه البخاري ومسلم ، قال ابن هشام وغيره : القصب ها هنا اللؤلؤ المجوف ، وعن علي كرم الله وجهه في الجنة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خير نسائها مريم ابنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد ، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي . وعن انس قال : قال رسول الله ﷺ : «حسبك [2] من نساء العالمين مريم ابنت عمران ، وخديجة

---

(١) وقد قيل في هذ السؤال كيف يبشرها ببيت وأدنى أهل الجنة منزلة من يعطي مسيرة الف عام في الجنة كما هو في حديث ابن عمر أخرجه النسائي وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم سوى نفي الصخب وهو رفع الصوت ؟ وقد وقع في هذا عدة جوابات من جماعة من العلماء .

قلت : والأظهر أن البشارة بالبيت من لؤلؤ مجوف وهو بيت من قصب بعد بشارة بنعيم زايد لها على أمثالها وكل ما تشتهيه النفس فيه قد دخلت ضمناً والله أعلم.

(٢) « تحفة » يذكر عن أبي بكر بن داوود انه سُئل: عائشة افضل أم خديجة ؟ فقال : عائشة أقرأها رسول الله السلام من جبريل عليه السلام ، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربّها على لسان محمد ﷺ فهي أفضل . فقيل له من أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ قال فاطمة بضعة مني فلا اعدل ببضعة من رسول الله احداً. وهذا لاستقراء حسن ويشهد بهذا أن أبا لبابة حين ربط نفسه وحلف أن لا يحله إلا رسول الله ﷺ فجاءت فاطمة لتحله فأبى من أجل قسمه فقال رسول الله ﷺ : فاطمة بضعة مني ، ثم حلته تمت والله اعلم .

بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون » أخرجه الترمذي ، وقوله : ولا بن نوفلهم البيت ، قال عليه السلام : المفاز الفوز وهو النجاة والظفر بالخير ، قال عليه السلام : وعن عائشة ، بإسناد جيد ، أن ورقة كان اذا لقي النبي ﷺ قبل وجهه ، وقال أشهد أنك نبي هذه الأمة ، ولما مات ترحم عليه النبي ﷺ وقال : «رأيت لورقة جنة أو جنتين» وفي الترمذي من حديث عائشة ، قالت : سئل رسول الله ﷺ عن ورقة . فقالت له خديجة : إنه كان صديقك وإنه مات قبل أن تظهر ، فقال النبي ﷺ «رأيته في المنام . وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النار لكان لباسه غير ذلك» . اهـ

* (وَبَعْدَ ذَا بَيَّنَ الصُّبْحُ الْمنِيرُ لِذِي
عَيْنَيْنِ وانْفَلَقَ الرُّشْد الْمُلاَقِيْهِ) * ٤٤

* (واستوضَحَ المَلَكُ الرّوحُ الأَمِينُ لِبُدْ
ءِ الوَحْيِ بالمُعْجز البَهَّارِ يُمْلِيْـهِ) * ٤٥

قال في الإمتاع : قيل ان فترة الوحي كانت قريباً من سنتين وتبدى له الملك بين السماء والأرض على كرسي وثبته وبشره أنه رسول الله حقاً فلما رآه فرق منه وذهب إلى خديجة رضي الله عنها : زملوني دثروني فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر) فكانت الحالة الأولى بغار حراء حالة نبوة وإيحاء ، ثم أمره الله تعالى في هذه الآية أن ينذر قومه ، ويدعوهم الى الله تعالى فشمر ﷺ عن ساق الإجتهاد ، وقام في طاعة الله تعالى أتم

قيام يدعو الى الله تعالى الصغير والكبير ، الحر والعبد ، الرجال والنساء ، الأسود والأحمر ، اهـ .

والمراد بالروح الأمين جبريل عليه السلام

وقال الإمام عليه السلام : قال العامري: رأيت في بعض التاريخ أن جبريل عليه السلام ، نزل على النبي ﷺ ستا وعشرين الف مرة [1] .

٤٦ * (كَلاَمُ رَبِّي الَّذِي أَضْحتَ بَلاَغَتُهُ
تَجِلُ عَنِ كُلّ تَمْثِيلٍ وتَشْبِيْهِ) *

٤٧ * (بِهِ عَجَايِبُ لاَ تَفْنَى وَفِيهِ مِنَ الـ
آي الخَوَارِقِ ما لأَحَدً يَحْوِيْـهِ) *

٤٨ * (كَعِلمِ مَاضٍ وآتٍ لاَ يزالُ يُحيِرُ
الْعَقْلَ أعلامُ مَاضِيهِ وآتِيْـهِ) *

٤٩ * (وَفِيهِ نُورُ كِلاَ الكَوْنَيْنِ فهوَ لأَهـ
لِ الرُّشْدِ جَامِعُ كُلِّ الخَيْرِ مُوْلِيْهِ) *

٥٠ * (وَغَيْرُ ذٰلك مِمّا لاَ يُحِيْطُ بِـهِ
إلا العليمُ القديرُ الفردُ مُنْشِيْهِ) *

إعلم أن القرائح وإن زخرت ، والمدائح وإن بهرت . لا تفي

(١) وقد نظم بعض السلف رحمه الله في ذلك فقال :
قد نزل الروح الامين جبريلُ من أودع الله فيه سرّه
على النبي المصطفى محمد ستاً وعشرين ألف مرّه

باليسير من حق القرآن الكريم ، ولا تبلغ أدنى درجات ما ينبغي للذكر الحكيم ، فالعظيم من المدح في حقه حقير ، والإطناب في وصفه تقصير ، وكفى بقول منشئه العليم القدير ، (قل لأن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) وعن الحارث الأعور قال : مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على علي عليه السلام فأخبرته فقال : أوقد فعلوها قلت نعم قال أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ألا إنها ستكون فتنة» قلت : ما هو المخرج منها يا رسول الله ﷺ فقال : «كتاب الله فيه نبؤ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس الألسن ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا (إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدي إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي الى طريق مستقيم ، خذها اليك يا أعور» أخرجه الترمذي .

وعن ابن عباس قال : جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين وعلم ما كان ، وعلم ما يكون ، والعلم بالخالق جل جلاله ، وأمره وخلقه ، ذكره رزين .

قال علماء الإسلام رحمة الله عليهم ورضوانه ، والدليل على ان القرآن معجز أن النبي ﷺ تحدى به العرب الذين هم النهاية في الفصاحة فعجزوا عن معارضته وكل ما كان كذلك كان معجزاً .

وإنما قلنا انه ﷺ تحداهم بالقرآن لتواتر الآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهرا) . وقال تعالى (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) . وقال تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) ، ثم قال تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فنفى عنهم القدرة على ذلك بقضية قاطعة ، فدلت هذه الآيات على التحدي مرة بالقرآن ومرة بعشر سور ، ومرة بسورة واحدة ، وذلك هو النهاية في التحدي وإنما قلنا أنهم عجزوا عن معارضته لأن دواعيهم كانت متوفرة على الإتيان بالمعارضة وما كان ثمة ما نع يمنعهم من الإتيان بها وذلك يدل على عجزهم وإنما قلنا أن دواعيهم كانت متوفرة على الإتيان بها لأنه عليه السلام كلف العرب ترك أديانهم ورياستهم ، وأوجب عليهم ما يتعب أبدانهم . وينقص أموالهم وطالبهم بعداوة أصدقائهم وصداقة أعدائهم لسبب الدين ، ولا شك في أن كل واحد من هذه الأمور مما يشق على النفس لا سيما على العرب الذين هم أكثر الأمم حمية وأنفة ولا شك أن الإنسان اذا استنزل غيره عن رياسته ودعاه إلى طاعته فان ذلك الغير يحاول إبطال أمره بكل ما يقدر عليه ، فلما كانت معارضة القرآن بتقدير وقوعها مبطلة لأمر النبي ﷺ علمنا توفر دواعيهم عليها ، وإنما قلنا أنه لم يكن لهم مانع يمنعهم من الإتيان بها ، لأن النبي ﷺ ما كان بحيث يخاف كل العرب من قهره بل هو الذي كان خائفاً منهم في مبدأ الأمر . وإنما قلنا أنهم لم يعارضوا لأنهم لو أتوا بالمعارضة لكان اشتهارها أولى من اشتهار القرآن ، لأن القرآن حينئذ يصير كالشبهة وتلك المعارضة كالحجة ومتى كان كذلك وكانت الدواعي متوفرة على إسقاط أبهة

المدعي وإبطال أمره ورونقه ، كان اشتهار المعارضة أولى من اشتهار الأصل ، فلما لم تشتهر علمنا عدمها وإنما قلنا أن من توفرت دواعيه الى الشيء ولم يكن له مانع ثم لم يفعله ، فهو عاجز لأنه لامعنى للعجز إلا ذلك وبهذه الطريقة نعرف عجزنا عن كل ما نعجز عنه ولأنهم عدلوا عن المعارضة الى تعريض النفوس للقتل مع أن المعارضة أسهل ، والعدول عن الأسهل إلى الأصعب لا يكون إلا لتعذر الأسهل .

فثبت بما ذكرنا أن القرآن معجز .

ووجوه إعجازه كثيرة ، أعظمها وأنجزها ما تضمنه من البلاغة الخارقة للعادة التي حيرت الألباب ، الباب البلغاء ، وأخرست ألسنة الفصحاء . وما يعقلها الا العالمون، وفيها النظم البديع المخالف لكل نظم ونثر في أسلوبه ، وتأليفه ، وترتيبه ، وتصريفه .

ومنها .. سلامته من الاختلاف والتناقض الذين لا يسلم منهما غيره ، لا سيما مع تنوعه وطوله ، وقدأشار تبارك وتعالى الى ذلك بقوله : (ولو كان من عندغير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وأما الصرفة عن معارضته فداخلة فيما ذكر إذ الإتيان بمثله غير مقدور للمخلوقين على الأصح .

ومنها .. اشتماله على الأخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة كما أشار اليه الإمام عليه السلام اما الماضية فنحو قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم كقصة موسى مع فرعون وما جرى عليه معه من الولادة الى أن بلغ مبلغ النبوة ، وكيفية بعثه ودعوته لفرعون الى أن أغرقه الله وقومه ، وكقصة يوسف وإخوته ، وقصة آدم ونوح وإبراهيم ، ولوط وزكريا ، وعيسى ويحيى ، وسليمان وداود ، وكقصة أصحاب الكهف . وذي القرنين ، وعاد وثمود وأصحاب

الأيكة ، وغير ذلك من القصص الطويلة المفصلة مع ان المعلوم من حال النبي ﷺ أنه ما كان يعرف الكتابة ولا القراءة ، ولا تتلمذ لأحد من أهل الكتاب ، ثم إنه ذكر تلك التفاصيل الطويلة ، وكان أعداؤه ومخالفوه من أهل الكتاب يسمعونها ويعونها ؛ فلم ينقل عنهم أنهم خطؤه في شيء منها ، ومعلوم أن مثل هذه التفاصيل الطويلة لا يمكن الإصابة في نقلها بالتحنث والحفظ وقد نبه تعالى على ذلك حيث قال بعد تمام قصة يوسف (تلك من أبناء الغيب نوحيه اليك) وقال تعالى بعد تمام قصة نوح (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ونحوه .

وأمـا الإخبار عن الغيوب المستقبلة ، فنحو قوله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) فانه إخبار عن غيب بأنهم لم يأتوا بمثل القرآن وكان كما قال ، وكقوله (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين)الى أن قال : (وعد الله لا يخلف الله وعده) وكان الأمر كما قال الله تعالى ، وكقوله في يوم بدر (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) ففعل تعالى ؛ وكقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إنشاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) فكان ذلك . وكقوله تعالى في يوم بدر (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان ذلك ، وكقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) الآية . وكان كما قال تعالى ، وكقوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم) الآية وكان ذلك ، وقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الى غير ذلك وإذا ثبت كون القرآن العظيم معجزاً فلا شك ولا شبهة

في أنه أبلغ وأظهر وأقطع وأبهر من معجزات سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . لبقائه على مر الأدوار وتعاقب الأعصار ، وتمكن كل مكلف من مشاهدته ومعرفة إعجازه بخلاف سائر معجزات الأنبياء عليهم السلام ، والى هذا أشار البويصيري رحمه الله حيث قال :

دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبين إذ جاءت ولم تـــدم

قال الإمام عليه السلام : وقوله كلام ربي البيت ، إشارة الى ما روي عن عكرمة بن ابي جهل وغيره من السلف ، انهم كانوا لعظمة موقع القرآن الكريم من قلوبهم ، اذا سمع أحدهم شيئاً منه أو عرض ذكره ، قال: كلام ربي كلام ربي .

قال عليه السلام : وفيه نور كلا الكونين ، البيت ، وصفه الله في أحاديث ، عن عكرمة « عليكم بالقرآن فانه فهم القلوب . ونور الحكمة » وقال تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمتقين)

وقال عليه السلام : في قوله وغير ذلك ، البيت .

منها أن كل ثلاث آيات معجزة ، وفي أوائـل وأثنـاء السور معجزات ، وأسرار خارقات ، وكذلك فواتحها وخواتمها ، وفصولها ، ومواضع وقوفها ، ووصولها ، وفي الحروف وأنواعها ، ومواقع أنواعها ، وحذف ما يحذف منها جوازاً أو وجوباً ، وندباً وكراهة ، واسرار الخط والتوقيف فيه ، وهذا نوع واحد ،

وكل نوع فيه أنواع لا تنحصر مما يرجع الى اللفظ والمعنى ، والبسط والقبض ، والأحكام والأقاصيص ، والأمثال ، وعلوم الدنيا والآخرة وما لا يحيط به ويحصيه ، إلا عالمه ، محدثه ومنشئه سبحانه وتعالى[1] .

٥١ * (كَذٰلِكَ السُّنَّةُ الغَرَّاءِ تُشْبِهُـهُ
في البَعْضِ إذ هِيَ مِن إيحاآءِ مُوْحِيْهِ) *

٥٢ * (فَقَرَّ قَلبُ رَسُولِ اللهِ وَابْتَهَجَتْ
بِهِ المَنَاهِجُ واستَعْلَت مَسَاعِيهِ) *

أما البيت الأول ففيه إشارة الى معنى قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) والى نحو ما رواه المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله ﷺ « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكىء على أريكته ؛ فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى ، فما وجدناه فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وان ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله » هذه رواية الترمذي ؛ وفي رواية ابي داود قال : قال رسول الله ﷺ « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته

---

(١) قلت : وقد كشف علماء العصر الحديث ما قد ظهر بوضوح في تفسير آيات كثيرة أن القرآن الكريم عنى بها هذه الإكتشافات الحديثة وهي واضحة جداً مصداق قوله تعالى (سنريهم أياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) طالع كتاب « تنبيه العقول الانسانية » للاستاذ محمد بخيت . وغيره من المؤلفات والتفاسير الحديثة .

يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه » الحديث .

وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال : « لأعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري أنا أمرت به أو نهيت عنه وهو متكىء على أريكته ، فيقول ما ندري ما هذا ، عندنا كتاب الله وليس هذا فيه ، وما لرسول الله ان يقول ما يخالف القرآن وبالقرآن هداه الله » أخرجه أبو داود والترمذي . ولفظهما أخصر من هذا وهو أن الرسول ﷺ قال : « لألفين أحدهم متكأ على أريكته يأتيه أمري مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري . ما وجدناه في كتاب الله تعالى اتبعناه » واللفظ الأول ذكره رزين .

وأما البيت الثاني فهو إشارة الى ما أنجزه الله عز وجل لرسول الله من الوعد ومنحه من النصر وكثرة الأتباع والظهور على الأعداء واستقرار قواعد الدين الحنيف وابتهاج مناهج الشرع الشريف .

* (وكان سَبْقُ أَخيه نَفْسِهِ وأَخي
يَحيٰ وعِيسي لِحزبِ اللهِ بَادِيـهِ) * ٥٣

* (وَبَعْدَه اتَّسقَ الأَقوامُ في سَبَقٍ
هٰذا مُصَلٍّ وهٰذَا لَاحِقٌ فِيْـهِ) * ٥٤

* (وتَابَعَ اللهُ آيات لَهُ طَفِقَتْ
تَتْرَى كِفَاءً[1] تَحَدٌّ مِنْ مُنَاوِيْهِ) * ٥٥

اختلف في من كان أول الناس إسلاماً ، فالذي عليه إجماع أهل البيت ، وبه قال المحققون من أهل النقل أن أول الناس إسلاماً

---

(١) كِفَاءً : جمع كفء والمعنى أن الآيات التي توالت على رسول الله كانت كِفَاءً للتحديات التي تحداه بها مُناوِؤُه ونظير تحديهم ، وطفقت أي جعلت .

مولانا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة ، قال بن إسحق : ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وهو ابن عشر سنين يومئذ فكان مما أنعم الله به على علي بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله قبل الإسلام ، قال ابن اسحق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبير بن الحجاج قال : كان من نعمة الله تعالى على علي بن أبي طالب وما صنع الله له من الخير ، وأراد به ، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال النبي ﷺ للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم : « يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا وتأخذ رجلا ، قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ، قال ابن هشام : ويقال ، عقيلا وطالباً ، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه اليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه فلم يزل علي رضي الله عنه مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه علي وآمن به وصدقه ، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه » .

قال ابن اسحق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله كان إذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلاة فيها ، فاذا أمسيا رجعا . فمكثا على ذلك ما شاء الله أن يمكثا .

ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله

يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال « أي عم [1] هذا دين الله ودين ملائكته ، ودين رسله ودين أبينا إبراهيم . أو كما قال ﷺ : بعثني الله به رسولا الى العباد ، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى ، وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه » أو كما قال ﷺ .

فقال له أبو طالب : أي ابن أخي إني والله لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص إليك شيء مما تكرهه . ما بقيت ، وذكروا أنه قال لعلي رضي الله عنه أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت برسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه واتبعته ، فزعموا انه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير .

وفي جامع الأصول .. عن أنس بن مالك قال : بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء ، أخرجه الترمذي ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أول من صلى علي ، أخرجه الترمذي .

وعن زيد ابن أرقم ، قال : أول من أسلم علي رضي الله عنه ، أخرجه الترمذي مع زيادة ، ورواه الحاكم في المستدرك ، وفيه أيضاً عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ «أو لكم وروداً علي الحوض أو لكم إسلاماً علي ابن ابي طالب» .

وإشارة الإمام عليه السلام .. في قوله أخيه نفسه ، إشارة الى نحو ما رواه بن عمر قال : « لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه

---

(١) أي حرف ندا بمعنى يا .

جاءه علي رضي الله عنه تدمع عيناه » فقال له : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخي بيني وبين أحد ، قال : فسمعت رسول الله ﷺ يقول : «انت أخي في الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذي .

وفي المستدرك ، عن علي رضي الله عنه قال : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها إلا كاذب صليت قبل فلان [1] بسبع سنين .

وفي قول الامام عليه السلام نفسه إشارة الى آية المباهلة قوله تعالى (قل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم) الآية ، عن سعد بن أبي وقاص قال :«لما نزلت هذه الآية ، دعى رسول الله ﷺ عليا وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء أهلي » أخرجه الترمذي . قال الشعبي : أبناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال بعض العلماء : انظر كيف قال أنفسنا وهو يريد نفس علي رضي الله عنه ، والمعلوم ضرورة أنه ليس نفسه إذ هما غيران فلا بد أن يكون أراد أنه كنفسه إلى آخر كلامه .

والصواب أن المراد بأنفسنا نفس الرسول ﷺ ونفس علي عليه السلام وجعل الرسول ﷺ نفس علي عليه السلام كنفسه ، فكأن للرسول ﷺ نفسين ، وجمعه على قاعدة صيغت قلوبكما أو جعل نفسه الكريمة ونفس من نفسه كنفسه قائمتين مقام

---

(١) هكذا في الأصل .

أنفس أهل دين الإسلام ، ويكون الجمع على حقيقته في مقابلة أنفس أهل دين النصرانية ، ويمكن ان يكون مراد بعض العلماء المذكور مثل ما ذكرناه ، لكن ظاهر عبارته لا يعطيه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله عليه السلام .. وأخي يحيى وعيسى ، قال الامام عليه السلام : هذه إشارة الى أن الله سبحانه منح علياً عليه السلام السبق والهداية والتوفيق بحسن الإختيار في التكليف العقلي ، بل والشرعي في حال صباه كما كان في حق ابني الخالة يحيى وعيسى عليهم السلام .

قال الامام يحيى شرف الدين عليه السلام

وقد اطلعت على مثل هذا المعنى بعد إنشاء هذه القصيدة المباركة في حديث رواه علي عليه السلام ، عن رسول الله ﷺ بمحضر من الصحابة وشهدوا به .

قال الامام يحيى شرف الدين عليه السلام

وقوله لحزب الله باديه، إشارة إلى أن علياً عليه السلام ، أول من سبق الى الإتصاف بأوصاف حزب الله ، الذين قال فيهم (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر) الى قوله : (أولئك حزب الله) الآية [1] ، فانه عليه السلام فارق أباه في صباه واخوته وعشيرته ، على جلال أقدارهم ، وعظم أحوالهم ، إيثاراً من الله له بالسبق الى الفلاح الجامع لأنواع الخير والفضل والصلاح . اه.

وقوله عليه السلام : وبعده اتسق الأقوام في سبق ، البيت . قال في الإمتاع ثم استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان حائز قصب السبق أبو بكر بن ابي قحافة ، وعثمان بن عفان ، وطلحة

(١) الآية هي آخر سورة المجادلة .

بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، إلى آخر كلامه .

وقوله عليه السلام : هذا مصل الخ ... استعارة من أسماء خيل الحلبة وهي عشر ـ «المجلي ، والمصلي ، والمسلي، والتالي والمرتاح والعاطف ، والحظى والمؤمل ، واللطيم ، والسكيت »

وفي قوله عليه السلام : وتابع الله آيات ، البيت ؛ فأراد بذلك ما أجراه الله على يده ﷺ من الآيات الظاهرة ، والمعجزات الباهرة ، وسنشير عن قريب الى ذكر شيء منها ، إذ لا سبيل إلى الإحاطة بها .

٥٦ * (فكلُّ مُعْجزةٍ للأَنْبياءِ أَتَــتْ
فَضِعْفُها لابْنِ عَبْدِ اللهِ يَأْتِيــهِ) *

٥٧ * (إماتَةٌ وَحَيَاةٌ ثم نَطْقُ جَمَــا
دَاتٍ وَطَوعٌ [1] لَهُ مِنها يُؤاتِيــهِ) *

هذه إشارة الى بعض معجزات النبي ﷺ . أما الإماتة فالمراد بها هلاك من هلك بدعائه ﷺ كما ورد في الصحيحين عن أنس قال : كان رجل نصراني أسلم ، فقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ فعاد نصرانياً ، فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فقال له رسول الله ﷺ : اللهم اجعله آية فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا هذا فعل محمدوأصحابه ، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه ،

---

(١) كذا في الأصل .

فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا مثل الأول . فحفروا له وأعمقوا فلفظته الثالثة ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه بين حجرين ، ورضموا عليه الحجارة .

وكما ورد فيهما ، عن ابن مسعود ان النبي ﷺ قال : اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، عتبة ابن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية ابن حلف ، وعقبة بن معيط ، قيل وعمارة بن الوليد ، قال : فوالذي بعث محمداً بالحق ، لقد أريت الذين سماهم صرعى ثم سحبوا الى القليب – قليب بدر – .

وكما روي انه ﷺ دعى على عتبة بن أبي لهب لما آذاه ، فقال : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ، فأكله الأسد ، القصة .

وأما الحياة [1] ، فلعله أراد الشاة المسمومة التي كلمه الذراع منها ، وقد ترجم له الدارمي في سنده بقوله : في مسنده . ما لفظه باب ما أكرم الله نبيه ﷺ من كلام الموتى .

أخبرنا جعفر بن عون ، أنبأنا مجدر بن عمرو الليثي عن أبي سلمة قال : كان رسول الله ﷺ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فأهدت له امرأة من يهود خيبر شاتاً مصلية فتناول منها وتناول بشرين البرا ، ثم رفع النبي ﷺ يده ثم قال : إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة ، فمات بشرين البرا ، فأرسل اليها النبي

---

(١) أما إحياء الموتى : فما رواه أهل الحديث أن امرأةً من الأنصار مات لها ولد بعد دخولها في الاسلام فجاءت الى النبي ﷺ وهي تقول : اللهم إني أسلمت وآمنت بنبيك وبما جاء به ، فلا تجعل موت ولدي جزائي ، فدعا النبي ﷺ بدعوات قال الراوي : فوالله لم يبرح حتى قام وطعم من طعامنا اهـ وما رواه بعض أهل البيت من إحياء أبويه حتى آمنوا به اهـ نقلاً من حاشية على الأم لصاحبها القاضي العلامة أحمد بن حسن تقي رحمه الله .

ﷺ وقال لها : ما حملك على ما صنعت ؛ قالت : ان كنت نبياً لم يضرك شيء ، وان كنت ملكاً أرحت الناس منك ، الحديث .

ورواه عن طريق آخر قال فيها : فأخذ النبي ﷺ الذراع فأكل منها وأكل الرهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم النبي ﷺ : ارفعوا أيديكم .

وأرسل النبي ﷺ الى اليهودية فدعاها ، فقال لها : أسممت هذه الشاة ؟ فقالت : نعم ، ومن أخبرك ؟ فقال النبي ﷺ : أخبرتني هذه، في يدي، للذراع ، قالت: نعم،قال : فما أردت الى ذلك ؟ قالت : قلت ان كان نبياً لم يضره ، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه . فعفا عنها النبي ﷺ ولم يعاقبها . الحديث .

وقد أخرج هذه الرواية الثانية ، أبو داود وأصل الحديث ثابت في الصحيحين .

قال الإمام عليه السلام : وفيه إشارة الى ما روي عن الحسن البصري قال : أتى رجل النبي ﷺ فذكر انه طرح بنية له بوادي كذا ، فانطلق معه رسول الله ﷺ الى الوادي وناداها باسمها ، يا فلانة أجيبي بإذن الله، فخرجت وهي تقول : لبيك وسعديك ، فقال لها : ان أبويك قد أسلما ، فان أحببت أن أردك عليهما فعلت ، فقالت : لا حاجة لي فيهما ، وجدت الله خير لي منهما . ذكره القاضي عياض في الشفاء ، وإلى غير ذلك كما سيأتي في شرح قوله (كذاك إحيا اموات تناديه) اه .

وأمـا تكليم الجمادات لـــه .. وطوعها له ﷺ ففي ذلك أحاديث كثيرة ، فعن علي رضي الله عنه ، قال : كنت مع رسول

الله ﷺ في مكة فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل إلا و هو يقول السلام عليك يا رسول الله ، أخرجه الترمذي

وعن جابر ابن سمرة : أن رسول الله ﷺ قال : ان بمكة حجراً كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن ؛ أخرجه مسلم والترمذي .

وعن ابن عباس قال : جاء اعرابي الى رسول الله ﷺ قال : بما أعرف أنك رسول الله ؟ قال : ان دعوت هذا العذق من النخلة فشهد أتشهد لي أني رسول الله ؟ فدعاه رسول الله ﷺ فجعل العذق ينزل من النخلة حتّى سقط الى رسول الله ﷺ فسلم عليه فقال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم قال له النبي ﷺ : ارجع الى موضعك ، فعاد الى موضعه والتأم ، وأسلم الأعرابي عند ذلك ، أخرجه الترمذي ، ولم يذكر سلام العذق على النبي ﷺ .

وفي سيرة ابن هشام قال بن اسحق : وحدثني عبد الملك ، عن عبد الله الثقفي ، عن بعض أهل العلم ، ان رسول الله ﷺ حين اراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، وكان اذا خرج لحاجته ، أبعد حتّى تحسر عنه البيوت ويفضى الى شعاب مكة ، وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله ﷺ على حجر ولا شجر ، إلا قال السلام عليك يا رسول الله ، قال : فيلتفت رسول الله ﷺ حوله عن يمينه وشماله ، وخلفه فلا يرى شيئاً الا الشجر والحجارة ، وفي حديث أخرجه مسلم ، عن جابر قال : «سرنا مع رسول الله ﷺ حتّى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته ، فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير

شيئاً يستتر به ، واذا شجرتان على شاطىء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ الى حداها فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادي علي باذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش [١] الذي يتابع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي علي باذن الله ، فانقادت معه كذلك ، حتى اذا كان المنصف منهما [٢] ، لأم بينهما ، يعني جمعهما فقال : إلتئما علي باذن الله فالتئمتا ، قال جابر : فخرجت أحفر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة فاذا أنا برسول الله ﷺ واذ الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة فقال براسه هكذا وأشار الراوي برأسه يميناً وشمالا ، ثم أقبل فلما انتهى الي قال : يا جابر هل رأيت ؟ قلت : نعم يا رسول الله » الحديث. وفي هذا المعنى أحاديث أخر ، اه.

٥٨ * (كالشَّمْسِ والبَدْرِ كَانَا طَائِعَيْنِ لَهُ
وَالماءُ عن أَمرِهِ مَا زَالَ يُجْرِيــــهِ) *

أما الشمس فذكر في الامتاع في حديث الإسراء أن النبي ﷺ لما أخبر قومه بمكة بما أراه الله عز وجل من آياته ، اشتد تكذيبهم له ، وأذاهم إياه ، واستضراهم عليه وارتد جماعة ممن كان أسلم . وسألوه أمارة فاخبرهم بقدوم عير مكة يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم ولم يقدموا حتى كادت الشمس تغرب ، فدعا الله عز وجل فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ﷺ .

---

(١) الخشاش بالكسر ما يدخل في عظم أنف البعير من الخشب اه قاموس .
(٢) أي فيما بينهما .

قال بن اسحق : لم تحبس الشمس إلاّ له ذلك اليوم وليوشع بن نون .

وروي عن أسماء بنت عميس قالت : « كان رسول الله ﷺ يوحي اليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتّى غربت الشمس » .

فقال رسول الله ﷺ :«اللهم ان علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس ، فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد أن غربت . وفي رواية أخرى ، فقام علي فصل العصر فلما قضا صلاته [1] غابت الشمس فاذا النجوم مشتبكة» .

قال الامام عليه السلام .. أخرج ذلك الطحاوي ، وغيره ، وذلك بالصهباء من حنين .

وأما البدر فعن .. ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين ، فقال رسول الله (ص) اشهدوا .

وفي رواية أخرى ونحن معه فقال : اشهدوا ، وفي أخرى ، قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى انفلق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا ، أخرجه البخاري ومسلم . وأخرج مسلم والترمذي نحوه من رواية ابن عمر . وفي الصحيحين ، عن ابن عباس قال : إن القمر انشق في زمن رسول الله ﷺ ، وعن أنس « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر ، وفي أخرى ، فأراهم القمر شقتين ، أخرجه البخاري ومسلم ، وزاد

---

(١) أي فرغ من صلاته هـ .

الترمذي ، فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر) الى قوله (سحر مستمر) يقول ذاهب [١] .

عن جبير ا ن مطعم قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فلقتين ، فقالت قريش : سحر محمد أعيننا ، فقال بعضهم : لئن كان سحرنا ، ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم ، أخرجه الترمذي، وزاد رزين: وكانوا يتلقون الركبان فيخبروهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم [٢] .

وأما قصة إجراء الماء عن أمره ﷺ فسيأتي ذكر ما ورد في ذلك ، وهي التي احترز عنها الإمام عليه السلام ، بقوله في الترجمة غالباً[٣] لانها انما كانت بعد الهجرة .

٥٩ * (وعِندَ جَهلِ أَبي جَهْلٍ وجُرْأَتِهِ
فَجَاءَهُ أَمْرٌ لِتَركِ الجَهْلِ يُلْجِيهِ) *

عن ابي هريرة قال : قال ابو جهل : هل يعفر محمداً وجهه بين أظهركم ؟ قيل : نعم ، قال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك

---

(١) تفسير لمستمر أي مارٌّ ذاهب .

(٢) أنظر تفصيل هذا البحث في ظلال القرآن للسيد قطب رحمه الله فقد قرر فيه صحة القضية وتواترها عن أهل مكة وعن السفّار الذين وردوا عليهم وسألوهم ، لكنه قرر أن ذلك فيه تكريم لرسول الله ﷺ وليس جواباً لسؤال قريش الآية ، وأن ردّ الرسول لسؤالهم الآيات قد أوضحه القرآن بقوله (قل هل كنت الا بشراً رسولاً) فراجعه اهـ .

(٣) لم نجد غالباً في ترجمة الباب هذا فينظر ما أراد المؤلف بذلك .

لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه . قال : فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته قال : فما فجئهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، فقيل له:مالك ، قال : ان بيني وبينه لخندقاً من نار وهولا وأجنحة فقال ﷺ : لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً الحديث . أخرجه مسلم . وفي سيرة ابن هشام ، قال ابو جهل : يا معشر قريش ان محمداً قد أبى الا ما ترونه من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا ، واني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله أو كما قال : فاذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره . وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدوا ، وكان رسول الله ﷺ بمكة ، وقبلته الى الشام : فكان اذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام ﷺ يصلي وقد غدت قريش . فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجد ﷺ واحتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل به نحوه ، حتى إذا دنا منه منهزمامنتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على الحجر حتى إذاقذفه من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه ، عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ، أي رقبته ، ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني . قال ابن اسحق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل ، لودنا لأخذه ، اهـ.

وكان عاقبته أن قتله الله عز وجل شر قتلة ، مع غيره من صناديد

قريش يوم بدر بأيدي المؤمنين كما هو المشهور ،

٦٠ * (وفي الصحيفةِ لمَّا حاصرُوهُ بِشَعْ
ب الخيرِ جَائَت كَرامَاتٌ لِأَهلِيــــهِ) *

قال ابن اسحق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً يعني الحبشة ، أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، وكان هو وحمزة ابن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل ، اجتمعوا وأتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعون منهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا على ذلك ، كتبوا صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، تأكيداً على أنفسهم ؛ وكان كاتب الصحيفة عكرمة من بني عبد الدار وقيل غيره ، فدعى عليه النبي ﷺ فشلت بعض أصابعه .

قال ابن اسحق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم ، وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش وظاهرهم .

قال ابن اسحق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاث حتّى جهدوا لا يصل اليهم شيء إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش .

قال : ثم انه قام في نقض تلك الصحيفة نفر من قريش ولم يبل فيها أحدأحسن من بلاء هشام ابن عمرو من بني عامر ابن لؤي . وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه ، وكان واصلا لبني هاشم .

ثم انه مشى الى زهير ابن أبي أمية من بني مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا زهير قد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، أما أني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هاشم[1] ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك اليه ، ما أجابك اليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها . قال قد وجدت رجلا ، قال : من هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : أبغنا ثالثاً . فذهب إلى المطعم ابن عدي فقال له : يا مطعم أقد رضيت أنيهلك بطنان من بني عبدمناف وأنت شاهدعلى ذلك لمواقف لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لنجدنهم اليها منكم سراعاً ، قال : ويحك ماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : انا ، قال : ابغنا ثالثاً ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أمية ، قال : أبغنا رابعاً ، فذهب الى أبي البختري ابن هشام من بني أسد ابن عبد العزي ، فقال له : نحوا ما قال المطعم ابن عدي ، قال :

(١) في سيرة ابن هشام : الحكم بن هشام .

فهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أمية والمطعم ابن عدي وأنا معك ، قال: أبغنا خامساً ، فذهب الى زمعة بن الأسود ابن المطلب ابن أسد فكلمه فذكر له قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذي ندعوا اليه من أحد ، قال : نعم ، ثم سما له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم .

فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير ابن أبي أمية في حله وطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى، لا يباعون ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . قال : فقال أبو جهل وكان في ناحية من المسجد : كذبت والله لا تشق . فقال ربيعة ابن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كتبت ، وقال أبو البختري : صدق زمعة لا نرض ما كتب فيها ولا نقر به ، قال المطعم ابن عدي : صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها ، وقال هشام ابن عمرو : نحواً من ذلك ، فقال له أبو جهل : هذا والله أمر قضي بليل تشور عليه بغير هذا المكان، قال:وأبو طالب جالس في ناحية المسجد .

وقام المطعم بن عدي الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » .

قال ابن هشام : وقد ذكر بعض أهل العلم ان رسول الله ﷺ

قد كان قال لأبي طالب ان الله ربي قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ونفت عنها القطيعة والظلم والبهتان ، فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم، قال : فوالله ما يدخل عليه أحد ، ثم خرج الى قريش فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلم الى صحيفتكم فإن كان كما قد قال ابن أخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وإن كان كاذباً دفعت اليكم ابن أخي ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً ، فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ماصنعوا.

قال الامام عليه السلام: ومن الكرامات انها شلت يد كاتب الصحيفة ، وأن الأرض أكلتها ، غير ما فيه اسم الله تعالى ، وان النبي ﷺ أخبر بذلك عن جبريل عليه السلام كما سبق ذكره .

* (وكانَتِ الهِجرَةُ الصُّغرى مُقَدِّمَة
لِهِجرَةِ الفَتحِ والنَّصرِ الْمُوَالِيهِ) * ٦١

* (فاز النَّجاشِيَ [1] فِيها بالفَلاَحِ وَجَـا
ئتَ عنه أَنباءُ عِلمٍ كَانَ يَدْرِيـــهِ) * ٦٢

قال ابن هشام ، عن البكائي ، عن ابن اسحق قال : فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر أن

(١) النجاشي لقب يطلق على ملك الحبشة كما يطلق إسم قيصر على ملك الروم ونحوه .

يمنعهم ما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله سبحانه بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الاسلام ، فكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ والزبير ابن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة ابن عبد الأسد ، ومعه امرأته أم سلمه وغيرهم ، ثم خرج جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عميس ، وابن مسعود ، وعثمان بن مطعون ، والمقداد وغيرهم عددهم ابن اسحق وسماهم رضي الله عنهم .

ثم قال : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوا أبنائهم الذين خرجوا معهم صغاراً والذين ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر منهم ، قال ابن اسحق : فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمئنوا بأرض الحبشة . وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، إئتمروا بينهم يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدين الى النجاشي ، فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ، ويخرجونهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وجمعوا اليهما هدايا للنجاشي ، ولبطارقته ، ثم بعثوا بها إليه معهم وقالوا لهما : إدفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما الى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم .

فخرجا حتى قدما على النجاشي ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي . وقالا لكل بطريق أنه قد ضوي الى بلد الملك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم . وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا فيهم الى الملك أشراف قومهم ليردوهم اليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه ان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعثرلهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما نعم ؛ ثم انهما قدما هداياهما الى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فيهم بنحو ما كلما بطارقته ، فقال بطارقته : صدقا ايها الملك ، ردهم اليهما ليردوهم الى بلادهم وقومهم ؛ فغضب النجاشي وقال : لا ها الله ذا [1] ، لا أسلمهم اليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم . فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك ، منعتهم منهم واحسنت جوارهم ، ثم أرسل الى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا وقد دعى الملك أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم ما هذا الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذي تكلم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : ايها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل

---

(١) معناها لا والله ما أرضى هذا .

الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، وعفا فه ، فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ وعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به عن الله تعالى ، فعدى علينا قوم فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل ، وأن نستحل ما كنا نستحله من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي .. هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ فقال له جعفر : رضي الله عنه : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه علينا ... فقرأ صدراً من سورة (كهيعص) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة ، فانطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما ولا يكادون فلما خرجا من عنده .

قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل بـه خضرائهم ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ، لا تفعل فان لهم

أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد . ثم غدا عليه الغد . فقال أيها الملك ، انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيماً ، فأرسل اليهم فاسألهم عما يقولون فيه ، فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول ما قال الله . وما جاءنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول .

فضرب النجاشي بيده الى الأرض، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا [1] عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : وان نخرتم والله [2] ، اذهبوا فانتم سيوم بارضي والسيوم الآمنون ، من سبكم غرم ، ثم قال : ومن سبكم غرم ، ثم قال : ومن سبكم غرم ، ما أحب لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم .

والدبر بلسان الحبشة : الجبل ، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، الى آخر القصة ، سيوم صح بالسين المهملة وكذا دبرا بالدال المهملة المفتوحة ثم ياء موحدة سألته .

ثم حكي عن عائشة أنها قالت : لما مات النجاشي ، كان يحدث انه لا يزال يرى على قبره نور ، وقد تقدم حديث إيمان النجاشي

(١) أي ما تعدّى .

(٢) يعني أظهروا صوت استنكار من نخرهم أي آنافهم .

برسول الله ﷺ . وفي يوم وفاته قال ﷺ : قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش ، وفي رواية : ان أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه ، فقام فصف بنا كما يصف على الجنازة وصلى عليه وفيه روايات أخر ، والمراد بهجرة الفتح ؛ هجرة النبي ﷺ الى المدينة ، وسيأتي ذكرها .

٦٣ * (وبَعْدُ ذا جاءَ من أَنباءِ قَيلَةَ مَنْ
بالطوعِ والنَّصرِ والإيوآءِ يُنْبِيْهِ) *

٦٤ * (وفي ثَلاثَةِ أَعوَامٍ متَابَعَــةً
قد بايَعوه بما يَشفِي ويُرضِيهِ) *

٦٥ * (وَلَمْ يَزَلْ وَافِدُ الإِسْلاَمِ يَطْرُقُهُمْ
وكلُّهم لِجَميلِ النُّزلِ يُسدِيهِ) *

أبناء قيلة : هم الأوس والخزرج ، وقيلة أم لهم ينسبون اليها ، وهي قيلة بنت كاهل ؛ قال في الإمتاع ، وكان مما صنع الله تعالى للأنصار ، وهم الأوس والخزرج أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من بني قريظة والنضير : اليهود في المدينة ، أن نبياً مبعوثاً في هذا الزمان ، ويتوعدون الأوس والخزرج به، اذا حاربوهم فيقولون انا سنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكانت الأوس والخزرج تحج البيت فيمن يحجه من العرب ، فلما رأوا رسول الله ﷺ يدعو الناس الى الله رأوا أمارات الصدق لائحة ، فقالوا : والله هذا الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه الى أن قال :

ثم إن رسول الله ﷺ لقي عند العقبة من (منى) في الموسم سنة

نفر كلهم من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله وللرسول ، وآمنوا وصدقوا . قال : ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة ، فذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام ففشى فيهم حتّى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

(بيعة العقبة الاولى)

فلما كان العام المقبل .. وافا الموسم من الأنصار إثني عشر رجلا منهم تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس فأسلموا ؛ وقد كان معه يومئذ علي وأبو بكر رضي الله عنهما ، فبايعوه عند العقبة على الإسلام ، كبيعة النساء ، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال .

فبعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير ؛ ويقال : وابن أم كلثوم .. ليعلما من أسلم القرآن ويدعوا الى الله تعالى، فنزلا بالمدينة على أبي أمامة أسعدابن زرارة فخرج بهما إلى دار بني ظفر ، واجتمع عليهما رجال ممن أسلم .

فأتاهم : أسعد بن جعفر وسعد بن معاذ،وهما سيدا بني عبد الأشهل ، فدعاهما مصعب الى الإسلام فهداهما الله وأسلما ، ودعوا قومهما الى الله تعالى ، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة الا وقد أسلموا ، إلا الأصرم عمرو بن ثابت فانه تأخر إسلامه الى يوم أحد ، ولم يزل مصعب بن عمير يدعوا الى الإسلام حتّى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها عدة مسلمون ؛ إلا بني أمية بن يزيد ، ووائل ، وواقف، فانه تأخر اسلامهم [1]،وهم

(١) وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وكان شاعراً وقايداً لهم يستمعون منه فوقف بهم على الإسلام حتى هاجر رسول الله (ص).

بطون من أهل المدينة ، وكان مصعب ابن عمير يؤم بمن أسلم وجمع بهم بومأوهم أربعون،في «هزم»[1] بحرة بني بياضة في بقيع الخضمات .

ثم عاد الى مكة واخبر رسول الله ﷺ بمن أسلم فسره ذلك .

(بيعة العقبة الثانية)

ثم كانت بيعة العقبة الثانية إذ توافد في الموسم خلق من الأنصار ما بين مشرك ومسلم وزعيمهم البرا ابن مغرور ، فتسلل منهم جماعة مستخفون لا يشعر بهم أحد ، واجتمعوا برسول الله ﷺ في ذي الحجة وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة ، فلما كان الليل ، خرجوا بعد مضي ثلاثة أيام مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وهم ثلاثة وسبعون رجلا ، وامرأتان هما :أم عمارة نسيبة بنت عمرو بن كعب وأسما بنت عمروبن عدي، وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس رضي الله عنه وهو على دين قومه ، وعلي وأبو بكر رضي الله عنهما فأوقف العباس علياً على فم الشعب عيناً له وأوقف أبا بكر على فم الطريق عيناً له وتكلم العباس أولا يتوثق لرسول الله ﷺ ثم تلى عليهم رسول الله ﷺ القرآن ورغبهم في الإسلام ، وشرط عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نسائهم فأخذ البرا بن مغرور بيده[2] وقال : والذي

---

(١) هزم بني النبيت على بريد من المدينة .

(٢) أي بيد رسول الله ﷺ .

بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه . أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب .

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن النبهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالا ونحن قاطعوها فهل عسيت إن أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا .

فتبسم رسول الله ﷺ فقال: أنتم مني وأنا منكم ، أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم .

وفي كلام آخر ، فقالوا : أبسط يدك ، فبايعوه ، وكان أولهم مبايعة أبو أمامه أسعد[1] بن زرارة ، وكانت بيعتهم على أن بمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونسائهم وأزرهم ، وأقام ﷺ اثني عشر نقيباً منهم ، كما في الامتاع وغيره ،

فلما تمت بيعتهم استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل «منى» بأسيافهم ، فقال : لم أؤمر بذلك ، فعادوا الى المدينة .

واشتد الأذى بمكة على من بمكة من المسلمين ، فاذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة الى المدينة . فبادروا الى ذلك ، وتجهزوا الى المدينة في خفي وستر وتسللوا ، فيقال : انه كان بين أولهم وآخرهم أكثر من سنة ، وجعلوا يتوافدون بالمال والظهر ويتواقفون .

و (النزل) مايعد للظيف و (الإسداء) الإعطاء وذلك أنه كان ينزل كل وافد من المهاجرين على بيت من الأنصار فيكرمون نزلهم . ويشاطرونهم أموالهم ويبالغون في تأهيلهم وإكرامهم .

---

(١) في بعض المراجع التي كانت المقابلة عليها انه سعد بن زرارة بحذف الألف

فصل

في ابتداء الهجرة الكبرى وما كان فيها من المعجزات

٦٦ * (وحِينَمَا أَذِنَ الرحمن بِالسَّفَرِ الْـ
مَيمونِ قَام رسولُ اللهِ يَنوِيــهِ) *

٦٧ * (فَغَار في الغَار مَقروناً بِصاحِبِــهِ
والسابِقُ الأَوَّلُ الضِرغَامُ يَفدِيـــهِ) *

٦٨ * (فسلَّمَ اللهُ كلاًّ في مُعَرَّسِــهِ
وعَزَّ مَن كَانَ رَبُّ العَرشِ يَحمِيهِ) *

٦٩ * (وآية العَنكَبوتِ والحَمَامِ جَــرَت
كَذَا ترابٌ لِحَرْبِ الشِّركِ يُعْمِيـــهِ *)

قال في الإمتاع : تلاحق المسلمون بالمدينة يخرجون من مكة أرسالا حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وعلي وأبو بكر - رضي الله عنهما - أقاما بأمن لهما وإلا من اعتقله المشركون كرهاً ، فحذرت قريش خروج رسول الله ﷺ واشتوروا بدار الندوة

يحبسونه في الحديد ويغلقون عليه باباً ، أو يخرجونه من مكة ، أو يقتلونه ثم اتفقوا على قتله .

فأعلمه الله عز وجل بذلك ، فلما كان العتمة ، اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصدونه متى ينام فيثبون عليه ، فلما رآهم ﷺ أمر علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْه أن ينام على

فراشه ، ويتسبح ببرده الأخضر ، وأن يؤدي ما عنده من الودائع والأمانات ، ونحو ذلك ، فنام على فراشه ﷺ وتغطى ببرده الأخضر ، فكان أول من شرى نفسه ، وفيه نزلت الآية الكريمة : (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) وخرج ﷺ وأخذ حفنة من تراب وجعله على رؤوسهم وهو يتلو الآيات : من أول (يس * والقرآن الحكيم) الى قوله (فهم لايبصرون) فطمس الله تعالى أبصارهم فلم يروه ، وانصرف رسول الله ﷺ وهم ينظرون عليا رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيقولون : ان محمداً

لنائم ،حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فعرفوه ، وأنزل الله تعالى في ذلك : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

وسألوا أولئك الرهط علياً رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال : لا أدري ، أمرتموه بالخروج فخرج ، فضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثم خلوا عنه ، فأدى أمانة رسول الله ﷺ .

ولما خرج ﷺ أتى أبا بكر رضي الله عنه فأعلن أنه يريد الهجرة ، وقد جاء انه ﷺ اتى أبا بكر رضي الله عنه بالهاجرة وأمره ان يخرج من عنده وأعلمه إن الله عز وجل قد أذن له في الخروج ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : الصحبة يا رسول الله ، قال الصحبة فبكى من الفرح فاستأجرا عبد الله بن أريقط الليي من بني الديل ليدلهما على الطريق ، وخرجا من خوخة في دار ابي بكر رضي الله عنه ومضيا إلى غار في جبل ثور فلم يصعدا الغار حتى قطرت قدما رسول الله ﷺ دماً ، لأنه لم

يتعود الحفية ، ولا الرعية ، ولا السفر وعادت قد ماأبي بكر كأنها صفوان وعمى الله عز وجل على قريش خبرهما فلم يدروا أين ذهبا ، وكان عامر ابن فهيرة يريح عليهما غنيمة وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تحمل لهما الزاد الى الغار وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه يستمع لهما ما يقال فيهما بمكة ثم يأتيهما بذلك ، وجاء قريش في طلبهما الى ثور وما حوله ، ومروا على باب الغار وحاذت أقدامهم رسول الله ﷺ وأبا بكر .

وقد نسج العنكبوت وعششت حمامتان على باب الغار وذلك قوله تعالى : (إلا تنصرون فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) الآية .
وبكى أبو بكر وقال : يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى موضع قدمه لرآنا . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأعمى الله على قريش .

وقد قفى كرز بن علقمة أثر رسول الله ﷺ حتى انتهى الى الغار فرأى عليه نسج العنكبوت . فقال : ها هنا انقطع الأثر فلم يهتدوا اليهما ورجعوا ا هـ .

فنودي بأعلى مكة واسفلها من قتل محمداً فله مائة من الإبل ، ويقال جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله ديته .

وقد اشتملت هذه الجملة على المعاني التي أشار اليها الإمام عليه السلام في الأبيات الأربعة وان اختلف الترتيب في بعضها ، والمراد بصاحبه أبو بكر رضي الله عنه وبالسابق الأول مولانا

امير المؤمنين علي كرم الله وجهه في الجنة .

و(المعرس في) الأصل موضع التعريس ، وهو حيث ينزل المسافر آخر الليل للاستراحة ، ثم اتسع فيه .

وقال الإمام عليه السلام في قوله : قام رسول الله ينويه ، هو من قولهم : قام فلان بالأمر اذ انهض به واحتفل له ، وقد جاء من افعال المقاربة ذكره كثير من النحويين وهو أنسب بهذا الموضع .

وقال عليه السلام في قوله الضرغام يفديه . جاء في حديث أخرجه ابن عساكر في الأربعين الطوال له أنه لما خرج النبي ﷺ مهاجراً بات علي على فراشه يفديه بنفسه ، وذكر الغزالي : ان الله باهى بذلك جبريل وميكائيل ـ عليهما السلام ـ وقال ـ عليه السلام ـ في قوله وآية العنكبوت . أخرج ابن عساكر عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة . أن الله تعالى أمر شجرة فنبتت تجاه رسول الله ﷺ ليلة الغار فسترته . وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار .

وروى احمد باسناد حسن ، أن العنكبوت نسجت على باب الغار ، فلما أتى الطالبون ، قالوا : لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي ﷺ يسمع كلامهم فانصرفوا .

* (وتَمَّ يعد ثلاثِ قَصْد هِجْرَتِه الْـ
كبْرى وحِفْظ الرؤوفِ البَرِّكالِيْهِ) * ٧٠

* (وحين عَادَ روَيْعِيهم لِيعلِمهم
إذا بِهِ حِبْسَةٌ في اللِّسنِ تَلْوِيـهِ) * ٧١

٧٢ * (كذا سراقَةَ قَد كَاد التُّرَابُ لَه
لَولاَ التدَاركَ في الأَرضين يَخفِيهِ) *

قال في الإمتاع : فلما مضت ثلاث لرسول الله ﷺ وابي بكر وهما في الغار ، أتاهما دليلهما وقد سكن الطلب عنهما ومعه بعيراهما فأخذ أحدهما رسول الله ﷺ من أبي بكر بالثمن ، وقد كان أبو بكر أعدهما قبل ذلك ، وأعد جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظراً متى يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالخروج وعلف ناقته أربعة أشهر فركب رسول الله ﷺ على الجدعاء .

وخرجا من الغار سحر ليلة الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاول على الصحيح ومعهما سفرة أتت بها أسماء بنت أبي بكر وساروا .

وقد أردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار عبد الله ابن الأريقط أمامهما على راحلته حتى قالوا يوم الثلاثاء ـ هو من القيلولة ـ وذلك بعد العقبة لشهرين وليال على الصحيح ، وحكى الإمام عن القاضي عياض وغيره أن راعياً عرف خبر النبي ﷺ وابي بكر فخرج يشتد فلما وصل مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع ونسي ما جاء لأجله حتى رجع الى موضعه وفي بعض الروايات أنه انعقد لسانه ، فلم يستطع نطقاً ا هـ .

وقال في الإمتاع : «ومروا ببني مدلج فبصر بهم سراقة بن مالك بن جشم المدلجي فركب جواده ليأخذهم حتى اذا قرب من رسول الله ﷺ وسمع قراءته ساخت يدا فرسه في الأرض الى بطنها وكانت صلبة وثار من تحتها مثل الدخان فقال سراقة : ادع

لي يا محمد ليخلصني الله ولك علي أن أرد عنك الطلب ، فدعا له فتخلص ، فعاد يتبعه . فدعا عليه ثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى فقال : يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك علي فادع الله لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب ، فدعا له فخلص وقرب من النبي ﷺ وقال : يا رسول الله خذ سهماً من كنانتي فإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت فقال ﷺ لا حاجة لي في ذلك .

فلما أراد أن يعود عنه قال ﷺ : كيف بك يا سراقة اذا سورت بسواري كسرى ، قال : كسرى ابن هرمز ؟ قال ﷺ : نعم ، وسأل سراقة رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً فكتب له أبو بكر ويقال بل كتب له عامر بن فهيرة[1]، ورجع يقول للناس كفيتم ما ها هنا ويرد عنهم الطلب » .

ولقي رسول الله ﷺ بريده ابن الخضيب الأسلمي في ركب في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة وهم يريدون موقع سحابة فأسلموا بعدما دعاهم الى الله واعتذروا بقلة اللبن عندهم وقالوا : مواشينا عاجفة . وجاءه أبو بكر بلبن فشربه وشرب أبو بكر ودعا لهم بالبركة .

ولقي أيضاً أوس بن حجر رسول الله ﷺ فاعاره جملا وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود ليرده اليه من المدينة .

ومر رسول الله ﷺ .. بخيمتي أم معبد عاتكة بنت خويلد فقال عندها ـ من القيلولة ؛ وأراها الله تعالى من أمارات نبوته ﷺ في الشاة وحلبها لبناً وهي حامل في سنة مجدبة فابهر

---

(١) وقد صدق الوعد في عهد عمر بن الخطاب ولبس سرافة السوارين بعد أن جاءت في غنائم المسلمين .

عقلها ، ويقال انها ذبحت لهم شاة وطبختها واكلوا منها وسفرتهم منها ما وسعته سفرتهم وبقي عندها أكثر لحمها ، وقالت أم معبد : لقد بقيت الشاة التي مسح رسول الله ضرعها الى العام الرمادة ، وهي سنة ثمانية عشر من الهجرة ، وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً وما في الأرض قليل ولا كثير .

وكان المهاجرون قد استبطئوا قدوم رسول الله ﷺ وبلغ الأنصار مخرجه من مكة وقصده إياهم فكانوا كل يوم يخرجون الى الحرة ينتظرونه فاذا اشتد الحر عليهم رجعوا .

فصل

في استخلاف أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ووصيته اليه .

٧٣ * (وكان أوَّل ما استَكْفى خَليفَتَهُ
تاريخَها لِيُقضِّي ما يُقَضِّيهِ) *

٧٤ * (وجرَّدَ العَزمَ مِنه بَعْد ثالِثَةٍ
من بَعدِ إنفاذِ ما قد كان يُوصِيهِ) *

٧٥ * (وحِينَ وَافي رسولَ الله أَنزَلَهُ
مَعْهُ بِمَنزِلَهِ واختَصَّهُ فِيهِ) *

قال في الإمتاع : وقدم علي رضي الله عنه وكرم وجهه من مكة بعدما أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده بعدما كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه ، فاعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه

وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك حتى قتل رضي الله عنه
وقيل : نزل على كلثوم ابن الهدم وقيل على امرأة .

والراجح أنه نزل مع النبي ﷺ [1] .

* (ثم اغتَدٰى يَتَبَارٰي بَعدهُم طَبَقُ الْـ

مُهاجِرِينَ لِبَرٍّ في تَبَارِيـــــــــهِ) * ٧٦

قد تقدم ذكر المهاجرين والأنصار الى المدينة قبل خروج النبي ﷺ من مكة وانه لم يبق فيها إلا رسول الله ﷺ وعلي وابو بكر او من جلس كرهاً .

قال الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام

والمراد بقوله ثم اغتدى بتبارى الخ ... من تأخرت هجرته عن رسول الله ﷺ وعلي كرم الله وجهه من غير مكة وغيرهم من القبائل ، وأهل الحبشة وغيرهم وكذا من كان محبوساً أو تأخر إسلامه .

وقد قال ابن هشام : بعدما كان أبو أيوب وزوجته يفعلانه في عشاء رسول الله ﷺ : قال ابن اسحق : وتلاحق المهاجرون الى رسول الله فلم يبق أحد منهم بمكة الى آخر ما ذكر فالذي في القصيدة هو على نحو ما في السيرة من ذكر المهاجرين السابقين واللاحقين بل على ما في القرآن الكريم في سورة الحشر . يعني في قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) على أحد التأويلين وهو الأقوى ا هـ .

قال في الإمتاع : وبعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة وأبا

(١) كما هو في رواية الإمتاع المذكورة .

رافع الى مكة ودفع اليهما بعيرين وخمس مائة درهم أخذها من أبـي بكر يشريان بها ما يحتاجان اليه ، وبعث أبو بكر عبد الله ابن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاثة وكتب الى عبد الله ابن أبي بكر ان يحمل أهله أم رومان وعائشة وأسماء، فاشترا زيدبالخمس مائة ثلاثة أبعرة لحديد وقدم مكة فاذا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة فقدم المدينة على رسول الله ﷺ بابنته فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهما وزوجته سودة بنت رفعة ، وأسامة بن زيد ، وأم أيمن ، وكانت رقية قد هاجر بها عثمان (رض) قبل ذلك وجلس أبو العاص بن الربيع وزوجته (زينب) بنت رسول الله ﷺ وخرج مع زيد وأبي رافع عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر .

٧٧ * (وكانَ من خَيرِ أَنصارِ مُنَافَسَــةً
في مُستَقَرِّ رَسُولِ اللهِ تَبغِيـــــهِ) *

٧٨ * (وكان من ناقة المختار آيتها
في موضع المَسجِدِ المَيمونِ تُثْوِيْــهِ) *

٧٩ * (وتَمَّ حَظٌّ أَبي ايوب فاحتمل الـ
رَّحلَ الكريم إلىٰ مَأْوَاهُ يُؤْوِيـــهِ) *

قال في الإمتاع وغيره : فلما كان يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول على الصحيح على رأس ثلاث عشرة سنة من المبعث وافى رسول الله ﷺ المدينة حين اشتد الضحى ، ونزل الى جانب الحرة وقد عاد المهاجرون والأنصار بعد ما نتضروا على

عادتهم ، الى أن قال : فكان أول من بصر برسول الله ﷺ رجل من يهود كان على سطح إطم له فنادى بأعلى صوته : يا بني قيلة هذا جدكم [١] الذي تنتظرون ، فخرج الأنصار مع المهاجرين في سلاحهم فوافوه مع أبي بكر في ظل نخلة ، وحيوا رسول الله ﷺ بتحية النبوة وقالوا : اركبوا آمنين ، فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر وحفوا حولهما بالسلاح .

وقيل بالمدينة [٢] جاء رسول الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ينظرون اليه ، وأقبل يسير حتى نزل على أبي قيس كلثوم بن الهدم من بني عمر ابن عوف عن الصحيح .

قال وأقام ﷺ في بني عمر بن عوف الإثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ؛ ثم خرج يوم الجمعة على الصحيح وأسس حينئذ مسجد « قبا » وآتاه عبدالله بن سلوم وأسلم مخيريق اليهودي .

ثم ركب ﷺ بأمر الله تعالى له وسار على ناقته والناس عن يمينه وشماله قد حشدوا ولبسوا السلاح وذلك ارتفاع النهار من يوم الجمعة فجعل كلما مر بقوم من الأنصار قالوا : هلم يا رسول الله الى القوة والمنعة والثروة فيقول لهم خيراً ، ويقول رسول الله ﷺ : دعوها [٣] فانها مأمورة ، وفي حديث إنها مأمورة خلوا سبيلها .

---

(١) أي حظكم .

(٢) أي شاع خبر وصوله ﷺ وقال القائل في المدينة جاء رسول الله ﷺ .

(٣) الضمير عائد إلى الناقة .

فلما أتى مسجد بني سالم جمع بمن معه من المسلمين وهم آن ذاك مائة رجل وخطبهم رسول الله ﷺ وهي أول جمعة أقامها رسول الله ﷺ في الإسلام وأول خطبة خطبها .

قام فيهم فحمدالله واثنى عليه بما هو أهله ثم قال :«أما بعد أيها الناس تقدموا لأنفسكم لتعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن عنه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحميه دونه ألم يأتك رسولي فيبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ،من استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل ومن لم يجد فكلمة طيبة ، فان بها يجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته» .

ثم ركب ناقته فلم تزل سائرة به وقد أرخى زمامها حتى جاءت دار بني النجار ، موضع مسجده الآن ، فبركت ثم نهضت وسارت قليلا ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول .

وقيل : ان جبار بن صخر من بني سلمة وكان من صالحي المؤمنين جعل ينخسها لتقوم منافسة لبني النجار أن ينزل رسول الله ﷺ عندهم ، فلم تقم ، فنزل رسول الله ﷺ عنها .

وحمل أبو أيوب خالد بن النجار رضي الله عنه رحل رسول الله ﷺ الى منزله ، وجاء أسعد ابن زرارة رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلة رسول الله ﷺ فكانت عنده .

وأول هدية أهديت لرسول الله ﷺ قصعة مثرودة خبزاً وسمناً ولبناً جاء بها زيد بن ثابت رضي الله عنه من عند أمه ، فأكل رسول الله ﷺ منها وأصحابه .

ثم جاءت قصعة سعد بن عباده وفيها عراق لحم فأقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه سبعة أشهر .

وماكانت تخطيه جفنة سعد بن عبادة وجفنةسعدبنزرارة كل ليلة ، وجعل بنو النجار يتناوبون في حمل الطعام اليه ﷺ مدة مقامه في منزل أبي أيوب .

ثم اشترى رسول الله ﷺ موضع مسجده وكان مربداً لسهل وسهيل ابني عمر وكانا يتيمين في حجر أسعد ابن زرارة ، فبنى رسول الله ﷺ مسجده المعروف الآن بالمدينة .

وبنى رسول الله ﷺ الحجر لأزواجه بجانب المسجد ، وجعلها تسعاً بعضها مبني بحجار قد رصت ، وسقفها من جريد مطين بطين ولكل بيت حجرة .

وكانت حجرته ﷺ أكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر وإلى ذلك أشار عليه السلام بقوله : ثم ابتنى الطهر والأصحاب البيتين .

فصــل

في بناء المسجد ومساكن الرسول (ص) وما كان فيه من المعجزات والكرامات

* (ثم ابتَنَي الطُّهرُ والأَصحابُ مَسجِدَه
كُلٌّ لِقَصدِ رِضَا الرَّحمنِ يَبنِيـهِ) * ٨٠

٨١ * (كذا مساكِنَه مِن حَولِه بُنِيَت
وضُمِّنَتْ لِأَخِيهِ أَي تَنْوِيْـــــــهِ *)

وفي جامع الأصول عن أنس قال : «قدم رسول الله ﷺ المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم انه أرسل الى ملأ[1] من بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم ، قال : فكأني أنظر الى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملؤ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب قال : فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي على مرابض الغنم » .

ثم انه أمر بالمسجد قال : فأرسل الى بني النجار فجاءوا فقال : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا ، قالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا الى الله عز وجل قال أنس : فكان فيه ما أقول ، فان فيه نخل وقبور المشركين وخرب فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع ؛ وقبور المشركين نبشت ، والخرب فسويت ، قال : وصفوا النخل قبلة . وجعلوا عضادتيه حجارة ، قال : فكانوا يريحون ورسول الله ﷺ معهم وهو يقول لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة » أخرجه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي .

قال الإمام يحيى شرف الدين عليه السلام

(وضمنت لأخيه أي تنوية) أي الإرتفاع إشارة الى حديث أمر النبي ﷺ بسد الأبواب الشارعة الى المسجد وترك باب علي كرم الله وجهه ، فان الحديث قوي صحيح أخرجه أهل البيت وأشياعهم لا يعرفون سواه ،

---

(١) الملأ : الجماعة .

وأخرجه النسائي والحاكم من حديث ابن عباس، وسعد ابن ابي وقاص، وزيد ابن أرقم. وجابر بن سمرة . وفي بعضها أن النبي ﷺ قال: «ما أنا أمرت بسدها ولكن الله أمر بسدها»، حين تكلم أناس في ذلك . وفي رواية: «اني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته» اه .

عن زيد ابن أرقم قال : كانت لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد .فقال يوماً « سدوا هذة الأبواب الا باب علي» قال : فتكلم في ذلك أناس ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : «أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب . فقال فيه قائلكم : والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته» ، رواه الحاكم في المستدرك .

* (وَأَظْهَرَت لِأَبِي اليَقْظَانِ مَنْقِبَــةً
وآيَةً مِن عُلُومِ الغَيْبِ تُعْلِيــهِ) * ٨٢

عن أبـي سعيد الخدري قال : كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فمر به ﷺ ومسح عن رأسه وقال: «ويح عمار يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه إلى النار أعوذ بالله من الفتن» ، وفي رواية قال: « يقول عمار أعوذ بالله من الفتن » أخرجه البخاري. قال الحميدي: وفي هذا الحديث زيادة مشهورة لم يذكرها البخاري أصلا . من طريق هذا الحديث ولعلها لم تقع إليه فيها ، او وقعت فحذفها . لغرض قصده في ذلك ، وأخرجها أبو بكر رضي الله عنه وأبو بكر الاساعيلي قبله ، وفي هذا الحديث عندهما ، ان رسول الله ﷺ قال : « ويح عمار تقتله الفئة

الباغية ، يدعوهم الى الجنة ، ويدعونه الى النار» هكذا في جامع الأصول ، وفيه عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ لعمار «تقتلك الفئة الباغية» ، وفي رواية : تقتل عمار الفئة الباغية،أخرجه مسلم ، وفيه أحاديث أخر ، وفي سيرة ابن هشام في حديث بناء المسجد ما لفظه : فدخل عمار ابن ياسر وقد اثقلوه باللبن ، فقال : يا رسول الله قتلوني ، يحملون علي ما لا يحملون ، قالت ام سلمة زوج النبي ﷺ : فرأيت النبي ﷺ ينفض وفرته بيده وكان رجلا جهداً ، وهو يقول :«ويح ابن سميه ليسوا بالذين يقتلونك ، انما تقتلك الفئة الباغية » وأرتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ :

لا يستوي من يعمر المساجـــدا يدأب فيه قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبـــار حائـــدا

فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها ، فلما أكثر ، ظن رجل سماه ابن اسحق [١] من أصحاب رسول الله ﷺ انه إنما يعرض به ، فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا بن سمية ، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وبيده عصا فغضب رسول الله ﷺ .

ثم قال « ما لهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي ، فاذا بلغ ذلك من الرجل لم يستبق فاجتنبوه» اهـ .

وروي ان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين كان كافاً عن القتال مع علي كرم الله وجهه فلما قتل عمار بصفين ، سل سيفه وقال :

(١) ذكر السهيلي أنه عثمان بن عفان . والله أعلم .

حل لي القتال فقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى ومثل ذلك روي عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم وقد ذكر كثيراً من علماء الحديث وغيرهم ان قول النبي ﷺ لعمار : تقتلك الفئة الباغية : من الحديث المتواتر . قال المؤلف ، الإمام عليه السلام وفيه برهان قاطع أن معاوية وأصحابه وأشكالهم من أهل النار ، خلاف ماعليه الأشعرية وغيرهم من أن أولئك وسائر المتأولين لهم أجر ، فان هذا الحديث يرد عليهم رداً قاطعاً مع غيره من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، مثل قوله تعالى (قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) (إنما بغيكم على أنفسكم) وأحاديث معوية والخوارج وهم المتأولون حقيقة وأما معاوية وأصحابه فالسالم من عداوة النبي ﷺ وأهل بيته ، بل وغير السالم يعلم ضرورة أنهم غير متأولين بل طالبوا بملك باطل ، وظل حائل لا محالة ، كما نص عليه الإمام الحسن بن علي عليه السلام في خطبته يوم صلح معاوية .

ولقد ذهب عقل الذهبي حين ذكر قول النبي ﷺ بالحديث الصحيح « ويدعونه الى النار » فقال الذهبي هذا أمر معضل ولعل علياً رضي الله عنه ارسل عماراً الى الخوارج [1] ، فانظر كيف ضل عقل هذا الرجل بتصميمه على عقيدته المنحوسة ونحلته المنكوسة حتى قال : لعل علياً أرسله الى الخوارج .

وأين الخوارج من قتل عمار فانهم ظهروا بعد انقضاء صفين .

---

(١) في حاشية على الأصل قال : حديث « تقتلك الفئة الباغية » متواتر ، وتأويل الذهبي باطل ، تمت .

فيا لله وللمسلمين من هؤلاء المصممين على مصادمة البراهين اهـ .
العجب كل العجب ممن يتولى الفئة القاتلة له . أي لعمار ويرضى عنهم مع علمه بذلك نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

فصل

في المؤاخاة بين أعيان لمسلمين

٨٣ * (وَحِينَ آخَى رَسُولَ اللهِ بَيْنَ ذَوِي الْ
إسلاَمِ قَالَ عَلِيٌّ ذُوْ أُوَاخِيهِ) *

قد تقدم ذكر حديث المؤاخاة .
عن ابن عمر قال: «لما آخى رسول الله ص بين أصحابه جاءه علي تدمع عيناه فقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم توآخي بيني وبين أحد . قال فسمعت رسول الله ﷺ يقول : أنت آخي في الدنيا والآخرة » أخرجه الترمذي . قال في الإمتاع آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار فكانوا يتوارثون هذا الأخاء في ابتداء الاسلام إرثاً مقدماً على القرابة وكان الذين اخا بينهم تسعين رجلا . خمسة واربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصاو . ويقال خمسين من هؤلاء وخمسين من هؤلاء .
ويقال انه لم يبق من المهاجرين أحداً إلا آخى بينه وبين أنصاري . وكانت المؤاخات بعد مقدمه بخمسة أشهر وقيل بثمانية أشهر ثم نسخ التوارث بالمؤاخاة بعد بدر .
وقوله: علي ذو أو أخيه، مبتدأ وخبر وذو هي الطائية التي هي بمعنى الذي . أي قال رسول الله ﷺ : علي الذي أو آخيه وفي سيرة ابن هشام في حديث المؤاخاة عن النبي ﷺ ما لفظه قال : « تآخو في الله اخوين اخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي

الله عنه فقال : هذا أخي » فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد- ويروى خطر والخطر والخطير[1] المثل في العلو ، ذكره في القاموس-وعلي رضي الله عنه [2] أخوين بعد الهجرة غالباً[3] .

فصل في الوفود

* (وَمَا اطْمَأَنَّت بخَير الرسْلِ هِجْرَتُه
إلا وكرّت وفُود الخَلقِ تَـأْتِيــــهِ) * ١٠٤

* (جنٌّ وإنْسُ وأَهل الكُتْبِ قاطبةً
هذا يَفُوزُ وَذَا الشَّيطَانُ يُغْوِيــــهِ) * ١٠٥

قال الامام عليه السلام : كان حال إنشاء هذه الوسيلة المباركة وعلى ذهني انه تكرر وفود الجن على رسول الله ﷺ بد الهجرة وعزب عني حال وضع التراجم ، فجعلت لفظ غالباً في الترجمة فوقع البحث فوجدت ما كان علي ذهني في كتاب شرح الهداية للحنفية ثم في حياة الحيوان ثم في فتح الباري شرح البخاري ووسع فيه القول فتحتم ترك لفظة«غالباً» وصح العموم إشارة إلى ما كان من الوفود قبل الهجرة .

وأما وفد الجن فعن علقمة قال : قلت لابن مسعود ، هل صحب النبي ص ليلة الجن منكم أحد؟ قال:ما صحب منا أحداً ولكنا كنا

(١) في المختار خطير أي له قدر وخطر .

(٢) قوله وعليّ معطوف على قوله قبل ذلك : فكان رسول الله .

(٣) قوله «غالباً» لعله احترازمن المدة التي قبل المؤاخاة بعد الهجرة .

مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال : فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، قال : أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ،وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم اوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم . فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما فانها طعام اخوالكم ، وفي رواية بعد قوله : وآثار نيرانهم ، قال الشعبي : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة ، الى آخر الحديث

هذه رواية مسلم وللترمذي نحوها وفي هذا المعنى روايات وأحاديث أخر[1] .

---

(١) في الرواية هذه اضطراب فقد روي عن ابن مسعود روايات مختلفة .

وقد سرد السيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن ذكر رواية ابن عباس ثم سرد رواية علقمة هذه وقال : الرواية الأولى أوثق فنضرب عن هذه وأمثالها .

قلت والرواية الأولى هي كما نقلها السيد قطب عن البيهقي بسند مرفوع الى ابن عباس أنه قال : ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم : انطلق رسول الله في طايفة عامدين الى سوق عكاظ . وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فقالوا : ما بكم فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا : ما حال عن خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الارض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانطلقوا يضربون فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله (ص) وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلوة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا إليه فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا : « يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً » وأنزل الله على نبيه (قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن) وانما أوحي اليه قول الجن». ورواه البخاري عن مسدد بنحو هذا وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة بهذا النص . انتهى من ظلال القرآن .

وكان ممن على رسول الله ﷺ قبل الهجرة (الطفيل بن عمرو الدَّوسي)

قال ابن هشام وكان طفيل بن عمرو الدوس يتحدث أنه قدم مكة ورسول الله بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا لبيباً شاعراً شريفاً إلى آخر ما ذكر . وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله.

ثم وفد عليه بعد الهجرة نصارى نجران ، وقد تقدم ذكر قصتهم .

ثم وفد عليه وفد ثقيف بعد مرجعه من غزوة تبوك . فضرب لهم قبة في ناحية مسجده فأسلموا . وكانوا سألوا رسول الله ﷺ ان يترك لهم طاغيتهم سنة فامتنع رسول الله ﷺ من ذلك ، وسألوه أن يعفهم من الصلاة وان لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه . فقالوا يا محمد فسنؤتيكها وان كانت دناثة .

ولما أسلموا أمر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن ابي العاص الثقفي وهو من أصغرهم سناً لما رأى من حرصه على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن .

وحكى بن هشام .. عن ابن اسحق قال : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ، هرعت اليه وفود العرب من كل جهة ثم ذكر وفد بني تميم، وأنهم لما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن أخرج الينا يا محمدفآ ذا ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم الى آخر القصة .

قال بن اسحق : ونزل فيهم القرآن (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) .

وقدم على رسول الله ﷺ .. وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأَرْبَد بن قيس فقدم عامر بن الطفيل عدو الله تعالى على رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه يا عامر إن الناس قد أسلموا ؛ قال : والله لقد كنت آليت ان لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبى أفأنا أتبع عقب هذي الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إن قدمنا على الرجل فإني سأشغل وجهه عنك فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالني [1] قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده ، قال : يا محمد خالني ، قال : وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمر به . فجعل إربد لا يحيل شيئاً فلما رأى عامر ما يصنع إربد قال : يا محمد خالني . قال : لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا . قال رسول الله ﷺ اللهم اكفني عامر ابن الطفيل .

فلما خرجوا من عند رسول لله ﷺ قال عامر بن الطفيل لأربد: ويلك يا إربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان علي وجه الأرض رجل أخوف عندي على نفسي منك . وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ، قال : لا أنا لك لا تعجل علي ، والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى

(١) أراد اجتمع بي منفرداً .

غيرك أفأضربك بالسيف ؟ وخرجوا راجعين الى بلادهم [1] حتى اذا كان ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول فجعل يقول يا بني عامر أغدة كغدة البعير ؟ وقال البكر في بيت امرأة من بني سلول ويقال [2] : أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية .

قال ابن اسحق قال ابن هشام : ثم خرج أصحابه حيث واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا ما وراءك يا أربد قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله . فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل يتبعه فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فاحرقتهما .

وقال ابن اسحق : وبعثت بنو سعد بن بكر رجلا يقال له ضِمام بن ثعلبة الى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضِمام رجلا (جعداً) ذا غديرتين [3] فاقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال ﷺ : أنا ابن عبد المطلب ؛ قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا ابن عبد المطلب إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجدن علي في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي فاسأل عما بدا لك ، قال : أنشدك إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك

---

(١) أي وفد بني عامر وهم عامر بن الطفيل وجماعته .

(٢) أي وفي رواية أنه قال :

(٣) الغديرة واحدة الغداير وهي الذوائب .

أن تأمرنا ان نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وان نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه قال: اللهم نعم ؛ قال : فانشدك الله الملك واله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : نعم ؛ ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة ، الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام ينشده عن كل فريضة كما ينشده في التي قبلها حتى إذا فرغ قال : فاني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ وسأودي هذه الفرائض واجتنب ما نهى عنه ثم لا أزيد ولا أنقص ثم انصرف الى بعيره راجعاً .

قال رسول الله ﷺ ان صدق ذو العقيصتين [1] دخل الجنة ، قال : فاتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى ، قالوا له : يا ضمام إتق البرص ، اتق الجذام ، إتق الجنون ، قال: ويلكم انهما لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً استنقذكم فيه مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ؛ قال فوالله ما امسى ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة الا مسلماً قال : يقول ابن عباس فما سمعنا بوافد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة قال ابن اسحق :

وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو أخو عبد القيس وكان نصرانياً فلما انتهى الى رسول الله ﷺ كلمة ، فعرض عليه الاسلام ودعاه اليه ورغبه فيه ، فقال : يا محمد إني كنت على

---

(١) العقيصة هي الضفيرة .

دين وإني تارك ديني ، افتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ نعم أنا ضامن أن قد هداك الله الى ما هو خير منه ، قال : فأسلم وأسلم أصحابه .

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب . قال ابن اسحق : فحدثني بعض علمائنا ان بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه معه عسيب من سعف النخل في رأسه خوصات فلما انتهى الى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك ، قال ابن اسحق : وقدحدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة ان حديثه كان على غير هدى ، وزعم أن وفد بني حنيفة اتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما اسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله إنا قد خلفنا لنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكاناً أي لحفظه صنيعة أصحابه ذلك الذي يريد رسول الله ﷺ .

قال : ثم أنصرفوا من عند رسول الله ﷺ وجاءوا بما أعطاه فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدعدو الله ، وتنبأ وتكذب لهم وقال : إني قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده الذي كان معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما أنه ليس بشركم مكاناً ما ذاك إلا لما كان يعلمه أني قد أشركت في الأمر معه ثم جعل يسجع لهم السجعات ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلى

اخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشا ، واحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة .

وهو مع هذا يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي فأصفقت معه [1] بنو حنيفة على ذلك والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طي فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا اليه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام ، فأسلموا فحسن اسلامهم وقال ﷺ : ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما يقال إلا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل الذي فيه ، ثم سماه رسول الله زيد الخير وقطع له فيدا أرض أو أرضين معه وكتب له بذلك ، الخير .

ووفد عليه ﷺ بعد ذلك عدي بن حاتم الطائي وكان فيما قال له رسول الله ﷺ لعلك يا عدي إن ما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم . فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك أن ما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم . وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة من القادسية على بعيرها حتى تزور هذ االبيت لا تخاف ولعلك أنما يمنعك من الدخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم . وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أهل بابل فقد فتحت عليهم ، قال عدي فأسلمت ، فكان عدي يقول : مضت اثنتان وبقيت الثالثة . والله لتكونن قد رأيت

---

(١) التصفيق هو الضرب باليد على اليد ليسمع له صوت ، أراد أن بني حنيفة وافقوه على إدعائه النبوة وصدقوا كذبته .

القصور البيض من أرض بابل قد فتحت وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتّى تحج هذا البيت ، والله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتّى لا يوجد من يأخذه . قال ابن هشام :

وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ الى أن قال : فاستعمله النبي ﷺ على مراد وزبيد ومذحج [1] كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتّى توفي رسول الله ﷺ .

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معدي كرب الزبيدي في أناس من بني زبيد فأسلم الى ان قال : فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معدي كرب .

قلت : ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكانت له مواقف مشكورة مشهورة في قتال الفرس .

قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كنده [2] في ثمانين راكباً فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده قد رجلوا جممهم ، وتكحلوا ، عليهم جبب الحيرة قد كففوها بالحرير ، الخبر .

قلت : ثم ارتد الأشعث لما توفي رسول الله ﷺ فجيء به أسيراً الى أبي بكر رضي الله عنه فأسلم وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة .

---

(١) مراد وزبيد ومذحج ثلاث قبائل يمنية معروفة .

(٢) كنده قبيلة من قبائل اليمن المشهورة .

قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله ﷺ صراد ابن عبد الله الأزدي في وفد من الأزد [1] فحسن إسلامه فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتّى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة ، فحاصرها قريباً من شهر فامتنعوا منه فرجع عنهم قافلا حتّى انتهى الى جبل لهم يقال له شكر [2] فظنوا انه ولى منهم منهزماً فخرجوا في طلبه فعطف عليهم فقتلهم قتلا شديداً ، وقد كانوا ارسلوا رجلين منهم يرتادان لهم وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر اذ قال رسول الله ﷺ : بأي بلاد الله شكر ؟ فقام الجرشيان : فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال : انه ليس بكشر ولكنه شكر ، قالا : فما شأنه يا رسول الله فقال : ان بدن الله لتنحر عنده الآن فجلس الرجلان الى أبي بكر أو الى عثمان فقال لهما : ويحكما إن رسول الله ﷺ لينع قومكما فقوما الى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله تعالى أن يرفع عن قومكما . فقاما اليه فسألاه ذلك . فقال : اللهم ارفع عنهما فخرجا من عند رسول الله راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد اصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله والساعة التي ذكر فيها ما ذكر . فخرج وفد جرش حتّى قدموا على رسول الله ﷺ .

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير : مرجعه من تبوك مع رسولهم اليه بإسلامهم الخبر .

---

(١) الأزد قبيلة من قبائل اليمن .

(٢) سيأتي تفسيره انه كشر جبل من جبال اليمن ويقع في الجنوب الغربي منه .

قال ابن اسحق : وبعث فروة بن عمر الحدائي الى رسول الله ﷺ باسلامه واهدى إليه بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب فلما بلغ ذلك الى الروم طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ثم ضربوا عنقه وصلبوه ، الخبر .

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب بنجران فأسلموا ووفد معه وفدهم الى رسول الله ﷺ الخبر .

وقدم على رسول الله ﷺ وفد من مخلاف خارف ، ويام ، وشاكر ، [1] الخبر .

هذه نبذة مختصرة من أخبار الوفود اه .

فصــــلٌ

في المغازي والبعوث وذكر بعض ما اشتملت عليه من المعجزات

* (وكانَ مِنهُ المَغَازِي والبُعوثُ الىٰ
نِيفٍ وسَبْعِينَ مِمَّا النَّقْلُ يُنْمِيــــهِ) * ٨٦

* في كُلِّ ذٰلكَ آياتٌ مُبَيَّنَــــة
إلى الأُلُوفِ كمَا يَروِيهِ رَاويهِ) * ٨٧

قال الإمام عليه السلام : النيف بتشديد الياء وتخفيفها الزيادة وما زاد على العقد ، وقوله الى نيف وسبعين هو قول

(١) خارف. ويام. وشاكر. قبائل في اليمن معروفة بهذه الأسماء حتى اليوم .

الليث بن سعد ومحمد بن نصر المروزي قالا : عددنا غزواته وسرياته ﷺ اثنتان وسبعون ، وقال ابن مسعود ثلاث وثمانون اهـ [1] .

لما استقر رسول الله ﷺ في المدينة وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين في الجهاد ، بقوله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) فلما صاروا الى المدينة وصارت لهم شوكة وعضد ، كتب عليهم الجهاد بقوله تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) الآية .

وكـــان أول لـــواء عقـــده .. رسول الله ﷺ لواءاً أبيضاً على رأس سبعة أشهر من مقدمه المدينة لعمه حمزة رضي الله عنه على رأس ثلاثين راكباً شطرهم من المهاجرين وشطرهم من الأنصار ، وقيل كلهم من المهاجرين الى ساحل البحرين ، ناحية العيص يعترضون عيرات جاءت من الشام لقريش فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب ، فالتقوا وصفوا للقتال ، فمشى بينهم مجدي بن عمرو حتى انصرفوا من غير قتال .

ثـــم عقـــد .. رسول الله ﷺ لواءاً أبيضاً لعبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب في شهر شوال على رأس ثمانية أشهر فخرج في

---

(١) تروى في حصر الغزوات هذه الأبيات للسيد محمد بن اسماعيل الامير ، رحمه الله

غزى المصطفى سبعاً وعشرين غزوة ... وقاتل في تسع فأولها (بـــدر)
و(أحد)(حنين) (والمريسيع)(خيبر) ... (قريظة) و (الاحزاب)(فتح)به النصر
وذو (قرد) قد جاء في النظم تاسعاً ... وليس على الترتيب كان لها الذكر
وقد قَتَلَ المختارُ فيها بنفسِـــهِ ... أبيّاً بأحُدٍ حين أودى بِه الكفر

ستين راكباً من المهاجرين فلقى مائتي راكب من قريش على ما يقال له «احياء» في بطن رابغ وكان أول من رمى بسهم في الإسلام سعد ابن ابي وقاص ترس عنه أصحابه حتى رمى المشركين بجميع ما في كنانته ، ما منها سهم إلا يجرح إنساناً أو دابة .

ولم يكن بينهم قتال غير ذلك ، ثم انصرف الفريقان .

ثم عقد ﷺ .. لواءاً لسعد بن أبي وقاص في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين أو أحدوعشرين رجلامن المهاجرين على أقدامهم ، فكانوا يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى بلغوا الخراد من الجحفة من خم يريدون عيراً لقريش ففاتتهم .

ثم غزا رسول الله ﷺ .. غزوة ودان وهو جبل بين مكة والمدينة وبينه وبين الأبواء ستة أميال ، فلذلك قد يقال غزوة الأبواء وذلك في شهر صفر على رأس أحد عشر شهراً للهجرة يعترض عيراً لقريش فلم يلق كيداً .

ثم كانت غزوة بواط .. من ناحية رضواء في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً يعترض عيراً لقريش وخرج معه مئتان من أصحابه ، فلم يلق كيداً .

ثم خرج ﷺ في هذا الشهر في طلب كرز بن جابر الفهري وقد أغار على شرج المدينة حتى بلغ سفوان من ناحية بدر ولم يدرك وهذه غزوة بدر الأولى .

ثم كانت غزوة العُشَيْرة ... في جمادى الآخرة وقيل الأولى على رأس ستة عشر شهراً خرج ﷺ يعترض عيراً لقريش حين أبدت الى الشام ومعه خمسون ومائة رجل وقيل مئتان يتعقبون

ثلاثين بعيراً فبلغ العشيرة من بطن بنبع ، فأقام بقية الشهر وليالي بعده ولم يلق كيداً ، وهذه العير هي التي خرج في طلبها ﷺ لما عادت من الشام فكانت وقعة بدر الكبرى.

وفي هذه الغزوة كنى الرسول ﷺ علياً بن أبي طالب عليه السلام «أبا تراب» حين مر عليه وهو نائم وقد سفت عليه الريح التراب ، فجعل ﷺ يمسحه عن جنبه ويقول : « قم أبا تراب ، قم أبا تراب ، الا أخبرك بأشقى الناس أجمعين ، عاقر الناقة والذي يضربك على هذا فيخضب هذه» يعني على رأسك فيخضب لحيتك بدمك . الخبر .

ثم كانت سرية أميرها عبد الله بن جحش الأسدي في ثمانية أنفار من المهاجرين وقيل اثني عشر ، وكتب له كتاباً وقال له : اذا سرت ليلتين ، فانشر كتابي ثم امض لما فيه ، قال : الى أين يا رسول الله ؟ قال : أسلك النجدية تؤم بكة فانطلق عبد الله وسار ليلتين ثم نشر الكتاب ، فاذا فيه «سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله تعالى ولا تكرهن احداً من أصحابك على المسير معك ، وامض فيمن يتبعك»[1] . فلما قرأ الكتاب عليهم ، قالوا نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ، فسار حتى جاء بطن نخله عليهم ، فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ونفر معه وذلك آخر يوم من شهر رجب وأول يوم من شعبان ، فقتلوا ابن الحضرمي واستاقوا العير وأسروا رجلين من قريش .

---

(١) وفي رواية أخرى ان نص الكتاب هو : « اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة (بين مكة والطائف) فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارها » اهـ .

فقالت قريش لقد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فأوقف ﷺ العير ولم يأخذ منها شيئاً وحبس الأسيرين وقال : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام حتّى نزل قوله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) الآية . فقسمها رسول الله ﷺ بينهم . وكان عبد الله بن جحش قد عزل الخمس لرسول الله ﷺ فكان أول خمس خمس . وأول غنيمة . وأول قتيل ، وأول أسير أسر في الإسلام .

ثم كانت غزوة بدر الكبرى[1] .. في شهر رمضان بعد تسعة عشر شهراً من مهاجرة الرسول ﷺ وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله بها بين الحق والباطل. وأعز الإسلام ، ووضع الكفر ، وظهرت فيها الآيات الكثيرة . والبراهين الكبيرة كتحقيق الله سبحانه وتعالى ما وعدهم من إحدى الطائفتين ، وما أخبرهم به من ميلهم الى العير دون الجيش . وحصول المطر عند الالتقاء ، وكان على المسلمين نعمة وقوة وعلى الكفار بلاءً ونقمة من السماء حتّى سمعوا أصواتهم ورأوا من رأوه منهم، ورمى ﷺ المشركين بالحصى والتراب حتّى اعمت رميته الجميع ، وتقليل الله المشركين في عيون المسلمين . ليزيل عنهم الخوف ، وليشجعهم على القتال، وأشار ﷺ الى مصارع المشركين بقوله : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فكان كما قال ﷺ .

---

(١) يقال بدر : اسم رجل كان حفر بيراً فيها فسميت المنطقة باسمه .

ويروى ان سورة (الأنفال) بأسرها نزلت في غزوة (بدر) والأنفال هي الغنائم ومن ذلك قول أوس بن حجر .

نكصتم على أعقابكم يوم جئتم ... وترجون أنفال الخميس العرمرم

واخبر ﷺ العباس بما استودع أم الفضل من الذهب وتحقيق الله وعده لمن أسلم من الأسرى بقوله (ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً) الآية . فأعطى العباس مكان عشرين أوقية افتدى بها نفسه ، وعقيلا عشرين غلاماً يتجرون في ماله ، واطلاعه ﷺ على إئتمار عمير بن وهب وصفوان ابن أمية على العمل به ﷺ وكان ذلك سبب اسلام عمير إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات .

وكان من حديث غزوة بدر .. أن رسول الله ﷺ لما تحين انصراف العير التي خرج من أجلها الى العشيرة . وإقبالها من الشام ، ندب أصحابه للخروج الى العير وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض . ولم يحتفل لها احتفالا كثيراً فخرج ﷺ في ستة وثمانين رجلا من المهاجرين ومائتين وسبعة وعشرين من الأنصار ؛ وقيل غير ذلك وكانت إبلهم سبعين بعيراً يعتقبونها وكان معهم فرسان احداهما للمقداد بن الأسود والاخرى لمرثد بن أبي مرثد الغنوي وقيل للزبير بن العوام .

وكانت العير التي خرجوا لها ألف بعير فيها أموال عظيمة لقريش يقال ان فيها خمسين الف مثقال وكان فيها ثلاثون رجلا من قريش منهم أبو سفيان ابن حرب وعمرو بن العاصي . فلما بلغهم خروج رسول الله ﷺ بعثوا رجلا يقال له ضمضم ليخبر قريشاً ويستفزهم فلم يرع أهل مكة الا هجوم ضمضم عليهم يقول : يا معشر قريش يا آل لؤي ابن غالب . اللطيمة ، قد اعترض لها محمد في أصحابه الغوث الغوث والله ما أرى أن تدركوها .

وقد جذع أذني بعيره ، وشق قميصه ، وحول رحله .

فلم تملك قريش من أمرها شيئاً حتى نفروا على الصعب والذلول وتجهزوا في ثلاثة أيام ، وقيل في يومين وأعان قويهم ضعيفهم . ورأى ضمضم أن وادي مكة يسيل دماً من أسفله وأعلاه .

ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بثلاث أن راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح فصرخ بأعلى صوته : ألا انفذوا يا غدر لمصارعكم في ثلاث قال فاري الناس اجتمعوا اليه ، ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس[1] ، فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت أسفل الجبل ارفضت . فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخله منها فلقة فبلغت رؤياها أبو جهل فقال للعباس : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية . أما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تنبأ لنسائكم ؛ سنتربص بكم هذه الثلاث فإن كان حقاً ما تقول فسيكون . وإن تمض الثلاث ولم يكن شيء من ذلك نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب بيت في العرب .

فقدم ضمضم في اليوم الثالث فصرخ في بطن الوادي وهو واقف على بعيره قد جدع بعيرا له وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث اه من سيرة ابن هشام .

وأقبل أبو سفيان بالعير وهو خائف من الرصد ، فترك بدراً يساراً وانطلق سريعاً وأقبلت قريش وهم تسعمائة وخمسون مقاتلا معهم مائة فرس عليها مائة دراع سوى درع المشاة وابلهم سبعمائة

---

(١) اسم للجبل المطل على مكة وقد سمي باسم رجل هلك فيه واسمه قُبَيْس .

بعير فلما بلغوا الجحفة رأى جهيم بن الصلب المطلبي في منامه أن رجلا أقبل على فرسه معه بعير حتى وقف عليه فقال: قتل عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وربيعة بن الأسود ، وأمية بن خلف ، وابو البحتري بن هشام ، وأبو الحكم ابن هشام في رجال سماهم : وأسر سهيل بن عمرو وفر الحرث بن هشام . وقائل يقول : والله اني لأضنكم تخرجون الى مصارعكم ، ثم رأى كأنه ضرب لبة بعيره فأرسله في العسكر ، فما بقي جنباً من أجنبة العسكر إلا أصابه بعض دمه ، فشاعت هذه الرؤيا في العسكر ، فقال أبو جهل : وهذا نبي آخر من بني عبد المطلب ، سيعلم غداً من المقتول : أنحن أم محمد وأصحابه .

وأرسل أبو سفيان الى قريش بأمرهم بالرجوع ويخبرهم: أن قد نجت عيرهم ، فلا تجزروا أنفسكم أهل يثرب ، فهموا بالرجوع فأبى ذلك أبو جهل ورجعت بنو زهرة ، وأقبل ﷺ حتى نزل أدنى بدر .

فبعث علياً عليه السلام في نفر يتجسسون على الماء ، فوجدوا روايا قريش ، فأخذوا السقاة وأقبلوا بهم ورسول الله ﷺ يصلي فسألوهم عن العير فقالوا نحن سقاة قريش ، فضربوهم فقالوا نحن لأبي سفيان فأمسكوا عنهم ، فسلم رسول الله ﷺ وقال : ان صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم [1] .

ثم أقبل عليهم يسألهم ليخبروه من خرج من مكة وأخبروه أن قريشاً خلف هذا الكثيب فنهض ﷺ حتى نزل على كثيب بدر

---

(١) أراد (ص) الانكار عليهم موضحاً أنهم سقاة قويش .

وبعث الله السماء فأصاب ما لبد الأرض ولم يمنع من المسير وأصاب قريشاً من ذلك ما لم يقدرو أن يرتحلوا معه وانما بينهم فوز من رمل [1] .

وبني لرسول الله ﷺ على الكثيب عريش من جريد وقام سعد بن معاذ على بابه متوشحاً بالسيف ومشى ﷺ في موضع الوقعة وعرض على أصحابه مصارع رؤوس الكفر مصرعاً مصرعاً ، يقول هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا واحد منهم مصرعه الذي حد له رسول الله ﷺ .

وأصبح ﷺ ببدر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان فطلعت قريش وهو ﷺ يصف أصحابه وهاجت ريح شديدة ، ثم هبت ريح أشد منها ، ثم هبت ريح ثالثة أشد منها ، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في الف من الملائكة مع رسول الله ﷺ والثانية ميكائيل ـ عليه السلام ـ في الف ، والثالثة اسرافيل عليه السلام وكان الرجل يرى الملك على صورة الرجل يعرفه وهو يثبته ويقول : ما هم بشيء ، فكر عليهم .

وكان من دعائه ﷺ .. يومئذ أن قال : اللهم إنك أنزلت علي الكتاب وأمرتني بالقتال ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد ، اللهم ان هذه قريش قد أقبلت بخيلائها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم أحفهم الغداة [2] .

وبعثت قريش عمير بن وهب ليحزر المسلمين ، فقال : القوم ثلاثمائة إن زادوا قليلا ، وإن نقصوا نقصوا قليلا ، معهم فرسان

---

(١) الفوز : المستدير من الرمل والكثيب المشرف تمت قاموس .

(٢) الإحفاء الإستقصى في الشيء وهو هنا بمعنى استقصي في أخذهم .

وسبعون راحلة ، ثم قال : يا معاشر قريش ، البلايا [1] تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناجع ، قوماً ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، يتلمظون تلمظ الأفاعي ، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلا ، فاذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير العيش بعد ذلك .

ثم بعثوا آخر فقال نحو ذلك فمشي حكيم بن حزام في الناس ليرجعوا ، فوافقه عتبة ابن ربيعة ، وأبى أبوجهل ابن هشام .

وحرش بين الناس حتّى نشبت الحرب ودارت رحى الطعن والضرب ، وأنزل الله تعالى نصره على رسوله والمؤمنين ، فقتل سبعون وأسر سبعون من صناديد قريش ، كما هو مبسوط مفصل في كتب السيرة .

وعن سهيل بن عمرو قال: لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون وقال أبو أسيد الساعدي: لو كنت معكم [2] الآن لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة .

وكان يحدث عن رجل من بني غفار حدثه، قال : أقبلت أنا وابن عم لي يوم بدر حتّى صعدنا على جبل ننتظر الوقعة على من تكون الدائرة ، إذ رأيت سحابة دنت منا . فسمعت حمحمة

---

(١) البلايا جمع بلية وهي العقيرة .. كانوا في الجاهلية اذا مات لهم من يعز عليهم أخذوا ناقةً فعقلوها عند قبره ولا تعلف ولا تسقى الى أن تموت وربما حفروا لها حفرة وتركوها فيها الى أن تموت وزعموا ان يوم القيامة يسير الناس ركباناً على البلايا اذا عقلت مطاياهم عند قبورهم ، وهذا عند من كان منهم يؤمن بالبعث اهـ. نهاية .

(٢) أي في بدر . قلت : والروايات هذه قد نقلها المؤلف غير ملتزم بصحة ما ينقل كما قال في خطبة الكتاب، والصحيح أن الملائكة لم تباشر القتال مطلقاً كما سيأتي .

الخيل . وقعقعة الحديد ، وسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم، فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات ، وأما أنا فتماسكت وقد كدت أهلك ، وأتبعت البصر حيث تذهب السحابة ، فجاءت الى النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ثم رجعت وليس فيها شيء مما كنت أسمع .

وروى أبو رهم الغفازي عن ابن عم له كذلك مع زيادة ، وعن عبدالرحمن ابن عوف ؛ رأيت يوم بدر رجلين أحدهما عن يمين النبي ﷺ والآخر عن يساره يقاتلان أشد القتال ، ثم يليهما ثالث من خلفه ثم رابع أمامه .

وعن صهيب قال: كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم تدم كلمها[1] يوم بدر قد رأيتها .

وعن أبي بردة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتها بين يدي رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أما راسان فقتلتهما وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيضاً طويلا ضربه فتهدأ[2] أمامه ، فأخذت رأسه ، فقال ﷺ : ذاك فلان من الملائكة .

وكان ابن عباس يقول : لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر[3] ، ولما

---

(١) الكليم لمجرح .

(٢) تهدأ أي انكسر وتضعضع ، أو تهدأ من هَدَه إذا خضع وسكن .

(٣) الصحيح أنه لم يكن من الملائكة قتال في يوم بدر والرواية هذه فيها نظر وقد ثبت ان الذي وقع من الملائكة هو التثبيت بدليل قوله تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) الى آخر الآية في سورة الأنفال وقوله تعالى : (لقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) . فتأمل .

التحم القتال كان رسول الله ﷺ رافعاً يديه يسأل الله النصر ، وما وعده ، وأمر ﷺ فأخذ من الحصى كفاً فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه [1] ، اللهم ارعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم ، فانهزم أعداء الله لا يلوون على شيء وألقوا دروعهم والمسلمون يقتلون ويأسرون، وما بقي منهم أحد إلا امتلأ وجهه وعيناه ، ما يدري أين يكون ، وذلك قول الله تعالى: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

وانقطع سيف عكاشة بن محصن فأعطاه رسول الله عوداً ، فاذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتل به حتى هزم الله المشركين ، فلم يزل عنده حتى هلك .

وانكسر سيف سلمة بن أسلم فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين بن طاب ، فقال: اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم خيبر .

ولما أسر سهيل بن عمرو . قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله انزع ثنيته ، يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : لا أمثل به ، فيمثل الله بي وان كنت نبياً ، ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه ، فقام سهيل لما أتاه وفاة رسول الله ﷺ وهو بمكة بخطبة أبي بكر في المدينة كأنه كان يسمعها ، فقال عمر : أشهد انك رسول الله ، يريد قول النبي ﷺ لعله يقوم مقاماً لا تكرهه .

وكان علي رضي الله عنه يقول : أتى جبريل الى النبي ﷺ يوم بدر فخيره في الأسرى بين أن يضرب أعناقهم أو يأخذ منهم الفداء واليستشهد من أصحابه في قابل عدتهم ، فدعا رسول

(١) شاهت الوجوه : قبحت ، وشوهه الله أي قبح وجهه .

الله أصحابه فقال لهم ما أعلمه جبريل عليه السلام ، فقالوا : بل نأخذ الفدية نستعين بها ويستشهدمنا فندخل الجنة ، فقبل منهم الفداء ، وقتل منهم عدتهم بأحد .

وروي أن صفوان ابن أمية ، جعل لعمير بن وهب الجمح ان قتل رسول الله ﷺ ان يتحمل بدينه ، ويقوم بعياله ، وحمله على بعير وجهزه ، فقدم عمير المدينة ، ودخل المسجد متقلداً سيفه ، يريد رسول الله ﷺ فأدخله عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ما أقدمك يا عمير ؟ قال : قدمت في أسير عندكم تفادونا فيه ، فقال ﷺ : ما بال السيف في عنقك ؟ فقال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت من شيء ، إنما نسيته حين نزلت ، فقال ﷺ : أصدقني ، ما أقدمك ؟ قال : ما قدمت الا في أسير .

قال ﷺ : فما شرطت لصفوان ابن أمية في الحجر ففزع عمير وقال : ماذا شرطت له ؟ قال ﷺ : تحملت له تقتلني على أن يقضي دينك ، ويعول عيالك ، والله عز وجل حائل بينك وبين ذلك ، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وأنك صادق ، وأسلم .

فقال رسول الله ﷺ : علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره ، فعاد عمير الى مكة يدعو الناس الى دين الإسلام ، فأسلم معه بشر كثير .

ويروى أن العباس لما أسر يوم بدر ، قال ﷺ : أفد نفسك وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحرث ، فقال : يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت ، فقال له : أين الذهب

للذي دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها : لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا .

فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ، ولعبيدالله ، والفضل ، فقال العباس :ما يدريك ؟قال : أخبرني به ربي ،فقال العباس : فانا أشهدانك صادق ،وأن لااله الاالله ،وأنك عبده ورسوله ،والله لم يطلع عليه أحدإلا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ،الخبر ،وهو مشهور.

وكانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد ، تحت يزيد بن زيد الخطمي ، وكانت تؤذي رسول الله ﷺ وتعيب الإسلام ، وتحرض على النبي ﷺ . وقالت في ذلك شعراً ، فنذر عمير بن عوف الخطمي ، لئن رجع رسول الله ﷺ من بدر الى المدينة ليقتلنها ، فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر جاءها عمير ليلا حتى دخل بيتها ، فوضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها .

وأتى فصلى الصبح مع النبي ﷺ فلما انصرف نظر اليه وقال : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يا رسول الله ، فقال ﷺ : لا ينتطح فيها عنزان وقال ﷺ : اذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله ، بظهر الغيب فانظروا الى عمير بن عوف ، وكان قتلها لخمس بقين من شهر رمضان ، مرجع النبي ، ص[1] .

---

(١) في رواية الاستاذ محمد حسنين هيكل في (حياة محمد) : تتمة لهذا الحديث وذلك أنه قال : ورجع عمير من عند النبي بعد أن أخبره الخبر فوجد بنيها في جماعة يدفنونها . فاقبلوا عليه فقالوا : يا عمير أأنت قتلتها ؟ قال : نعم (فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون) فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي حتى أموت أو أقتلكم » . وقد كان من أثر جرأة عمير أن ظهر الإسلام في بني خطمة فأظهر منهم من كان يخفي إسلامه وانضم إلى صف المسلمين وسار معهم ، تمت .

ثم كان قتل ابي عفك في شوال ، على رأس عشرين شهراً من الهجرة . وكان شيخاً من بني عمرو بن عوف ، قد بلغ عشرين ومائة سنة ، وكان يحرض على عداوة رسول الله ﷺ ولم يدخل في الإسلام ، وقال شعراً ، فنذر سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف ليقتلنه ، أو يموت دونه ، وطلب له غرة حتّى كانت ليلة صائفة [1] ، فاقبل سالم فوضع السيف على كبده فقتله .

وفي سيرة ابن هشام ، أن قتل أبي عفك كان قبل قتل عصماء وأن رسول الله ﷺ حين بلغه شعر عصماء نام بالعباء وقال : ألا آخذ لي من ابنة مروان ، فقتلها عمير ليلا والله أعلم .

ثم كان .. إجلاء بني قينقاع من يهود المدينة ، وهم قوم عبد الله بن سلام ، وكانوا أول من نقض العهد من اليهود الذي كان عاهدهم رسول الله ﷺ .

فلما قدم ﷺ من بدر جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال : يا معشر اليهود أسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فقالوا : يا محمد لا يغرنك أن لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب ، فانك إن قاتلتنا لتعلمن ، أنا أصحاب الحرب ، وأنك لم تقاتل مثلنا ، ثم حدثت منهم أحداث ونبذوا العهد الى رسول الله ﷺ وحاربوا وتحصنوا ، فسار اليهم رسول الله يوم السبت ، النصف من شوال فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتّى نزلوا على حكمه ، فأمر بهم فربطوا ثم خلا عنهم بشفاعة عبد الله بن أبي بن سلول ، وأمرهم أن يجلوا

---

(١) أي حارة وكان أبو عفك نائماً بفناء داره .

عن المدينة فأجلاهم ، وقبض أموالهم ، وخرجوا بعد ثلاثين الى أذرعات من أرض الشام ، فلم يلبثوا حتى هلكوا وكانوا سبعمائة مقاتل ، منهم ثلاث مائة دراع .

وقد حصل أمر إجلاء بني قينقاع بعد غزوة ذي قرد وغزوة السويق ، وغزوة ذي أمر .

ثم .. غزوة السويق ، ذلك ان المشركين لما رجعوا الى مكة عائدين من بدر ، حرم أبو سفيان بن حرب الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه بمن أصيب من قومه ، فخرج في مائتي راكب ، وقيل في أربعين راكباً ، فجاء بني النضير في ناحية المدينة ليلا فدخل على سلام بن مشكم النضيري فسقاه خمراً وأخبره من أخبار النبي ﷺ ، ثم خرج سحراً فوجد رجلا من الأنصار في حرث له ، ومعه أجير له ، فقتلهما ، وحرق بيتين بالعريض وحرثاً ، وذهب.

فخرج ﷺ بمن معه في أثره وجعل أبو سفيان وأصحابه يقولون : حرب السويق ، وهي عامة أزوادهم يتخففون بها خوفاً من الطلب ، وجعل المسلمون يأخذونها ، فسميت غزوة السويق ، ولم يدركهم رسول الله ﷺ .

ثم كانت.. غزوة قرارة الكدر على قول الواقدي للنصف من المحرم على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة ، وقيل غير ذلك ، وذلك أنه بلغ النبي ﷺ أن في قرارة الكدر جمعاً من غطفان ، وبني سليم فخرج اليهم فلم يجد من الرجال أحداً . وظفر بنعم لهم كانت خمسأة ، فقدم ﷺ بها المدينة ، وأصاب يساراً غلاماً وهو غلام من رعاتهم فأعتقه ﷺ .

ثم كان قتل كعب ابن الأشرف اليهودي وهو قرظي .. وكان حليفاً لبني قريظة ، وأمه من بني النضير . وكان عدواً لله ولرسوله يهجو النبي ﷺ وأصحابه ويحرض عليهم المشركين ، فقال رسول الله ﷺ : من لي بابن الأشرف فقال محمد بن مسلمة الأنصاري : أنا له يا رسول الله . ثم انتدب لذلك معه نفر من الأوس ، منهم أبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاعة ، فأتاه وشكى اليه واحتال عليه حتى قتلوه ليلا . الخبر .

ثم كانت غزوة ذي أمر بنجد ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ ان جمعاً من غطفان ومحارب بذي أمر يريدون أن يصيبوا من أطرافه ﷺ فخرج في أربعمائة وخمسين رجلا معهم عدة افراس ، فسار اليهم فهربوا الى رؤوس الجبال .

وفي هذه الغزوة كانت قصة دعثور المحاربي ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان مضطجعاً في هذه الغزوة تحت شجرة ، وأصحابه متفرقون عنه . فقام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال : يا محمد من يمنعك مني ؟ فقال : الله ؛ فوقع السيف من يده فأخذه النبي ﷺ . وروي أنه أسلم يومئذ . وقد رويت قصته هذه بعبارات تزيد وتنقص والله أعلم بالصواب .

ثم كانت غزوة .. بني سليم [1] ابن منصور ببجران بضمة الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة من ناحية الفرع بضمه الفا ، خرج ﷺ في ثلاث مائة رجل ولم يظهر وجهاً وأعد السير حتى بلغ بحران فلم يجد به أحداً ورجع ﷺ ولم يجد كيداً .

ثم كانت سرية زيد بن حارثة .. الى الفروة بالفاء وقيل

---

(١) بني سليم في نجران .

بالقاف ، وهي من مياه نجد ، وذلك أن صفوان بن أمية خرج يريد الشام بتجارة فيها أموال لقريش فنكب عن الطريق ، وسلك طريق العراق ، خوفاً من رسول الله ﷺ . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث زيد بن حارثة في مائة راكب ، فأصابوا العير ، وأفلت أعيان القوم ، فقدموا بالعير على رسول الله ﷺ فخمس الغنيمة رسول الله ﷺ وقسم ما بقي بين الغانمين ، فبلغ الخمس عشرين الف درهم .

ثم كانت غزوة أحد[1] .. في شوال على رأس اثنين وثلاثين من الهجرة ، امتحن الله فيها عباده المؤمنين ، وميزبها بين المنافقين والمخلصين .

وكان فيها من دلائل النبوة تحقيق قول النبي ﷺ لأبي بن خلف « أنا اقتلك إن شاء الله» ورد عين قتادة ابن النعمان الى موضعها ، بعد سقوطها ، واخباره ﷺ بغسل للملائكة لحنظلة ابن أبي عامر بعد قتله . فأخبرت امرأته انه خرج الى الحرب جنباً لما سمع الهيعة [2] وما اعترى المؤمنين من النعاس في حال الخوف ، وقرب العدو ، وذلك خلاف ما جرت به العادة . الى غير ذلك من الآيات ، وكان من حديثها ان قريشاً ألبت العرب وجمعتها

---

(١) سمي (أحد) بهذا الاسم لانقطاعه وتوحده عن الجبال هنالك ، وفي الحديث الشريف (هذا الجبل يحبنا ونحبه) وللعلماء في معنى هذا الحديث أقوال منها أنه أراد أهل أحد وهم الأنصار ،ومنها أنه كان يبشره عند رويته اذا قدم من سفر بقربه من أهله وذلك فعل المحب . ومنها أن المراد بذلك الحب الحقيقي وأنه وضع فيه الحب كما وضع التسبيح في الجبال المسبحة مع داود وكما وضعت الخشية للحجارة ، وللسهيلي في أحد كلام كثير لا يسعه هذا المكان فالمراد الاختصار ، والله أعلم .

(٢) أي هيعة القتال .

لحرب رسول الله ﷺ وخرجوا من مكة ومعهم الظعن وخمس عشرة امرأة يضربن الدفوف ويندبن قتلى بدر ، وساروا من مكة لخمس مضين من شوال في ثلاثة آلاف رجل ومائتي فرس ، وثلاثة آلاف بعير ومعهم سبعمائة درع . والنسوة المذكورات ، حتّى نزلوا بظاهر المدينة يوم الاربعاء . فرعت إبلهم الزروع يوم الخميس ويوم الجمعة حتّى لم يتركوا خضراء .

ورأى النبي ﷺ رؤيا . فقال : أيها الناس اني رأيت في منامي رؤيا ، رأيت كأني في درع حصينة ، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقضم من عند ظبته ورأيت بقراً تذبح ، ورأيت اني مردف كبشاً . فقالوا : يا رسول الله : أولتها ؟ قال ﷺ : اما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، واما اقضام سيفي ، فرجل من أهل بيتي ، وأما البقر المذبحة . فقتلى من أصحابي ، وأما أني مردف كبشاً فكبش الكتيبة ، نقتله إن شاء الله .

ثم استشار ﷺ الناس فأشار جمهورهم بالوقوف في المدينة ، وكان ذلك رأيه ﷺ وقالت طائفة أخرج بنا يا رسول الله الى عدونا لئلا يظنوا أنا جبنا عنهم فيجريهم ذلك علينا ، ولم يزالوا برسول الله ﷺ حتّى خرج بهم .

وكان المسلمون ألفاً ، فيهم مائة دراع . ومعهم فرسان أحدهما للنبي ﷺ والأخرى لأبي بردة ابن نيار . ومعهم مائة درع .

ثم اعتزل عنه عبد الله ابن أبيّ سلول في ثلث العسكر .

ثم إنه صف أصحابه وجعل أحداً خلف ظهره وزحف المشركون ، وقد عهد ﷺ الى الرماة ألا يبرحوا من مكانهم ، ليحموا ظهور المسلمين بالنبل ، وشد المسلمون على كتائب المشركين فجعلوا يضربونهم حتّى ولوا منهزمين لا يلوون على شيء ، وجعل المسلمون ينهبون عسكرهم .

فلما رأى الرماة ذلك ، انطلقوا للغنيمة ، وأخلوا بالمركز .

فخالت خيل المشركين من خلف المسلمين [1] ، فوضعوا السلاح فيهم فاستشهدمنهم من استشهد وتفرقوا في كل وجه ، وثبت مع النبي ﷺ حماة الحقائق من المهاجرين والأنصار .

وقصد ابن قمية لعنه الله . رسول الله ﷺ ليقتله ، فاعترض دونه مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتله .

وقصده غيره من المشركين فحماه الله عنهم ، وأعمى عنه أبصارهم .

وأصيبت عين قتادة ابن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فردها ﷺ فعادت كما كانت .

وقاتل ﷺ يومئذ بنفسه أشد القتال حتى كسرت رباعيته ، وشجت وجنته ، فدخلت فيها حلق المغفر وضربه ابن قمية لعنه الله على عاتقه .

ووقع في حفرة وعليه درعان ، فأخذ علي –عليه السلام– بيده ورفعه طلحة من خلفه حتى استوى وجعل الدم يسيل حتى اخضلت لحيته وهو يقول ﷺ كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم . وهو يدعوهم الى الله عز وجل . ونزع أبو عبيدة رضي الله عنه بحلقتين من وجه رسول الله ﷺ بثنيته . فوقعتا وسقط على ظهره [2] .

---

(١) وكانت حيلة دبرها خالد بن الوليد قبل إسلامه وكان معه جماعة من المشركين .

(٢) قال في حياة محمد (ص) : وصاح صائح بالناس : أن محمداً قد قتل ، فازدادت الفوضى وعظمت البلية واختلف المسلمون وكان هم كل مسلم أن ينجو بنفسه إلا من عصم الله من أمثال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال : فأما=

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد «لا سيف إلا ذو الفقار . ولا فتى إلا علي » واقبل يومئذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله . وهو يقول : يا محمد لا نجوت ان نجوت . فتناول ﷺ الحربة من الحرث ابن الصمة ، فطعنه بها في عنقه ، وهو على فرسه . فجعل يخور كما يخور الثور فاحتمله أصحابه وشغلهم ذلك عن طلب النبي ﷺ .

وكان علي كرم الله وجهه يذب عن رسول الله ﷺ من ناحية وطلحة من ناحية ، وأبو دجانة من ناحية ، وأعيان غيرهم وانفرد علي عليه السلام بفرقة فيهم عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم بالسيف فجعل يضرب به وقد اشتملوا عليه حتى افضى إلى آخرهم ، ثم كر عليهم حتى رجع من حيث بدء ، وقتل حنظلة ابن ابي عامر الأنصاري رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : رأيت الملائكة تغسله . قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا اليه . فإذا رأسه يقطر ماءً ، وأخبرت امرأته بعد ذلك أنه خرج وهو جنب لما سمع هيعة القتال رضي الله عنه .

وقتل حمزة ابن عبدالمطلب عم النبي ﷺ ، رماه العبد ، وحشى ابن حرث بحربته ، فصلى عليه النبي اثنتين وسبعين صلاة رضي الله عنه

وكان الذين قتلوا يومئذ من المسلمين ، اثنين وسبعين منهم أربعة

= الذين ظنوا أن محمداً قد مات ومن بينهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم فانتحوا الجبل وألقوا بأيديهم حتى رآهم أنس بن النضر فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل القوم فقاتل قتالاً شديداً حتى إنه لم يقتل إلا بعد أن ضُرب سبعين ضربة ولم يعرفه أحد الا أخته عرفته من بنانه رضي الله عنه .

أو خمسة من قريش ، وسائرهم من الأنصار ، وقتل من المشركين أربعة وعشرون ، منهم أصحاب اللواء تسعة من بني عبد الدار ، ولما تحاجز الفريقان ، انصرف المشركون ، ورجع النبي ﷺ بأصحابه .

وأنزل الله تعالى في هذه الوقعة الآيات الكريمة ، من سورة آل عمران ، من قوله : (واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) الآية ، وقص فيها عز وجل أحسن القصص وخير الكلام كلامه ولا معقب لحكمه .

ثم كانت .. غزوة حمراء الأسد ، وكان من حديثها أنه بلغ رسول الله ﷺ ان المشركين يريدون الرجوع الى المدينة ، ليستأصلوا من بقي من المسلمين ، فأمر ﷺ بلالا فنادى في المسلمين أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس ، فخرجوا وبهم جراح عظيمة حتى بلغوا حمراء الأسد ، وهو موضع على ثمانية أميال ، أو تسعة أميال من المدينة . فعسكروا هنالك ، وبلغوا بذلك المشركين ، فقذف الله في قلوبهم الرعب . فرجعوا عما هموا به ، وانصرفوا خائبين . وكفى الله المؤمنين ، وأنزل الله في ذلك : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) الآيات .

وعاد النبي ﷺ بأصحابه إلى المدينة بعد ثلاث .

ثم كانت سرية أبي سلمة ابن عبد الأسد رضي الله عنه الى قطن من أرض نجد . وذلك في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة . وكان سببها انه بلغ النبي ﷺ أن طليحة الأسدي . قاصداً لرسول الله ﷺ في قومه ومن أطاعه فبعث رسول الله ﷺ أبا سلمة في خمسين ومائة رجل . فساروا

حتّى انتهوا الى قطن وهو جبل، وقيل ماء فنذر بهم القوم فتفرقوا وأصاب المسلمون نعماً وشاءاً فأخذوه وعادوا الى المدينة [1].

ثم كانت غزوة بئر معونة .. وهي ماء لبني عامر ابن صعصعة، وقيل لبني سليم. وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً، وسببها أن أبا براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة قدم على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسناً فلو بعثت معي من أصحابك نفراً الى قومي رجوت أن يجيبوا دعوتك. فقال النبي ﷺ اني أخاف عليهم أهل نجد. فقال عامر لا تخف عليهم فأنا جار لهم.

فبعث ﷺ سبعين أو ثمانين رجلا من أصحابه يقال لهم القراء فساروا حتّى بلغوا بئر معونة فقدموا أمامهم حرام بن ملحان الأنصاري؛ وكتاب رسول الله ﷺ الى عامر ابن الطفيل ورجال من أصحابه، فلم يقرأوا الكتاب، ووثب اليه رجل منهم فقتلوه واستصرخ عامر ابن الطفيل عليهم قومه فأبوا [2]،فاستصرخ، عليهم رغلا وعصبة من قبائل بني سليم فنفروا معه الى القرآء فقاتلوهم حتّى قتلوهم عن آخرهم الاعمر ابن أمية الضمري فجز عامر ناصبته ومن عليه.

فدعا النبي ﷺ عليهم ولعنهم في قنوت الصلاة شهراً.

وقدم عمر بن أمية الضمري، فلقي رجلين من بني عامر

(١) عاد أبو سلمة رضي الله عنه. وقد أجهد نفسه حتّى نغر الدم من الجرح الذي وقع فيه في أحد لإنه لم يكن قد التئم الا ظاهراً فلم يعش بعد السرية إلا يسيراً حتّى قضي عليه شهيداً رحمه الله.

(٢) لإنهم لم يريدوا خفر ذمة أبي براء.

منصرفين من عند رسول الله ﷺ وقد كساهما وامنهما ، فقتلهما عمر ولم يشعراه بما كان ، فوداهما رسول الله ﷺ .

ثم كانت غزوة الرجيع .. وهو ماء لهذيل بين مكة وعسفان ، بناحية الحجاز ، وذلك في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة وذلك أن نفراً من عضل والقارة وهم من بني خزيمة ، بن مدركة . قدموا على رسول الله ﷺ وأظهروا الإسلام وسألوه أن يبعث معهم نفراً من أصحابه . يقرؤنهم القرآن ويفقهونهم في الدين ، فبعث معهم ﷺ ستة ، وقيل عشرة .

فخرجوا حتّى إذا كانوا بالرجيع غدروا بهم ولقيهم مائة من هذيل بأيديهم السيوف . فقتلوا بعضهم ، واسروا بعضهم ، فباعوهم في مكة من قريش فقتلوهم .

وكان من المقتولين عاصم بن أبي الأفلح الأنصاري الذي حمت جسده الدبر[1] بعد قتله لأنه كان حلف في حياته ان لا يمس مشركاً ولا يمسه ، فأبر الله قسمه رضي الله عنه .

ومن الأسرى خبيب ابن عدي الأنصاري رضي الله عنه الذي رؤي وهو في الأسر يأكل عنباً ولا يعلم يومئذ في الارض عنب ، وهو أول من صلى ركعتين قبل القتل حين عزموا على قتله .

وروي أن المشركين قالوا له حينئذ : أتحب أن محمداً مكانك وأنك جالس في بيتك؟ قال : والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة واني جالس في بيتي . وقد روي أن القائل لذلك غيره ، ثم قتلوه

---

(١) الدَّبْرُ : الزنابير والنحل . ويروى أن المشركين تركوا المثلة بقطع رأسه الى أن يدخل الليل وتذهب الدَّبر . فبعث الله على الوادي سيلاً عظيماً فذهب به الخ ... الحديث .

ورفعوه على خشبة ووجهه لغير القبلة فاضطرب على الخشبة فصار وجهه الى الكعبة رحمه الله تعالى .

وقد روي أن غزوة الرجيع كانت قبل بئر معونة والله أعلم وأحكم .

ثم كانت غزوة بني النضير .. في ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة ، وسببها أن عمرو بن أمية الضمري لما قتل الرجلين من بني عامر كما تقدم ذكره . خرج رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه الى بني النضير يستعينهم لديتهما او يستقرض منهم فجلس ﷺ مستنداً الى بيت فأرادوا أن يطرحوا عليه حجراً من فوق البيت فيقتلوه ، فجاءه الوحي بذلك فنهض ﷺ سريعاً كانه يريد حاجة ومضى الى المدينة ؛ فلما ابطأ لحق به أصحابه فأخبرهم بما همت به اليهود وقال ﷺ لمحمد بن مسلمة أذهب الى بني النضر فقل لهم : اخرجوا من بلادنا فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من القتل ، هذا وقد أجلتكم عشراً فمن رؤي منكم بعدها ضربت عنقه ، فأخذوا يتجهزون ، ثم أرسلوا الى رسول الله ﷺ ان يخرج فليصنع ما بدا له ؛ وكان قد وعدهم عبد الله بن أبي ان يقاتل معهم في قومه . فسار اليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم ، وقاموا على جدر حصونهم يرمون بالنبل والحجارة ، ولم يأتهم ابن أبي ، وأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطعت وأحرقت ، ثم نزلت اليهود على أن لهم ماحملت الأبل الا الحلقة [1] . فأجلاهم رسول الله ﷺ ، فذهب بعضهم الى الشام ، ولحق بعضهم بخيبر ، وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن وقبض رسول الله ﷺ الحلقة خمسين درعاً ، وخمسين

---

(١) الحلقة : السلاح كلّه أو الدروع وما يتبعها يدخل ضمناً .

بيضة ، وثلاثمائة سيف ، وأربعين رمحاً الى غير ذلك، واصطفى أموالهم فجعلها لنوائبه ، واعطى منها المهاجرين ، لما لم يكن لهم مال ولم يعط أحداً من الأنصار منها شيئاً إلا رجلين لم يكن لهما مال ، وقد قص الله سبحانه هذه الغزوة في سورة الحشر أحسن القصص .

ثـم كـانت غـزوة بـدر .. الموعده لهلال ذي القعدة ، على رأس خمسة وأربعين شهراً، وسببها أن أبا سفيان بن حرب كان نادى عندانصرافه من أحد:موعد بيننا وبينكم بدر راس الحول، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمر رسول الله : نعم إن شاء الله تعالى، فلما دنا الموعد خرج رسول الله ﷺ في ألف وخمسمائة معهم عشرة أفراس فانتهى الى بدر ليلة هلال ذي القعدة. وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين معهم خمسون فرساً ثم رجع من مجنة [1] وقيل من عسفان واعتذر بأنه عام جدب .

فأقام رسول الله ﷺ ثمانية أيام . وكان مع المسلمين تجارات فربحوا فيها ربحاً عظيماً ثم عادوا الى المدينة. وقيل أن هذه الغزوة كانت بعد غزوة ذات الرقاع والله أعلم .

ثـم كـانت غـزوة عبـد الله .. بن عتيك رضي الله تعالى عنه لقتل أبي رافع سلام ابن أبي الحقيق اليهودي بخيبر لأربع خلون من ذي القعدة . على رأس ستة وأربعين شهراً . وقيل في جمادى الأولى سنة ثلاث وكان سببها أن أبا رافع كان قد أجلب في غطفان وغيرهم من مشركي العرب لحرب رسول الله ﷺ . وجعل

(١) مَجَنّة : محل من ناحية الظهران . قال في تاج العروس مجنة بفتح الميم وقد تكسر ميمها والفتح أكثر وهي موضع قرب مكة على أميال. وقال ابن عباس : كانت مجنة . وذو المجاز . وعكاظ ... اسواقاً في الجاهلية . تمت بتصرف .

لهم الجعل العظيم فبعث رسول الله ﷺ اليه عبد الله بن عتيك الأنصاري الخزرجي ومعه أربعة انفار من الخزرج فانتهوا الى حصنه ، ودخلوا عليه ليلا فقتلوه وعادوا الى المدينة ، وطلبتهم اليهود في جمع فنجاهم الله تعالى منهم . وقيل ان هذه الغزوة كانت في شهر رمضان سنة ست والله أعلم وأحكم .

ثم كانت غزوة ذات الرقاع .. وقد اختلف في تسميتها بذلك ، الذي في صحيح البخاري عن أبي موسى انها نقبت أقدامهم ، فجعلوا يلقون عليها الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، وكان سببها انه بلغ النبي ﷺ أن بني نمار بن معيض ، وبني سعد ابن ثعلبة قدجمعوا لحرب المسلمين فخرج اليهم رسول الله ﷺ لعشر خلون من المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً حتى بلغ محالهم فوجدهم قد هربوا الى رؤوس الجبال ، واطلعوا على المسلمين ، فلما حضرت الصلاة خاف النبي ﷺ أن يغيروا عليه فصلى بأصحابه صلاة الخوف ، وهي أول صلاة صلاها كذلك هكذا ، حكاه أهل السيرة والله أعلم .

ثم كانت غزوة دومة الجندل[1] .. وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة ست عشرة ليلة ، خرج اليها رسول الله ﷺ في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول على رأس تسع وأربعين شهراً في ألف من المسلمين ، ونكب عن الطريق وأعد السير ، وكان يسير الليل ، ويكمن النهار ، فلما كان بينه وبينها ليلة هجم على ماشيتهم فأصاب ،منها وفر باقيهم ، فتفرق أهل دومة الجندل لما بلغهم ذلك ونزل النبي ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً فأقام بها أياماً وبث سراياه فعادت بإبل ولم يلق

---

(١) قيل سميت دومة الجندل باسم دومي بن اسماعيل وكان نزل بها .

أحداً . فعاد النبي ﷺ الى المدينة لعشرين خلون من شهر ربيع الآخر ، والله أعلم .

ثـم كـانت غـزوة المريسيغ .. وهي غزوة (بني المصطلق) من خزاعة والمريسيع ماء لهم بينه وبين الفرع نحو يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد ، وكان سببها أن الحرث بن ابي ضرار سيد بني المصطلق جمع لحرب النبي ﷺ من قومه جمعاً ومن سائر العرب ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج النبي اليهم لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس حتى انتهى الى المريسيع وقد كان بلغ القوم سيره فتفرق عن الحرث من كان قد اجتمع اليه من أفناء العرب فتهيأ الحرث للحرب وصف رسول الله ﷺ أصحابه فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون على المشركين حملة رجل واحد . فما افلت منهم إنسان ، وقتل منهم عشرة واسر الباقون ، وسبيت النساء والذرية وغنمت الإبل والشاء وغيرها ، وكان السبي أهل مائتي بيت والابل الفين والشاء خمسة آلاف . وسبيت جويرة بنت الحرث بن أبي ضرار فوقعت في سهم ثابت ابن قيس بن شماس فكاتبها وجاءت تستعين رسول الله ﷺ فقال لها أو خير من ذلك .. أؤدي عنك[1] وأتزوجك . قالت : نعم . فادى عنها كتابتها وتزوجها ، وخرج الخبر بذلك الى المسلمين فاطلقوا ما كان بأيديهم من السبي وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ[2] ..

---

(١) أي أقضي عنك .

(٢) الحديث في سيرة بن هشام عن عائشة وتمامه : وأرسلوا بأيديهم . قالت : فقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق . فما أعلم امرأةً كانت أعظم على قومها بركةً منها .

وفي هـــذه الغـــزوة .. وقعت بين بعض سقاة المهاجرين وبعض سقاة الأنصار منافسة على السقي وضاح كل منهما بأصحابه حتى كاد الفريقان يقتتلان . فقال عبد الله بن أبي سلول في جملة كلام له : والله ما مثلنا ومثل جلابيب قريش هذه الا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فأنزل الله في ذلك سورة المنافقين .

وفيها فقدت ناقة رسول الله ﷺ القصوى فتطلبها المسلمون في كل وجه ، فقال بعض المنافقين : أفلا يخبره الله بمكان ناقته ؟ وجاء رسول الله ﷺ الوحي بما قال . فقال ﷺ : والمنافق يسمع : إن رجلا من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله ﷺ وقال : ألا يخبره الله بمكانها ؟ فلعمري ان محمداً ليخبر بأعظم من شأن الناقة ، ولا يعلم الغيب الا الله تعالى وان الله قد أخبرني بمكانها ، وانها في هذه الشعبة المقابل لكم وقد تعلق زمامها بشجرة فذهبوا فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ فأتوا بها .

وفيها مر النبي ﷺ في رجوعه بالنقيع بالمتون فرأى فيه كلأً كثيراً فامر أن يحمى لخيل المسلمين وابلهم التي يغزون عليها .

وفيها سابق رسول الله ﷺ بين الخيل والابل وفيها نزلت آية التيمم .

وفيها كان حديث الإفك كما ذلك مبسوط في كتب الحديث والسير .

وفيها نهى رسول الله ﷺ عن طروق النساء ليلا لما تقدم عبد الله بن رواحة الى أهله فرأى مع امرأته انساناً طويلا نائماً ، فهم بقتلها ، ثم ثبت فغمز امرأته برجله ففزعت و صاحت فقال :

أنا عبد الله ، فمن هذا معك ؟ فقالت : فلانة الماشطة ، سمعنا بقدومكم فدعوتها لتمشطني ، فباتت عندي ، فكان سبب قول رسول الله ﷺ لا تطرقوا النساء ليلا .

ثم كانت غزوة الخندق .. وهي غزوة الأحزاب وكانت في شوال سنة خمس على الصحيح ، وكان سببها ، أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير سار بعضهم الى خيبر ، ومنهم حيي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهما فخرجوا الى قريش فحالفوهم على حرب رسول الله ﷺ واتعدوا لوقت وقتوه ثم خرجوا الى غطفان وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة ، وأتوا بني سليم ، فوعدوهم بالخروج معهم فخرجت قريش ومن تبعها في أربعة آلاف ومعهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير ، ولقيهم بنو سليم في سبعمائة ، وخرجت بنو أسد وخرجت فزارة في الف . وأشجع في أربعمائة ، وبنو مرة في أربعمائة ، فكانوا جميعاً عشرة آلاف [1] .

فبلغ الخبر رسول الله ﷺ فبدت الناس . وأخبرهم خبر عدوهم وأمرهم بحفر الخندق وحفر رسول الله ﷺ معهم فتبادر المسلمون في العمل . وكان سلمان الفارسي يعمل كعمل عشرة فتنافس فيه المسلمون . فقال المهاجرون هو منا وقال الأنصار هو منا ، فقال رسول الله ﷺ « سلمان منا أهل البيت » واعترض

---

(١) هكذا في الأم والعدد الإجمالي يبلغ « ٦٥٠٠ » . ولم يذكر في الاصل عدد بني أسد .

والذي في سيرة ابن هشام : أن قريشاً ومن تابعها خرجوا في عشرة آلاف ولم يفصّل عدد كل قبيلة على حدتها كما هنا فالاجمال متفق عليه هنا وفي سيرة ابن هشام فتأمل .

لهم في الخندق حجر صلد فضربه رسول الله ﷺ بالمعول ثلاث ضربات يبرق في كل ضربة برقة ، وانكسر الحجر في الثالثة ، قال ﷺ : اني رأيت في الضربة الأولى قصور اليمن ، ورأيت في الثانية قصور الشام . ورأيت في الثالثة قصر كسرى الأبيض ، واخبر ﷺ انه سيفتح على أمته جميع ذلك .

ولما كمل الخندق صارت المدينة كالحصن ورفع المسلمون النساء والصبيان الى الآطام ، وعسكر رسول الله ﷺ بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف ، وقيل وتسعمائة . وجعل ظهره الى سلع والخندق أمامه ، ورأى جابر بن عبد الله الأنصاري برسول الله خمصاً شديداً وهو يحفر الخندق . فأخبر امرأته بذلك فطحنت صاعاً من شعير وذبح هو شاة ثم طبخت وخبزت ودعى رسول الله ﷺ فدعى أهل الخندق فجعلوا يدخلون على الطعام عشرة عشرة فأكلوا جميعهم حتى شبعوا ، ببركة رسول الله سيد المرسلين ﷺ .

ثم ان بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ فظاهروا المشركين عليه فاشتد الخوف والحزن على المسلمين وعظم البلاء وزلزلوا زلزالا شديداً . كما حكى الله تعالى ذلك في سورة الأحزاب ، ونجم النفاق حينئذ . وجعل المسلمون يحرسون الخندق بالليل وجعل المشركون يطيفون في الخندق حتى أتوا مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون ، فعبر جماعة ، فيهم عمرو ود العامري ، وقام سائرهم من وراء الخندق فدعى عمرو بن ود الى البراز[1]

---

(١) قال ابن هشام : عن ابن اسحاق : وكان عمرو بن عبدود قد قاتل وجرح يوم بدر ولم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلماً ليرى مكانه ، قلت وقد أعز الله الاسلام بأن برز اليه علي كرم الله وجهه فقتله ولقي في الخندق ما أفلت منه يوم بدر ، ورجعت خيل المشركين منهزمة واقتحمت الخندق هاربة .

وكان قد بلغ تسعين سنة ولم يجرء أحد على مبارزته .

فدعى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام . . فأعطاه سيفه وعممه بيده وقال : اللهم أعنه عليه فخرج اليه وهو راجل فلم يكن بأسرع من أن قتله ، فولى أصحابه الأدبار ، ووقع أحدهم في الخندق ، فرماه المسلمون بالحجارة حتّى قتلوه . ثم وافى المشركون سحراً وصف رسول الله أصحابه الى هوي [١] من الليل وما زالوا يطلبون غرة المسلمين ويناوشونهم القتال فلايظفرون بطائل ، وأصاب المسلمون مجاعة شديدة ، وكان أهلوهم يبعثون اليهم بما يقدرون عليه من الزاد ، فأرسلت غمرة بنت رواحة ابنتها بحفنة من تمر الى زوجها بشير بن سعد واخيها عبد الله ابن رواحة ، فمرت برسول الله ﷺ فقال : الي يا بنية ما هذا معك ؟ فأخبرته فأخذها في كفيه ونثرها على ثوب وأمر من صرخ بالخندق ان هلموا الى الغداء فاجتمعوا عليه يأكلون حتّى صدروا وانه ليفيض من أطراف الثوب [٢] .

ثم أرسلت أم معتب الأشهلية بقعبة فيها حيسة [٣] إلى النبي ﷺ فدعي إليها أهل الخندق . فأكلوا منهـا حتى انتهوا وهي كما هي .

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه بضعة عشرة ليلة محصورين فأراد رسول الله ﷺ أن يصالح غطفان بثلث ثمار المدينة ليرجعوا . فقال رؤساء الأنصار يا رسول الله إن كان هذا أمراً

---

(١) هوي : بفتح الها وضمها وكسر الواو أي قطعة من الليل .

(٢) الحديث في سيرة بن هشام ، عن ابن اسحاق عن سعيد بن سينا .

(٣) الحَيْسُ : تمر يخلط بسمن وإقط . والإقط : هو اللبن المعقد المجفّف .

من السماء فامض له ، وإن كان إنما هو اللأوى [1] فما لهم عندنا إلا السيف . فقال ﷺ : بيننا السيف ، رافعاً بها صوته ، ثم ان رسول الله ﷺ دعى على الأحزاب فتخاذلوا ورعبوا ، وأرسل الله عليهم الريح حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رجله . ولا يقر لهم قرار ولا بناء فارتحلوا خائبين كما قال الله سبحانه في سورة الأحزاب (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً)الآية

وأصبح رسول الله ﷺ بعد رحيل الأحزاب ، فأذن للمسلمين بالانصراف فلحقوا بمنازلهم .

ثم كانت « غزوة بني قريظة » وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الخندق ، دخل بيت عائشة فاغتسل وصلى الظهر ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، إن الله عز وجل يأمرك أن تسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل حصونهم .

فدعي النبي ﷺ علياً عليه السلام فدفع إليه اللواء وكان على حاله لم يحل ، وأمر بلالا فأذن في الناس أن رسول الله ﷺ «يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة » [2] وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة على الاصح ، يناديهم القتال حتى نزلوا على حكمه ، فجعل

---

(١) اللأوى : الشدة .

(٢) يقال إنه اتفق أن غربت عليهم الشمس قبل أن يصلوا العصر وانما صلوه عشاءاً ، لظاهر الحديث ، وصلى جماعة في الطريق قبل غروب الشمس ، وقالوا : لم يرد رسول الله (ص) اخراج الصلوة عن وقتها .

أمرهم إلى سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري رضي الله عنه ، وكان جريحاً أصابه سهم يوم الخندق فأتي به على حمار إلى رسول الله ﷺ ، فحكم بقتل المقاتلة ، وسبي النساء ، والذرية ، وقسمة الأموال ، فقال ﷺ « قد حكمت بحكم الله عز وجل من فوق سبعة أرقعة » .

فأمر رسول الله ﷺ بالسبي فسيقوا إلى المدينة ، وأمر بالسلاح والأثاث والمتاع فحمل ، وبالابل والغنم فتركت ترعى في الشجر ، وأمر بالأسرى فكتفوا ، ثم عاد إلى المدينة ، فأتى إلى السيوف فأمر بأخاديد فخدت ، وأمر بضرب أعناقهم فأخرجوا أرسالا تضرب أعناقهم ، وكانوا حول ستمائة أو سبع مائة ، وقسم السبي من النساء والصبيان ، وكانوا نحو ألف ، ووجد في حصونهم ألف وخمسمائة سيف ، وثلاثمائة درع وألف رمح والف وخمسمائة ترس ، وتحف ، وأثاث كثير ، فخمست الغنائم والسبي ، وقسم باقيها بين المسلمين على السهمان ، ورضخ لمن شهد الوقعة من النساء .

ثم كانت « سريةعبد الله بن أنيس » إلى سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي اللحياني (١) . وكان بلغ النبي ﷺ أنه يجمع لحربه وقد ضوى إليه بشر كثير وكان ينزل«عرنة» وما حولها ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس ليقتله . فخرج إليه لخمس خلون من المحرم على رأس أربعة وخمسين شهراً ، وروي أنه

---

(١) في سيرة بن هشام وفي كتاب « حياة محمد » أنه خالد بن سفيان بن نبيح ، ولعله أصح

قال لست أعرفه . فقال : إنك إذا رأيته هبته وفرقت منه . وذكرت الشيطان وآية ذلك أن تجد له قشعريرة إذا رأيته .

وفي سنن أبي داود . عن عبد الله بن أنيس ما لفظه : فلما دنوت منه قال : من أنت ؟ قلت:رجل من العرب . بلغني إنك تجمع لحرب هذا الرجل . فجئتك في ذلك . فقال : إني لفي ذلك ، فمشيت معه ساعة حتى إذا أمكنني علوته بسيفي حتى تردى . وروي أنه لما رجع كان يكمن النهار ويسير في الليل ، حتى قدم المدينة برأسه . والله أعلم وأحكم .

ثم كانت« غزوة القرطاء »[1] إلى بني أبي بكر ابن كلاب ، خرج فيها محمد بن مسلمة في ثلاثين رجلا فكان يسير الليل ، ويكمن النهار ، حتى شن الغارة عليهم وقتل منهم عشرة واستاق النعم والشاء ، وعاد إلى المدينة . وكان ذلك في شهر المحرم من السنة المذكورة . ثم كانت غزوة بني لحيان بن مدركة بناحية عسفان ، خرج فيها رسول الله ﷺ لهلال ربيع الأول ، سنة ست ، على المختار وكان في مائتي رجل فيهم [2] فارسا يريد بني لحيان ليأخذ بثأر أهل الرجيع ، حتى انتهى إلى حيث أصيبوا . وهرب بنو لحيان ، فأقام يوماً أو يومين ، وبث السرايا فلم يقدر على أحد ، فأتى عسفان ، ثم بعث فارسين حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا ، وقال ﷺ : إن هذا يبلغ قريشاً فيذعرهم ، ثم عاد إلى المدينة

ثم كانت غزوة الغابة ، ويقال « غزوة ذي قرد » ، وهو ماء

(١) القرطاء : من هوازن كما جاء في سيرة بن هشام .

(٢) كذا في الأصل ولم نجد عدد الفرسان في سيرة بن هشام فينظر .

على بريدمن المدينة ، وذلك في شهر ربيع الأول على الصحيح ، وسببها أن عيينة بن حصن الفزاري ، أغار على لقاح لرسول الله ﷺ بالغابة في أربعين فارساً ، فأغار رسول الله ﷺ في آثارهم حتى انتهوا إلى ذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح ، وقتل نفر من المشركين من خيارهم .

وفي هذه الغزوة دعا رسول الله ﷺ لأبي قتاده وبصق على سهم وقع في وجهه فما ضرب عليه قط ولا قاح ومات أبو قتاده وقد بلغ سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة . وأعطاه رسول الله ﷺ فرس القتيل الذي قتله وسلاحه ، ودعا له فيه بالبركة .

ثم كانت سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغمر وهو ماء لبني أسد ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست فخرج في أربعين رجلا يعد السير . فنذر به القوم ، فهربوا ، وبث سراياه في بلاد بني أسد ، فظفروا بنعم فاستاقوها وعادوا إلى المدينة .

ثم كانت سرية محمد بن مسلمه إلى ذي القصة . وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا . يريد بني ثعلبة فخرج محمد ابن مسلمة في عشرة ، حتى وردوا ليلا . فناموا ليلا فأحاط بهم بنو ثعلبة فقتلوهم ، وسقط محمد بن مسلمة جريحاً ، فحمل بعد ذلك إلى المدينة .

ثم كانت سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست ، في أربعين رجلا ، فأغار على القوم عماية الصبح فأعجزوهم هرباً ، فأسر المسلمون رجلا واستاقوا نعماً وشاءاً وعادوا .

ثم كانت« سرية زيد بن حارثة »إلى العيص على ربعة أميال من المدينة ، في جمادي الأولى من السنة المذكورة ، ومعه سبعون ومائة راكب يطلبون عيراً لقريش ، قد أخذت طريق العراق فظفروا بها وقدموا بها المدينة ، وكان فيها أبو العاصي بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ فأجارت زينب زوجها فأقر الرسول والمسلمون جوارها ورد على أبي العاصي ما كان أخذ منه من المال ، فعاد إلى مكة . وأدى إلى كل ذي حق حقه وأسلم ، ثم قدم المدينة مهاجراً . فرد إليه رسول الله ﷺ زينب رضي الله عنها .

ثم كانت« سرية زيد بن حارثة » إلى الطرف ، وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بناحية نخل من طريق العراق في جمادى الآخرة ، ومعه خمسة عشر رجلا من بني ثعلبة فأصاب لهم نعماً وشاء وقدم من غير قتال .

ثم كانت« سرية زيد بن حارثة أيضاً » إلى جذام وراء وادي القرى في جمادى المذكورة ، وكان سببها أن دحية الكلبي أقبل من عند قيصر ملك الروم ، بجائزة وكسوة فلقيته جذام بشنار [1] فأخذوا ما معه [2] فبعث رسول الله ﷺ زيداً رضي الله عنه في خمسمائة رجل ، ومعه دحية . وكان يسير ليلا ويكمن نهاراً حتى هجم عليهم مع الصبح ، فقتل رئيس القوم وابنه ، واستاق ألف بعير وخمسمائة ألف شاة ومئة ما بين امرأة وصبي ، وكانت

---

(١) جذام : اسم قبيلة وشنار : اسم واد من أوديتهم .

(٢) في سيرة بن هشام : أن قوماً من جذام وهم من القبيب أغاروا واسترجعوا ما أخذ على دحيه وسلموه اليه .

طائفة يقال لهم بنو الحبيب قد أسلموا ، فتقدموا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له ما فعل زيد ، ورضوا برد المال والذرية ، واغضوا عن القتل ، فبعث معهم ﷺ على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومعه سيف رسول الله ﷺ أمارة إلى زيد ليرد ما أخذ عليهم ، فرد عليهم جميع ذلك .

ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف ، إلى «دومة الجندل» في شعبان ، ليدعوا كلباً إلى الاسلام في سبعمائة رجل ، فأقعده رسول الله ﷺ بين يديه ، ونقض عما متهبيده الكريمة ثم عممه بعمامة سوداء ، وأرخى بين كتفيه منها ثم قال هكذا فاعتم يا بن عوف ، فسار عبد الرحمن بمن معه حتى قدم دومة الجندل فدعى أهلها إلى الاسلام ، ثلاثة أيام وهم يأبون إلا محاربته ، ثم أسلم الأصبع بن عمر الكلبي وكان نصرانياً وهو رأس القوم ، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ وتزوج تماضر بنت الأصبع ، وفرض الجزية على من اقام على دينه ثم أقبل .

ثم كانت« سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه » إلى بني عبد الله بن سعد بفدك في شعبان منها ومعه مائة رجل وقد جمعوا على أن يمدوا يهود خيبر فسار ليلا وكمن نهاراً . حتى أغار على إبلهم فضمها ، وفرت رعاتها . فأنذروا القوم فتفرقوا ، فانثنى علي ر ي الله عنه بالنعم . وهي خمسمائة بعير وألف شاة ، فأخرج منها الخمس والصفي وقسم باقيها ثم أقبل .

ثم كانت« سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ، إلى أم قرفه »[1]

---

(١) في السيرة : غزوة زيد بن حارثة بني فَزَارَة ومصاب أم قرفة .

فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية . بناحية وادي القرى ، على سبع ليال من المدينة في شهر رمضان سنة ست .

وسببها أن زيداً رضي الله عنه خرج في تجارة إلى الشام ، فخرج عليه من فزارة وادي القرى ناس من بني بدر من مزاح فضربوه ومن معه حتى ظنوا أنهم قتلوه . وأخذوا ما كان معه ثم إنه تحامل حتى قدم المدينة فبعثه رسول الله ﷺ في سرية كان يكمن نهاره ويسير ليله . ونذرت بهم بنو بدر ، فاستعدوا لهم فلما كان زيد ومن معه على مسيرة ليلة ، أحاط بهم دليلهم الطريق حتى صبحوا القوم . فقتل سلمه بن الأكرع . رجلا منهم وأخذ أم قرفة وابنتها ، ثم قتلت أم قرفه ، وقدموا بالغنيمة إلى المدينة .

ثم كانت «سرية أميرها عبدالله بن رواحه » إلى اليسير بن رزام [1] بخيبر ، في شوال . سنة ست ، وكان اليسير قد تآمر على رأس يهود بعد قتل أبي رافع ، فقام فيهم يريد حرب رسول الله ﷺ وسار في غطفان يجمعها ليسير إلى المدينة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فندب الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلا ، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحه رضي الله عنه ، فقدموا خيبر على اليسير فقالوا له : إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك أن تخرج معنا إليه ليستعملك على خيبر ، ويحسن اليك ، فطمع في ذلك ، وخرج في ثلاثين من يهود ، ثم ندم في الطريق ، وهم بعبد الله ابن أنيس ليقتله ، فبدره عبد الله فقتله ، ومالوا على أصحابه فقتلوهم كلهم ، إلا رجلا

---

(١) في الأصل المخطوط : أسير ، والذي في سيرة بن هشام : اليسير فأثبتناه كما في السيرة .

واحداً فر منهم ، ولم يصب أحد من المسلمين ، ثم قدموا المدينة ، الخبـر .

ثم كانت « سرية كرز بن جابر الفهري » وذلك أن نفرا من قيس كبه [1] قدموا على النبي ﷺ فأسلموا ، ثم استوبؤا المدينة ، فأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى لقاحه بذي الجدر على ثمانية أميال من المدينة ، ليشربوا من ألبانها وأبوالها .

حتى إذا صحوا وسمنوا ، قتلوا الراعي [2] ومثلوا به ، وذهبوا بالمرح فبلـغ ذلك النبي ﷺ ، فبعث في آثارهم عشرين فارساً واستعمل عليهم كرز بن جار الفهري ، فأدركهم وأسروهم فأمر بهم رسول الله ﷺ فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وصلبوا ؛ فنزل قوله عز وجل : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) الآية ؛ فكان النبي ﷺ بعدها ينهي عن المثلة .

ثم كانت « عمرة الحديبة » ذلك أن رسول الله ﷺ رأى في منامه أنه دخل البيت وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت وعرف مع المعرفين ، فاستنفر الصحابة رضي الله عنهم إلى العمرة ، فأسرعوا فخرج بهم لهلال ذي القعدة سنة ست . لا يشكون في الفتح للرؤيا المذكورة ، وليس معهم سلاح إلا السيوف في القرب ، وساق رسول الله ﷺ سبعين بدنه ، ولما بلغ ذي الحليفة أشعرها وقلدها وأحرم ، وأحرم المسلمون بإحرامه . وكان معه من المسلمين ألف وستمائة وأكثر على ما قيل ، وبلغ أهل مكة خروج رسول

---

(١) كبة : قبيلة من بجيلة .

(٢) إسمه : يسار . ذبحوه وغرزوا الشوك في عَيْنَيْه ، وكان يرعى اللقاح .

الله ﷺ ، فراعهم ذلك ، وتشاوروا وقدموا الطلائع ، ووضعوا العيون ، وخرجوا إلى بلدح ، فضربوا بها القباب والأبنية ، ومعهم النساء والصبيان ، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش ، وأجمعوا أمرهم على منع رسول الله ﷺ من دخول مكة ومحاربته ، ودنت طلائع المشركين وخيلهم ، حتى نظروا إلى المسلمين .

وحانت الصلاة ، فصلى النبي ﷺ بالمسلمين صلاة الخوف .

ثم سار بهم ﷺ حتّى دنا من الحديبية ، فبركت ناقته القصوى ، فقال الناس خلأت القصوى . فقال ﷺ : إنها ما خلأت ولا هو لها بعادة [1] ولكن حبسها حابس الفيل ، أما والله لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله ، إلا أعطيتهم إياها .

ثم زجرها فقامت فنزل النبي ﷺ بالناس على ثمد [2] من ثماد الحديبية قليل الماء ، فاشتكى الناس قلة الماء فانتزع ﷺ سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الثمد ، فجاش لهم بالرواء حتّى ضربوا بعطن . وبلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً قد أقسموا أن لا يخلو بينه وبين البيت حتّى يبيد خضراءهم ، فقال ﷺ : إنا لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه ، ثم عرض ﷺ عليهم الهدنة وسفر بهم في ذلك عروة ابن مسعود الثقفي ، وبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان إلى مكة ، فبلغه أنه قتل فدعى المسلمين إلى البيعة فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة على أن لا يفروا ، وقيل على الموت ؛ ثم أشار أهل للرأي من المشركين بالصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ ثم

---

(١) في السيرة : وما هو لها بخُلُق ، وخلأت بمعنى بركت .

(٢) الثمد : بفتح الميم وإسكانها : القليل من الماء الذي لا مادّة له .

يعود من قابل فيقيم بمكة ثلاثاً . فصالحهم النبي ﷺ على ذلك . وأمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه ، أن يكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا أعرف الرحمن ، أكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله ﷺ أكتب باسمك اللهم ، هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ، وسهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك : فضج المسلمون وارتفعت الأصوات ، وقالوا : لا تكتب إلا محمد رسول الله . فقال النبي ﷺ هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو إلى آخر ما كتب ، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده ودخلت بنو بكر بن عبد مناف في عهد قريش وعقدهم وكانت مدة الهدنة عشر سنين على الأصح .

فلما تم ذلك ، أمر النبي ﷺ أن ينحروا الهدي ويحلقوا ويحلوا من أحرامهم فشق ذلك عليهم ، فانطلق النبي ﷺ إلى هديه فنحره ثم دعى الحلاق ، فحلق رأسه ﷺ وأقام بالحديبية بضعة عشر يوماً ، وقيل عشرين يوماً .

ثم انصرف فلما بلغ عسفان أرمل المسلمون من الزاد فأمرهم ﷺ بجمع ما بقي معهم فكان منهم من يأتي بالكف من السويق والدقيق ، ومنهم من يأتي بالقبضة من التمر ، أو بالتمرة الواحدة ، ومنهم من لا يأتي بشيء ، فاجتمع من ذلك شيء قليل ، فدعا رسول الله ﷺ فيه بالبركة ثم قال : هاتوا أوعيتكم ، فكان الرجل يأخذ حتى يملأ وعاءه ، ثم أذن رسول الله ﷺ على الناس بكراع موضع الغميم ثم سار حتى بلغ المدينة .

وكان المسلمون قد كرهوا الصلح وداخلهم منه أمر عظيم ،

حتى كادوا يهلكون لأنهم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لأجل رؤيا النبي ﷺ فجعل الله عاقبة القضية خيراً ، فأسلم في الهدنة أكثر ممن كان قد أسلم . من يوم أن دعى رسول الله ﷺ إلى يوم الحديبية . وما كان في الأسلام فتح أعظم من الحديبية . فإن الحديبية كانت قد حجزت بين الناس . فلما كانت الهدنة ، أمن الناس ، واختلطوا وأسلم فيها صناديد قريش ، الذين كانوا يقومون بنصر الشرك وأمر الحرب ، كخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، واشباههما وتفشى الاسلام في جميع العرب .

وكانت الهدنة إلى أن نقض المشركون العهد ، إثنين وعشرين شهـراً .

ثم كانت غزوة خيبر :بينها وبين المدينة ثمانية برد وخرج اليها النبي ﷺ في صفر وقيل لهلال ربيع الأول سنة سبع على الأصح ، وكانت يهود خيبر يظنون أن رسول الله ﷺ لا يغزوهم لمنعتهم . وحصونهم ، وسلاحهم ، وعددهم، وكانوا يخرجون عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ، ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات ! هيهات ! فعمى الله عليهم ، فخرج النبي ﷺ حتّى نزل بساحتهم ليلا . فلما طلعت الشمس خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم [1] فلما نظروا إلى المسلمين قالوا : محمد والخميس [2] وولوا مدبرين هاربين إلى حصونهم ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر . إنا إذا نزلنا على قوم فساء صباح المنذرين .

ثم لم يزل النبي ﷺ يغاديهم بالقتال كل يوم حتّى افتتح جميع

---

(١) المسحاة : المجرفة من الحديد ، والمكتل قفة كبيرة .

(٢) الخميس : الجيش .

حصونهم ، بعضهـا عنوة ، وبعضها صلحاً .

وروى ابن هشام في سيرته ، عن ابن إسحق ، عن مسلمة بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر برايته ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح . وقد جهد ، ثم بعث الغداة عمر بن الخطاب . فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، فقال رسول الله : « لأعطين الراية غداً ، رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، ليس بفرار » قال : يقول مسلمه ، فدعى رسول الله ﷺ علياً وهو أرمد ، فقبله بين عينيه ، ثم قال « خذ هذه الراية ، فأمض بها حتى يفتح الله عليك » قال : يقول مسلمه ، فخرج بها يأنح ، يهرول هرولة ، وأنـا خلفه أتبعه أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن . فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن . فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ، فقال اليهودي : علوتم وما أنزل على موسى ، أو كما قال ، فما رجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن اسحق : وحدثني عبد الله بن حسن عن بعض أهله ، عن أبي رافع ، مولى النبي ﷺ قال : خرجنا مع علي رضي الله عنه حين أعطاه رسول الله ﷺ برايته فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده ، فتناول باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل . حتى فتح الله تعالى عليه . ثم القاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقلبه .

وحكى في الإمتاع عن الحاكم باسناد إلى جابر « أن علياً حمل

الباب يوم خيبر ، وإنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا ١ هـ .

ثم أمر رسول الله ﷺ بجمع الغنائم والسبي ، واصطفى لنفسه صفية بنت حيي بن أخطب فاعتقها وتزوجها ، وخمس الغنائم ، ثم قسم أربعة الأخماس بين الغانمين .

وقال ابن عبد البر أجمع العلماء من أهل الفقه والأثر ، وجماعة من أهل السير ، على أن بعض خيبر كان أخذ بعضها عنوة ، وبعضها صلحاً أو أخذ بغير قتال ، كالذي أجلى عنه أهله ، عمل في ذلك كله بسنة الغزو وما كان منها عنوة عمل فيه بسنة الغنائم ، إلا أن ما فتح الله عليه منها عنوة ، قسمها لأهل الحديبة ولمن شهد الوقعة ١هـ

وفي هذه الغزوة كان حديث الشاة المسمومة ، كما تقدم ذكره ، وكان النبي ﷺ حاصر أهل خيبر في حصنيهم الوطيح ، والسلالم ، حتى نزلوا على أن تحقن دماؤهم ويسيرهم ويتركوا له الأموال ، وسمع بذلك أهل فدك فرغبوا في مثله . فصارت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنه لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب ، ثم توجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ، فحاصر أهلها ، قال في الامتاع : فأخذها عنوة ، وغنم ما فيها .

وطلبت يهود تيما الصلح فصولحوا على الجزية . وأقاموا على أموالهم .

ثم كانت « سرية عمر بن الخطاب » إلى تربة من أرض بني عامر ، على أربعة أميال ، في شعبان سنة سبع ، في ثلاثين رجلا فلم يلقوا أحداً .

ثم كانت « سرية أبي بكر الصديق » إلى بني كلاب ، وقيل إلى

فزاره ، في شعبان المذكور ، بناحية صربه ، فبيت ناساً من هوازن وقتل منهم .

ثم كانت « سرية بشر بن سعد » إلى فدك في شعبان أيضاً ، في ثلاثين رجلا ، إلى بني مرة فأصيبوا .

وبعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي ، ومعه أسامه بن زيد ، في مائتي رجل إلى مضارب القوم ، فغنموا الماشية وسبوا الذرية وقتلوا المقاتلة .

وفي هذه الغزوة « قتل أسامة بن زيد رجلا منهم يقال له نهيك بن مروان ، بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فعنفه رسول الله ﷺ على ذلك وقال : أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ فقال : إنما قالها تعوذاً من القتل فقال ﷺ : أفلا شققت عن قلبه » الخبر .

ثم كانت « سرية غالب بن عبد الله » أيضاً إلى إلى الميقعه في مائة وثلاثين رجلا فقتلوا وغنموا .

ثم كانت « سرية بشير بن سعيد » إلى الحباب في سنة سبع ومعه ثلاث مائة رجل فأصابوا نعماً كثيراً بغطفان ، فحووه وفر الرعاة ، فابتدروا أصحابهم . وأسروا منهم رجلين فأسلما .

ثم كانت عمرة القضاء . وقد يقال عمرة القضية .

في ذي القعدة سنة سبع . أمر رسول الله ﷺ أصحاب الحديبية أن يخرجوا لقضاء عمرتهم ، فخرجوا ، وخرج معهم غيرهم . فكان المسلمون ألفين وساق ﷺ ستين بدنه . وأحرم من باب مسجد ذي الحليفه وسار ملبياً حتى دخل مكة . وقضى عمرته هو ومن معه ونحروا هديهم وأقام بمكة ثلاثاً . ثم أرسلت

إليه قريش أن قد انقضى أجلك ، فأخرج عنا . وكانوا قد اشترطوا ذلك في صلح الحديبية ، فأمر ﷺ بالرحيل حتّى قدم المدينة في ذي الحجـة .

ثم كانت « سرية ابن أبي العوجا السلمي » في ذي الحجة المذكورة في خمسين رجلا . إلى بني سليم . فنذروا به وجمعوا له ، فقاتلهم حتّى قتل عامة أصحابه ، واثخنوه بالجراح ، ثم تحامل حتّى قدم المدينة .

وفي صفر سنة ثماني قدم خالد بن الوليد . وعمر بن و العاص ، وعمر بن طلحة على رسول الله .

وفي صفر هذا كانت سرية غالب بن عبد الله إلى الكديد ليغير على بني الملوح من بني ليث في ربيع الأول سنة ثماني ، فخرج في بضعة عشر رجلا . فبيتهم ليلا فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، واستاق الماشية ، وانحدروا إلى المدينة . فلحقهم من المشركين ما لا قبل لهم به ، فلما كان بينهم وبين المشركين الوادي ، أرسل الله سيلا فملأه ، فلم يستطع المشركون أن يجتازوه فوقفوا ينظرون إليهم حتّى فاتوهم فقدموا المدينة .

ثم كانت « سرية كعب بن عمير الغفاري » إلى ذات الطلاح وراء وادي القرى في خمسة عشر رجلا ، فقاتلوا حتّى قتلوا ، وأفلت منهم رجل جريح ، حتّى أتى المدينة ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ .

وكانت « سرية شجاع بن وهب » إلى النساء وهو ماء بناحية ذات عرق إلى وجره يريد بني عامر موكبه في ربيع الأول ومعه أربعة وعشرون رجلا ، فخرج حتّى أغار على القوم وهم غادون ،

فأصاب نعماً ، وشاء ، وسبايا ، فقدم وفدهم مسلمين ، فرد عليهم رسول الله ﷺ السبايا .

ثم بعث النبي ﷺ قطبة بن عامر في عشرين رجلا إلى حي بن خثعم بناحية تباله ، فقاتله القوم قتالا شديداً فانتصر عليهم فحاز الماشية ، والذرية .

ثم كانت «غزوة مؤته » وهي قرية دون دمشق ، في جمادى الأولى وسببها أن الحرث بن عمير ، لما قدم إلى صاحب بصرى بكتاب رسول الله ﷺ ، أخذه شرحبيل بن عمر الغساني ، فضرب عنقه فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وندب الناس .

وقال زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد ، فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر ، فعبد الله بن رواحة ، وزاد في رواية فإن أصيب عبد الله بن رواحهو فليتربص المسلمون رجلا يجعلونه عليهم ، وعقد لواء أبيضاً ، ودفعهإلىزيد بن حارثة ، فخرج إلى مؤته في ثلاثة آلاف .

وسمي هذا الجيش جيش الأمراء ، وسمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم ثم التقوا فاخذ اللواء زيد بن حارثة ، فقاتل حتى قتل طعنا بالرماح ، ثم اخذه جعفر ونزل عن فرسه فعقرها ثم قاتل حتى قتل ، وروي أنه وجد فيما أقبل من يديه اثنتان وسبعون من ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحه ، وقاتل حتى قتل ، وسقط اللواء ، فاختلط المسلمون والمشركون .

فأخذ اللواء ثابت بن أقرم وصاح بالمسلمين ، فانضموا إليه ،

فدفع اللواء إلى «خالد بن الوليد» فثبت للمشركين وانحاش بالمسلمين .

وروي أن النبي ﷺ لما التقى الناس بمؤتة . جلس على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى معتركهم فقال « أخذ الراية زيد بن حارثة فجائه الشيطان فحبب إليه الحياة . وكره إليه الموت . فقال : الآن حيث استحكم الايمان في قلوب المؤمنين يحبب إلي الدنيا ، فمضى قدماً حتى استشهد فدخل الجنة وهو يسعى . ثم أخذ الراية جعفر عليه السلام . فجائه الشيطان فذكر له نحو ما تقدم . ثم قال : فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء منها ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحه فاستشهد ، فدخل معرضاً . فقيل : يا رسول الله ما إعراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكل فعابت نفسه . فشجع فاستشهد فدخل الجنة » ذكر ذلك في الامتاع مع زيادات .

وفي سيرة ابن هشام « أن جعفراً أخذ الراية بيمينه فقطعت ، وأخذها بشماله فقطعت . فاحتضنه بعضديه حتى قتل ، فأثابه الله تعالى بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء ».

ثم كانت «غزوة ذات السلاسل » وهو ماء وراء وادي القرى ، على عشرة أميال من المدينة ، وسببها أن جمعاً من بلى وقضاعه ، تجمعوا ليدنوا من أطراف المدينة ، فعقد ﷺ لعمرو بن العاص لواء أبيضاً . وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في جمادى الآخره سنة ثماني ، على ثلاث مائة من المهاجرين والأنصار ، وأمره أن يستعين بمن مر به من قبيلة بلى وعذره وبلقين وذلك أن عمروا كان ذا رحم فيهم ، كانت أم العاص بن وائل بلوية ، فأراد

النبي ﷺ أن يتالفهم بعمرو ، فسار يكمن النهار ويسيرا الليل ، ثم بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين كأبي بكر وعمر وعدة من الأنصار في مائتين ، وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا فسارا حتّى بلغا أقصى بلاد بلى ، ولقيا في آخر ذلك جمعاً فقاتلوهم فانهزموا ، وأقاموا أياماً يبثون السرايا ، فتعود بالشاء والنعم ولم يكن أكثر من ذلك والله أعلم.

وكانت «سرية الخبط » أميرها أبو عبيدة بن الجراح ، بعثه رسول الله ﷺ في شهر رجب ، ومعه ثلاثمائة رجل إلى حي من جهينة بساحل البحر يسيرون ، فنفذت أزوادهم وأصابهم جوع شديد حتّى كادوا يأكلون الخبط ، ثم وجدوا حوتاً بساحل البحر فأكلوا منه إثنتي عشرة ليلة ، وأمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصبت ومر تحتها بعير برحله وراكبه ، وكان يجلس في وقب عينه جماعة من الناس .

ثم كانت «سرية خضره» من أرض محارب بنجد ، أميرها أبو قتادة الأنصاري في شعبان سنة ثماني في خمسة عشر رجلا ، إلى غطفان فساروا ليلا وكمنوا نهاراً حتّى أتوا ناحيتهم فهجموا على حاضر منهم عظيم ، وجردوا سيوفهم وكروا فقتلوا رجلا واستاقوا النعم ، وحملوا الذرية حتّى قدموا المدينة بمائتي بعير وألف شاة وسبي كثير .

ثم كانت سرية «أبي قتاده» ، إلى بطن ذي إضم ، وهي ذي خشب وذي مروة على ثلاثة برد من المدينة ، في رمضان ، ومعه ثمانية رجال ، وذلك حين هم النبي ﷺ بغزوة الفتح ليوهم أنه يريد تلك الناحية .

ثم كانت «غزوة الفتح» وسببها أن أنس بن ريم الديلي هجا رسول الله ﷺ فسمعه غلام من خزاعة . فضربه فشجه فهاج الشر بين بني بكر . حلف قريش . وبين خزاعة حلف رسول الله ﷺ . فسألت بنو بكر قريشاً أن يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك . وخرج معهم نفر منهم . فبيتوا بني كعب من خزاعة على ماء يقال له الوثير قريب من مكة وهم آمنون فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلا وحملوهم إلى الحرم، ثم ندمت قريش . وعلموا أن الذي فعلوه نقض للعهد الذي بينهم وبين النبي .

وقدم عمر بن سالم الخزاعي على رسول الله ﷺ فأنشده رجزاً واستصرخه وأخبره الخبر ، فقام رسول الله ﷺ وهو يجر ثوبه ويقول :« لا نصرت إن لم أنصر بني كعب» الخبر . ثم تجهز رسول الله ﷺ وأخفى أمره ، وأمر الناس بالجهاز ، وطوى عنهم الوجه الذي يريد .وقال ﷺ : اللهم أعم الأخبار عن قريش . حتى نأتيهم بغتة ، أو كما قال . وأمر النبي بحفظ الطرق .

وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ليتخذ بذلك عندهم يداً يحفظون بها أهله بمكة ؛ فجاء الوحي إلى النبي ﷺ بذلك .

فبعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام والزبير فأدركا المرأة التي حملت الكتاب ، وأخذاه منها واتيا به إلى النبي ﷺ ، فعنف حاطباً على ذلك ثم عفى عنه لما كان من أهل بدر ، الخبر .
وأنزل الله تعالى في ذلك أول سورة الممتحنة .

ثم أذن رسول الله بالرحيل لليلتين خلتامن شهر رمضان ، واستنفر أعراب المسلمين وسار حتى انتهى إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين ، فأخذها عنوة على الصحيح ، فمن على أهلها وسماهم الطلقاء كما ذلك مبسوط في مواضعه من كتب الحديث والسير .

ثم بث سراياه إلى من لم يسلم حول مكة .

وبعث « خالد بن الوليد إلى بني جذيمه » يدعوهم إلى الاسلام ونهاه عن القتال ، فلما انتهى إليهم قالوا : نحن مسلمون ، قال فاستأسروا ففعلوا ثم أمر بضرب أعناقهم فقتل بعضهم ، وبلغ ذلك النبي ﷺ فكره ذلك ورفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه وهو يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ».

ثم بعث علياً عليه السلام فودى لهم كل ما أصيب منهم حتى أنه ليدى لهم ميلغة الكلب [1] وبقي معه بقية من المال فقال هذه البقية لكم عن رسول الله ﷺ مما أصاب خالد مما لا يعلمه ولا تعلمونه . ثم عاد إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ، فقال : أصبت . الخبر .

ثم كانت « غزوة حنين » وهو واد بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف ، وذلك أن أشراف هوازن وثقيف حشدوا وجعلوا أمرهم إلى مالك بن عوف النضري وهو ابن ثلاثين سنة فجاءوا بأموالهم ، ونسائهم . وأبنائهم . يريدون حرب النبي ﷺ فخرج إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت لست خلون من شوال سنة ثماني . وخرج معه إثنا عشر ألفاً . منهم ألفان من أهل

---

(١) الميلغة : إناء من خشب يُحفر ويُجعل فيه ماءٌ ليلغ فيه الكلب .

مكة ، حتى لقي المشركين بحنين . وكان راكباً بغلته (دلدل)
فحمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد .

فانكشف المسلمون حتى بلغ أولهم مكة فيما يقال .

وثبت رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو العدو ويقول : أنا النبي لاكذب ، أنا ابن عبد المطلب [1] .

وكان عمه العباس آخذ بحنكة البغلة . وعمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . أخذ بركابه .

ومولانا علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه في الجنة يقاتل بين يديه ، وأمر ﷺ عمه العباس فنادى : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة وكان رجلا صيتاً . فأقبلوا كأنهم الإبل يقولون : لبيك . لبيك وأخذ ﷺ بيده كفاً من الحصى فرمى العدو بها وقال : « شاهت الوجوه » ثم قال : « إنهزموا ورب الكعبة » فما زال أمرهم مدبراً ولم يبق أحد منهم إلا وهو يشكو القذى في عينيه من رمية رسول الله ﷺ وقذف الله الرعب في قلوبهم وأيد الله رسوله بملائكته فرآهم المشركون على خيل باق ، عليهم يومئذ عمائم حمر فانهزم المشركون وأتبعهم المسلمون يقتلونهم وحازوا جميع الأموال والذرية .

ثم كانت «غزوة الطائف» وذلك أن المشركين لما انهزموا من حنين لحقوا بالطائف ، فبعث النبي ﷺ بالسبي والغنائم إلى الجعرانة وتوجه نحو الطائف ، وقد تحصن فيه المشركون واستعدوا للحرب ، فنزل النبي ﷺ قريباً من حصن الطائف وعسكر

---

(١) الجملة هذه لم تذكر في سيرة بن هشام ، وإن صحت فهي ليست شعراً بل نوع من السجع ، تمت .

هناك ، فرموا بنبـل كثيرة أصيب به جماعة من المسلمين فتحول ﷺ بعسكره إلى حيث لا يصيبهم النبـل ، وثار المسلمون إلى القتال وحاصروا المشركين في الحصن ثمانية عشر يوماً ، وقيـل أربعين يومـاً .

ونصب عليهم النبي ﷺ المنجنيق ، واستشهد جماعة من المسلمين ، ثم أمر ﷺ بالرحيل ، ولما ارتحل عنهم قيل له يا رسول الله أدع على ثقيف ، فقال ﷺ : « اللهم أهد ثقيفاً وأئت بهم » وسار النبي ﷺ إلى الجعرانه وبهـا السبـي والغنائم محبوسة ، وقد اتخذ للسبي حظائر يستظل بهـا من الشمس ، فانتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس خلون من ذي القعدة ، وبعث إلى مكة من يشتري ثياباً فكساها .

وكان السبي ستة آلاف نسمة ، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، والغنم أربعين ألفاً ، وقيل أكثر ، والفضة أربعة آلاف أوقية وغير ذلك ، ثم بدأ ﷺ بالأموال فخمسها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم ، وقسم بين الناس على السهمان .

وقدم وفد هوازن ، وهم أربعة عشر رجلا فقالوا يا رسول الله إنا أهلك وعشيرتك ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، وإن في هذه الحظائر عماتك ، وخالاتك ، وحواضنك ، إلى آخر كلامهم ، فقال رسول الله ﷺ : إن أحسن الحديث أصدقه ، وعندي من ترون فأبناؤكم ونساؤكم ، أحب إليكم أم الأموال ؟ فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، وما كنـا لنعدل بالأحساب شيئاً فرد علينـا أبناؤنا ونساؤنا ، فرد عليهم رسول الله ﷺ أبنائهم ونسائهم برضاء المسلمين .فأقام رسول الله

بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة . ثم اعتمر منها . واستخلف على مكة عتاب بن أسيد ، وهو ابن عشرين سنة ورجع ﷺ إلى المدينة . فقدم إليها لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ثماني .

ثم كانت « بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق » ليأخذ صدقاتهم ، فخرجوا يتلقونه بالجذور والغنم سروراً به ، فولى راجعاً إلى المدينة ، وأخبر أنهم تلقوه بالسلاح ليحيلوا بينه وبين الصدقة وبلغهم ذلك . فقدم وفدهم على النبي ﷺ فأخبره ، فنزلت الآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا إن جائكم فاسق بنبأ) الآية .

وكانت « سرية قطبة بن عامر الأنصاري » إلى خثعم ببعض مخاليف مكة في عشرين رجلا في صفر سنة تسع .

ثم كانت سرية الضحاك بن سفيان الكلابي . إلى بني كلاب المستهل ربيع منها فدعاهم إلى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم .

وكتب رسول الله ﷺ إلى حي من العرب ، يقال لهم بنو حارثة بن عمر يدعوهم إلى الاسلام ، فأخذوا الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دلوهم وأبوا أن يجيبوا فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : « مالهم أذهب الله عقولهم » فصاروا أهل رعده و جلة وكلام مختلط .

ثم كانت « سرية علقمة بن محرز المدلجي » في ربيع الآخر إلى ساحل بناحية مكة ، في ثلاثمائة رجل وكأن أمر على طائفة من جيشة عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعابة فأمر أصحابه أن يتواثبوا في النار إن كانوا مطيعين له ، فهموا بذلك ، فقال : إنما كنت أضحك معكم ، فبلغ ذلك للنبي ﷺ فقال : « من أمركم

بمعصية فلا تطيعوه » وروي أنه قال : « لو دخلوها لما خرجوا منهـا » أو كما قال .

ثم كانت« سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة » إلى القلس صنم طي ، في شهر ربيع الأول ، في خمسين ومائة رجل ، ووجوه الأنصار معهم مائة بعير وخمسون فرساً فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي ومن معهم فملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء .

وهدم علي رضي الله عنه صنمهم القلس .

وكان في السبي سفيانة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم ووجد في بيت حاتم ثلاثة أسياف ، وثلاثة أدراع ، فخمس رضي الله عنه الجميع . وقسم البقية بين الغانمين ، وجعل الأسياف صفايا لرسول الله ﷺ واسم تلك السيوف ، الرسوب ، والمحذم ، واليمـاني .

وترك آل حاتم لم يقسمهم ، وقدم بهم على رسول الله ﷺ

وكان عدي بن حاتم قد فر إلى الشام لما سمع باقبال علي رضي الله عنه فكانت إبنة حاتم إذا مر عليها النبي ﷺ تقول : هلك الوالد وغاب الوافد ، فأمنن علينـا من الله عليك . فيقول : ومن وافدك ؟ فتقول : عدي بن حاتم ؛ فيقول : الفار من الله تعالى ورسوله حتى يئست ، فلما كان اليوم الرابع مر عليها فلم تكلمه ، فأشار إليها علي رضي الله عنه ، أن تكلمه فكلمته . فمن عليها وحملها مع من يثق بـه .

فقدمت على أخيها عدي بالشام ، فحسنت له القدوم على رسول الله ﷺ فقدم فأسلم .

هذا حاصل القصة ، وقد رويت بأحاديث متعددة ، بسيطة ومختصرة والله أعلم وأحكم .

ثم كانت « غزوة تبوك » في شهر رجب سنة تسع .

وسببها أنه شاع بالمدينة أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وأجلبت معهم قبائل ممن يليهم من العرب ، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء ولم يكن شيء من ذلك .

وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ، فانها كانت في حر شديد واستقبل ﷺ — سفراً بعيداً وعدداً كبيراً فخلا للناس أمرهم وأخبرهم بالوجه الذي يريده ليتأهبوا لذلك أهبته .

وبعث ﷺ إلى جميع القبائل وإلى مكة يستنفرهم ، وحرض على الجهاد ورغب في الصدقة . فجاء المسلمون حتى النساء منهم بصدقات كثيرة . وكان عثمان رضي الله عنه ، أكثر الناس نقمة يومئذ ، وعسكر ﷺ بثنية الوداع ، فكان العسكر ثلاثين ألفاً ، وقيل أربعين ألفاً ، وقيل سبعين ألفاً ، وكان معهم عشرة آلاف فرس واثني عشر ألف بعير .

وسار ﷺ وأمر علياً رضي الله عنه أن يخلفه في المدينة ، فشق عليه ذلك ، فقال له : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » ، وتخلف عنه المنافقون أكثرهم والمعذرون من الأعراب وقليل من المؤمنين أبطأت بهم النية وهم الثلاثة الذين ذكرهم الله عز وجل وتاب عليهم ، وكان خرج في العسكر جماعة من المنافقين فكانوا يتكلمون بما فيه طعن

على رسول الله ﷺ وتوهين لأمره ، فأطلعه الله على ذلك ، فلما أنبأهم به أنكره بعضهم ، وحلفوا : ما قالوا شيئاً قال بعضهم : إنما كنا نخوض ونلعب ، ولما أمسى النبي ﷺ ذات ليلة في طريقه قال : « إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن منكم أحد إلا ومعه صاحبه ، ومن كان له بعير فليوثق عقاله » فهاجت ريح شديدة فلم يقم أحد إلا ومعه صاحبه إلا رجلان من بني ساعدة ، فخرج أحدهما لحاجته فصرع وخرج الآخر في طلب بعير له ، فاحتملته الريح حتى طرحته . بجبلي طي ، فقال النبي ﷺ : « ألم أنهكم » ثم مسح على المصروع فشفي وقدمت طي بالآخر إلى المدينة بعد ذلك وأصبحوا ذات يوم ولا ماء معهم ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة ودعا وما يرى في السماء سحاب ، فما زال يدعو حتى تألف السحاب ولم يقم من مقامه حتى سحت السماء بالرواء فسقى الناس وارتووا عن آخرهم ، وقال رسول الله ﷺ يوماً : « إنكم ستأتون غداً إنشاء الله تعالى عين تبوك ، وإنكم لن تأتون حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمسن شيئاً من مائها حتى آتي » فسبق رجلان من المنافقين والعين تنبض بشيء من ماء ، فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما شيئاً من مائها ؟ قالا نعم ، فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا بأيديهم قليلا قليلا حتى اجتمع في إناء ثم غسل فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها فجاشت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال ﷺ لمعاذ : « يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملىء جناناً » ، ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، ولم يجد شيئاً مما كان بلغه عن الروم ، فرجع إلى المدينة وكان في هذه الغزوة ظهور آيات باهرة وكرامات لرسول الله ﷺ ظاهرة .

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندول من تبوك في أربعمائة وعشرين ، فارساً وكان أكيدر من ملوك كنده ، وكان نصرانياً . وقال رسول الله ﷺ لخالد : «إنك ستجده يصيد البقر فأتوا به ، وإن أبا فاقتلوه » فسار خالد . حتى إذا كان بمرأى العين من حصن أكيدر في ليلة مقمرة وهو على سطح له ومعه إمرأته ، أقبلت بقر الوحش تحل بقرونها باب الحصن ، فأشرفت إمرأته فرأت البقر فقالت : ما رأيت كالليلة من يترك مثل هذا ؟ فقال : لا أحد قال أكيدر بعد ذلك والله ما جائنا البقر قط إلا تلك الليلة ولقد كنت أضمر لها الخيل إذا أردت آخذها شهراً أو أكثر فأمر بفرسه . فأسرج وألجم وركب معه أخوه حسان ، ومعه نفر من أهل بيته ، فخرجوا من الحصن وحملت عليهم خيل المسلمين . فأسروا أكيدر وقتل أخو حسان وأخذ خالد سلبه ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ .

ثم صالح الأكيدر على ألفين بعير . وأربعمائة درع وأربعمائة رمح على أن ينطلق به وبأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما بحكمه . فقدم خالد بهما على رسول الله ﷺ فصالحهما النبي ﷺ على الجزية وكتب لهما كتاباً ، وصالح رسول الله ﷺ في هذه الغزوة أهل تيما ، وأيله ، وحربا . ومقنا : على الجزية ، وكتب لهما كتاباً يشتمل على شروط لهم وعليهم .

وكانت « غزوة » تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه .

وجاءه ﷺ نفر من سعد هذيم وقالوا : يا رسول الله ، إنا قدمنا إليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها فادع الله لنا في في مائها . فقال ﷺ : إيتوني بحصيات فرفعوا إليه ثلاث حصيات ، فعركهن النبي ﷺ بيده ثم قال : إذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم

فاطرحوها فيها واحدة واحدة ، وسبحوا الله تعالى ، فانصرفوا ففعلوا ذلك فجاشت بثرهم بالرواء ، الخبر .

وكان في أداوة أبي قتادة يوماً قليل ماء فقال ﷺ : احتفظ بما في الأداوة فان لها شأناً ، فلما كان حين الزوال عطش الناس عطشاً شديداً فدعا رسول الله ﷺ بما في الأداوة فأفرغه في ركوة ووضع أصابعه عليه فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا ، وفاض الماء حتى أرووا خيلهم وركابهم وارتووا عن آخرهم .

ثم كانت حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع.

وبعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام على أثره « لينبذ إلى المشركين ويقرأ عليهم برآءة ويعهد إلى الناس أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عرياناً » الخبر .

وعن أنس قال : « بعث رسول الله ﷺ البراءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي ، فدعى علياً رضي الله عنه . فأعطاه إياها » أخرجه البخارى . وفي رواية عن ابن عباس ثم أتبعه علياً . الخبر .

ثم كانت« غزوة علي كرم الله وجهه إلى اليمن» في شهر رمضان سنة عشر ، عقد له رسول الله ﷺ لواءاً وعممه بيده ، وخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج . ولقي جمعاً منهم فدعاهم إلى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة ساعة وحمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا وانهزموا فلم يتبعهم ، ودعاهم إلى الاسلام فأجابوا وبايعه نفر منهم من رؤسائهم على الاسلام ، وقالوا : نحن على من وراءنا وهذه صدقاتنا ، الخبر .

وأصاب المسلمون في أثناء ذلك غنائم . وكتب علي كرم الله وجهه إلى رسول الله ﷺ يخبره بما صنع فأجاب عليه السلام بأن يوافيه في الموسم . فقدم علي كرم الله وجهه في الجنة على رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع ، وقد أحرم بما أحرم به رسول الله ﷺ فأشركه في هديه .

فهذا ما بلغنا من المغازي والبعوث التي أشار إليها الامام عليه السلام على وجه الاختصار والله الموفق للصواب . وقد تضمن ذلك ذكر بعض ما أجراه الله تعالى على يد نبيه ﷺ من الآيات التي أشار إليها الامام عليه السلام ، وذلك قطرة من بحر .

وقد ذكر الحاكم أبو سعيد وغيره أن لرسول الله ﷺ ألف معجزة وذلك مبلغهم من العلم ، ولعل ما خفي عنهم أكثر مما إنتهى إليهم والله أعلم .

وقال الامام عليه السلام في قوله « في كل ذلك آيات البيت »

أي في كل ما تقدم ذكره من أيامه الشريفة . ومغازيه وسائر أحواله المنيعة آيات بينات ، ومعجزات باهرات ، وكرامات ظاهرات

قال السهيلي : بلغت معجزات النبي ﷺ ألفاً ، وقال النووي : تزيد على ألف ومائتين ، وقال بعضهم : ثلاثة آلاف .

وقال القاضي عياض في الشفاء إعلم أن معجزات النبي ﷺ مع كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحداً منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر ، لأن النبي قد تحدى بسورة منه ، فعجزوا عنها ، وأقصر السور (إنا أعطيناك الكوثر) فكل آية منه أو آيات بعددها أو قدرها معجزة ، ثم

فيها نفسها معجزة ، وإذا كان هكذا ففي القرآن العظيم من الكلمات نحواً من سبعة وسبعين ألف كلمة ، وعدد (إنا أعطيناك الكوثر) عشر كلمات ، فتجزئة القرآن على عددها نحو من سبعة آلاف جزء ، كل جزء منها معجزة في نفسه ا هـ .

٨٨ * (مِثْلُ الحَنِينِ ونَبْعِ المـاءِ بـأَنـمُلِهِ
والكفِّ منه وتَسبيحُ الحَصْي فِيهِ) *

٨٩ * (ومَوْتُ جَمْعٍ من الأَحْيا بِدَعْوَتِهِ
كَذَاك إِحْياءُ أَمْواتٍ بِنادِيـــهِ) *

٩٠ * (وكم أَعِدُّ وكم أُحصِيهِ في قصصٍ
وهلْ يطِيقُ عدِيد الشُّهبِ ناوِيهِ) *

عن جابر قال : «كان في مسجد رسول الله ﷺ جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله في خطبته . فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار . حتى نزل رسول الله ﷺ فوضع بيده عليه» هذه إحدى روايات البخاري .

وفي رواية النسائي قال : «كان رسول الله ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد ، فلما صنع المنبر واستوى عليه اضطربت وحنت تلك السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها النبي ﷺ فاعتنقها» وعن ابن عمر قال : «كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع . فلما اتخذ المنبر تحول إليه ، فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه» أخرجه البخاري ، والترمذي نحوه . .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ خطب إلى لزق جذع ، واتخذوا له المنبر ، فخطب لميه ، فحن الجذع حنين الناقة ، فنزل النبي إليه فسكن ؛ أخرجه الترمذي .

وأما أحاديث نبع الماء فهي كثيرة ، وقد تقدم ذكر شيء منها ، وعن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء ، فلم يجدوه فأتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء وأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس وفي رواية قال : إن النبي ﷺ دعى بماء فأتي بقدح رحراح فجعل القوم يتوضئون فحزرت القوم ما بين الستين إلى الثمانين قال : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه ، أخرجهالبخاري ومسلم .

وفي رواية لهما ، قال : أتى النبي ﷺ باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضى القوم ، قال قتادة : قلت لأنس كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة ، وفيه روايات أخر .

وعن جابر ، قال : عطش الناس يوم الحديبة ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضى منها ، ثم أقبل الناس نحوه فقال مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضى به أو نشرب إلا ما في ركوتك ، قال : فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا ، وتوضينا ، فقلت لجابر : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا وقد كنا خمس عشرة مائة ؛ هذه رواية البخاري ، وله ولمسلم بمعناه ونحوه .

وعن ابن مسعود ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقل الماء ، فقال : أطلبوا لي فضلة من ماء ، فجاءوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ، ثم قال : حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل ، أخرجه البخاري والترمذي . وللنسائي نحوه .

قال الامام عليه السلام في نظمه : والكف منه ، إشارة إلى ما رواه أبو نعيم من حديث إبن عباس قال : دعى النبي بلالا بماء فلم يجده ، فأتاه بشي فيه ماء ؛ الحديث وفيه فبسط كفه فيه ، فنبعت تحت يده عين فجعل ابن مسعود يشرب ويكبر ا هـ .

وأما تسبيح الحصى بكفه فقد روي ذلك في يوم بدر وحنين أنه لما أخذ الحصى بكفه الطاهرة ليرمي به وجه العدو ، سمع تسبيحه بكفه ، قبل أن يرمي به .

وأما إماتة الأحياء وإحياء الأموات له ، فقد تقدمت الاشارة إلى شيء من ذلك ، وفي بيت الاماتة والاحياء مطابقة بديعة.

وقال الامام عليه السلام في قوله : كذاك إحيا أموات بناديه ، روي عن أنس أن شاباً من الأنصار توفي وله أم عجوز ، فسجيناه وعزيناها ، فقالت : أو مات إبني ؟ قلنا نعم ، قالت : اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك ، وإلى نبيك ، رجاء أن تعينني على كل شدة ، فلا تحملن علي هذه المصيبة ، فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه ، فطعم وطعمنا ، حكاه القاضي عياض في الشفاء .

وذكر السهيلي وغيره عن محمد بن أبي الزياد ، عن عروة ،

عن عائشة « أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه ، فأحياهما وآمنا به » .

قال ابن كثير وهو غريب منكر مخالف لحديث : إن أبويه في النار ونهيه عن الاستغفار لهما . لكن قواه القرطبي . في تذكرته ، وتكلم عليه كلاماً حسناً والله أعلم وأحكم بالصواب .

* (وكانَ في غُررٍ مِنْها مُشابَهَــةُ
لِصُنْوِهِ المُرْتَضَى المِقْدَامِ تَالِيــهِ) * ٦١

* (بخَيْبَرٍ بَعْدَ بدْرٍ والمباهلة الْ
لَــتي لأَهْــلِ كِسَاءٍ كان يُوْلِيهِ) * ٦٢

* (قد بَيَّن النَّفْسَ والأَبناءَ فيهِ مَعَ الـ
نِّساءِ والنَّصُّ في القُرآنِ تَالِيْهِ) * ٦٣

قد تقدم بعض أحاديث في ذكر هذه الفضائل .

وعن سهيل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه . يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ؛ قال : فبات الناس يدركون ليلتهم أنفسهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ؛ قال : فأرسلوا إليه ، فأتي به فبصق في عينيه ، ودعـا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، وأعطاه الراية » الخبر أخرجه البخاري ومسلم . وفي حديث أخرجه مسلم عن سلمة بن الأكوع ، ما لفظه : « ثم أرسلني ، يعني النبي

إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو أرمد » وقال :
« لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله »
قال : فأتيت علياً ، فجئت بـه أقوده وهو أرمد ، حتى أتيت
رسول لله ﷺ فبصق في عينيه ، فبرأ وخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكـي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلـت تلهب

فقال علي كرم الله وجهـه :

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابات كريه المنظـره
أو فيهـم بالصاع كيـل السندره

قال : فضرب رأس مرحب فقتلـه ، ثم كان الفتح عـلى
يـده » هـ .

والأحاديث في ذلك كثيرة قوية .

وأما ما حكاه ابن هشام في سيرته أن الذي قتل مرحبا هو محمد بن
مسلمة الأنصاري بأخيه محمود بن مسلمة . فأبا ذلك مع ما تقدم
ما حكاه هو وغيره أن النبي ﷺ دفع كنانة بن الربيع بن أبي
الحقيق إلى محمد بن مسلمه ليقتله بأخيه محمود ، كما لا يخفى
والله أعلـم .

وأما أحاديث بدر . فمنها ما رواه علي كرم الله وجهه قال :
لما كان يوم بدر تقدم عتبة بن ربيعة . وتبعه إبنه وأخوه فناديا :
من يبارز ؟ فانتدب له شباب من الأنصار . فقال : ممن أنتم ؟
فقالوا لـه . فقال : لا حاجة لنـا فيكم ، إنما أردنا بني عمنا ،
فقال رسول الله ﷺ « قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيدة
بن الحرث . فأقبل حمزة إلى عتبة . وأقبلت إلى شيبة ، واختلف

بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيده » هكذا . أخرجه أبو داود .

وفي رواية ذكرها رزين ، قال علي فأما أنا وحمزة فأنجزنا صاحبنا ، وأما عبيدة والوليد فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، وذكره ، وقد روي أن الذين قتلهم علي كرم الله وجهه يوم بدر خمسة وأربعين ، وقتل باقي الناس خمسة وعشرين .

ولذلك قال بعض العلماء : وهل كانت بدر كلها إلا لعلي كرم الله وجهه .

وأما أحاديث المباهلة ، فقد تقدم بعض رواياته .

وأما حديث الكسا ، فعن أم سلمه أن النبي ﷺ جلل على الحسن ، والحسين ، وعلي وفاطمة ، ثم قال : « اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وحاميتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ؛ قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : إنك إلى خير » أخرجه الترمذي .

وعن عمر بن أبي سلمة ، قال : « نزلت هذه الآية على النبي (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) في بيت أم سلمة ، فدعى النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ، ثم قال : اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : أنت على مكانك ، وأنت إلى خير » أخرجه الترمذي .

وعن عائشة ، قالت : « خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرجل أسود فجاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين ، فأدخله ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أخرجه مسلم والله أعلم .

٩٤ * (وإِنْ يَكُنْ في فَتيً مِنْ صُحْبَةٍ شَرَف
سَامٍ فإِنَّ عَلِياً فِيهِ مَا فِيــهِ) *

قد تقدمت رواية المستدرك . عن الامام أحمد بن حنبل ، وهو إمام أهل النقل بلا خلاف أنه قال : ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ، ما جاء لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وقد تقدم بعض أحاديث فضائله ، وهي أكثر من أن تحصى ، ومع قطع النظر عن الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في فضائله ، فمعلوم عند كل عاقل أن الأفضلية إنما تكون بالزيادة في خصال الفضل التي هي السبق في الاسلام . والعلم ، والزهد والجهاد ، والشجاعة ، والفصاحة ، والقرابة من رسول الله ﷺ ونحو ذلك ، ولا شك في أنه لم يكن لأحد من الصحابة كل الذي لعلي عليه السلام ، من هاه الخصال ، ولا كان فيهم من يساويه فيها ، ولايدانيه

وليس يصح في الافهام شيء . إذا احتاج النهار إلى دليل

قال الامام عليه السلام : كل فضيلة وردت للصحابة رضي الله عنهم . في القرآن العظيم . أو في السنة النبوية . سنة النبي ﷺ

من أمر السبق في الاسلام والهجرة . والنصرة ، والتربية والاختصاص والجهاد ، والخلافة . والنقابة . والولاية . والنيابة ، والشهادة بالجنة ، والتفسير . والعلم بالكتاب والسنة . والأمر من الله سبحانه للرسول بالتحية ، وأخبار النبي ﷺ بالزيادة في المحبة ، والأفضلية والمشاركة له ﷺ في الاختصاصات الإلهية ، وغير ذلك مما لا يحيط به العد . ولا يشمله الحد ، من الفضائل الدينية ، والدنيوية . فان علياً عليه السلام يختص بكثير منها دون غيره ويشارك غيره فيما شاركه غيره فيه من التفضيلات الصحابية .

بل علي عليه السلام أدخل في المشترك وأسبق وأفضل ، وإلى ذلك قد أشارت الآيات القرآنية مثل آية المباهلة ، وآية الولاية ، وآيات سورة الدهر وغير ذلك ما قد صنف فيه مجلدات ، ومن الأحاديث مثل حديث المؤاخاة ، وأنت مني ، وحديث الطير ، وغدير خم ، وسد الأبواب ، ودخول المسجد جنباً ، ومدينة العلم . وأقضاكم علي .

وعلى الجملة فقد نص أكابر المحدثين من المخالفين والمؤآلفين بما أكثر لفظه أنه لم يأت لأحد من الصحابة بالأسانيد الجياد في الفضل والتفضيل مثل ما أتي لعلي كرم الله وجهه .

وقد أشار إلى ذلك ، بل نص عليه الصحابي النبيل الذي أقام رسول الله ﷺ شهادته وحده ، بشهادتين يوم بايع لعلي عليه السلام بقوله شعراً :

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا   أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنه   أطب قريش بالكتاب وبالسنن

وإن قريشاً ما تشق غبــاره إذا ما جرى يوماًعلىالضمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيهمن حسن

* * *

وقال عند اختلاف الناس على علي بعد البيعة أبياتاً وهي قوله :

ويلكم إنــه الدليل على الله وداعيـه للهـدى وأمينـه
وابن عم النبي قد علم الناس جميعاً وصنوه وخـدينه
كل خير يزينهم هو فيــه وله فيهــم خصال تزينــه
ثم ويل لمن يبادر في الروع إذا ضمت الحسام يمينــه
ثم نادى أنا أبوحسن القـــرم فلا بد أن يطيـح قرينـه

٩٥ * (كَمْ لِلقَرَابَةِ مِنْ فَضلٍ وَمِن شَرَفٍ
وَلِلصَّحَابَةِ مِن نُبلٍ يُدانِيـــــهِ) *

قد تقدم بعض الأحاديث الدالة على أن النبي ﷺ صفوة الصفوة من بني آدم . وأنه خيرهم فرقة ، وخيرهم قبيلة ، وخيرهم بيتاً وكفى بذلك دليلا على فضل ذوي قرابته ﷺ لمشاركتهم إياه في ذلك .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله . وأحبوا أهل بيتي لحبي » أخرجه الترمـذي .

وعن علي كرم الله وجهه في الجنة . أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وقال : « من أحبني وأحب هذين . وأباهما ، وأمهمـا . كان معي في درجتي يوم القيامة » أخرجه الترمـذي .

وعن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة ،

والحسن والحسين : « أنا حرب لمن حاربتم . وسلم لمن سالمتم » أخرجه الترمـذي . وكفى بقول أصدق القائلين : (قـل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) دليلا على فضلهم المبين .

قال الامام عليه السلام : وفي فضائل القرابة عن سلمة بن الأكوع عن النبي ﷺ أنه قال : « النجوم أمـان لأهل السماء . وأهل بيتي أمان لأمتي » أخرجه أبو يعلى الموصلي ، وهذا الحديث عند أهل البيت من المشهور القريب من حد التواتر ا هـ .

وأما الأحاديث الدالة على فضل الصحابة رضي الله عنهم فهي كثيرة أيضاً عامة وخاصة . فعن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران فلا أدري . ذكر بعده مرتين أو ثلاثة » أخرجه البخاري ومسلم والترمـذي ، وفي معناه أحاديث أخرى .

وعن سعيد الخدري « قـال : قـال رسول الله ﷺ لا تسبوا أصحابي . فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبـاً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، ولمسلم نحوه من رواية أبي هريرة ، وعن عبد الله بن مغفل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يبلغ الحاضر الغائب . الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله ، فيوشك أن يأخذه ، ومن يأخذه ، فيوشك أن لا يفلته » أخرجه الترمذي ، ولم يذكر يبلغ الحاضر الغائب وأنهى حديثه عند قوله فيوشك أن يأخذه .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي ، فقولوا لعنة الله على شركم » أخرجه الترمذي .

٩٦ * (كفَا طِـسمَ وسَلِيْلَيهَا كَذَاكَ بَنَاتُ الـ
طُّهرِ طِبنَ كَمَا طَابَت دَرَارِيـــهِ) *

قد تقدم حديث عائشة وبريده الأسلمي أن فاطمة الزهراء كانت أحب النساء إلى رسول الله ﷺ وفي حديث أخرجه الترمذي عن حذيفة أن النبي ﷺ قال : « هذا ملك نزل ؛ لم ينزل إلى الأرض قط قبل هذه الليلة ، إستأذن ربه أن يسلم علي ، وأن يبشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهـل الجنة » وعن أم سلمه ، أن النبي ﷺ « دعـا فاطمة عام الفتح فناجاها فبكت ، ثم حدثهـا فضحكت ، قالت فلما : توفي رسول الله ﷺ سألتهـا عن بكائها وضحكها ، قالت : أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموت فبكيت ، ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم إبنةِ عمران ، فضحكت » أخرجه الترمذي .

وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، أن رسول الله ﷺ قال لها : « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ » .

وعن المسور ابن مخرمه ، قال النبي ﷺ « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ـ إلا مريم إبنة عمران » أخرجه الحاكم في مستدركه ، وعن البراء قال : « رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه ، يقول اللهم إني أحبه فأحبه ، أخرجه البخاري ـ ومسلم ـ والترمذي؛

وللترمذي أيضاً أن النبي ﷺ « أبصر حسناً وحسيناً فقال : اللهم إني أحبهما فأحبهما » . وعن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك ؟ فقال : « الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة إدعي لي إبني فيشمهما ويضمهماإليه » أخرجه الترمذي وفي حديث أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال للحسن « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه » وفي حديث أخرجه الترمذي عن أسامه أن رسول الله ﷺ قال للحسن والحسين « هذان أبنائي وأبناء إبنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » أخرجه الترمذي . وعن عبد الرحمن بن أبي نعيم قال : كنت شاهداً لابن عمر ، وسأله رجل عن دم البعوض فقال : ممن أنت ؟ فقال : من أهل العراق ، قال أنظروا في هذا ، يسألني عن دم البعوض ، وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ وسمعت النبي ﷺ يقول : « هما ريحانتي من الدنيا » وفي رواية : ما أسألهم عن صغيرة وما أجرأهم على كبيرة ، أخرجه البخاري .

وبنات النبي ﷺ أربع : فاطمة و زينب و رقية وأم كلثوم ونقدم ذكر إبنته « فاطمة » ولدت قبل النبوة بخمس سنين ، وتزوجها أمير المؤمنين علي عليه السلام ، في السنة الثانية من الهجرة ، فولدت له الحسن والحسين ومحسناً (مات صغيراً) وزينب وأم كلثوم ورقية ، ثم ماتت بعد موت النبي ﷺ لستة اشهر على الصحيح ولها من العمر ثماني وعشرون سنة على الأصح ، وغسلها علي عليه السلام وصلى عليها ودفنها ليلا .

وأما « زينب » فولدت قبل النبوة بعشر سنين أو إحدى عشرة ، وهي أكبر بناته وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع قبل موت أمها خديجة رضي الله عنها، وماتت بالمدينة سنة ثمان ونزل النبي ﷺ في قبرها .

وأما «رقية» فولدت قبل النبوة بنحو سبع سنين وتزوجها عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة وتوفيت يوم بدر .

وأما « أم كلثوم » فولدت قبل فاطمة ، وقيل قبل رقية وتزوجها عثمان بعد موت أختها ، سنة ثلاث ، وتوفيت سنة تسع للهجرة

وأما أولاده الذكور عليه السلام فأولهم « القاسم » ولد قبل النبوة وكان به يكنى ، توفي وله سنتان ، وثانيهم «عبد الله» ، ويقال له الطاهر وثالثهم « الطيب » ، وهما لقبان لعبد الله .

والرابع « إبراهيم » وأمه مارية القبطية سرية النبي ﷺ ولد بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمانية ومات في ذي الحجة سنة عشر وله ستة عشر شهرا على الصحيح .

وجميع الذكور والاناث المذكورين أولاده ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

وأما ذرية رسول الله ﷺ الذين أشار إليهم الناظم عليه السلام بقوله : ذرارية . فهم سوى ما تقدم : ذرية الحسنين عليهما السلام بذور الفضل الزواهر . وبحور العلم الزواخر . وغيوث الجود الهوامر . وليوث الحرب الهواصر . الجديرون بقول الشاعر :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم　　　مثل النجوم التي يسري بها الساري

وبما قيل فيهم :

أئمة حق والدعاة إلى الهدى　　　وساسة إسلام وأهل أناة

ولقد أجاب الله فيهم دعوة جدهم المصطفى ﷺ حيث قال لعلي وفاطمة ليلة زفافهما « بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير وأخرج منكما كثيراً طيباً » فمن شاهد إنتشار نسلهما الطاهر في أقطار الأرض وخروج أئمة الحق منهم أولي الابرام والنقض . وأعلم الناس جميعاً بالسنة والفرض ، علم يقيناً أن الله عز وجل إستجاب دعوة نبيه ﷺ السراج المنير ، بأن أخرج منهما النسل الطيب الكثير . ولا يزال ذلك إنشاء الله الطيب في إزدياد إلى يوم التناد برغم معاطس الحساد والأعاد والله أعلم .

* (والطَّيباتِ نِساءِ الطُّهرِ مَن وَرَدَت
فِيهِنَّ آياتُ تَشْرِيفٍ وَتَنزِيهِ) * ٦٧

الذي اتفق عليه المحققون من أهل النقل . أن أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهن إحدى عشرة ، توفي منهن في حياته ﷺ إثنتان . ومات عن تسع . وهن :

«خديجة بنت خويلد» الأسدية أسد قريش ، وكانت تدعى في الجاهلية : الطاهرة ، تزوجها ﷺ قبل النبوة . وله من العمر خمس وعشرون سنة . ولها من العمر أربعون سنة ، ولم ينكح ﷺ إمرأة قبلها ولا عليها حتى ماتت وهي أول من آمن به ﷺ وماتت قبل الهجرة لخمس سنين ، وقد تقدم شيء من ذكرها .

« سودة بنت زمعه » من بني عامر بن لؤي ، أسلمت قديماً ، وتزوجها النبي ﷺ عقيب موت خديجة . وتوفيت بالمدينة سنة أربع وخمسين .

« عائشة » بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة التيمي ، تيم

قريش ، تزوجها ﷺ في شوال ، بعد مضي عشر سنين من النبوة ولها تسع سنين ولم يتزوج ﷺ بكراً غيرها ، وتوفي عنها ولها ثماني عشرة سنة ، وتوفيت بالمدينة سنة سبع وخمسين أو ثماني وخمسين في شهر رمضان .

« حفصة » بنت عمر بن الخطاب العدوي ، تزوجها ﷺ سنة ثلاث من الهجرة على الأصح ، وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين وقيل إحدى وأربعين ، وهي إبنة ستين سنة .

«زينب» بنت خزيمة الهلالية ، كنيت أم المساكين ، لإطعامها إياهم ، تزوجها ﷺ سنة ثلاث ، ولم تلبث عنده إلا قليلا ، وتوفيت في ربيع الآخر سنة أربع بالمدينة .

أم «سلمة» هند بنت أبي أمية المخزومية ، أمها عاتكة بنت عامر من بني فراس بن غنم ، تزوجها ﷺ في شوال سنة أربع على الأصح وماتت سنة تسع وخمسين بالمدينة .

«زينب» بنت جحش بن رئاب الأسدية بنت عمة النبي أميمة بنت عبد المطلب ، وكانت قبله تحت مولاه زيد بن حارثة ، تزوجها ﷺ سنة خمس على الأصح ، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ، أو إحدى وعشرين .

«أم حبيبة » رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، أخت معاوية ، كانت قد هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة ، فتنصر هناك . وثبتت هي على الاسلام . فتزوجها النبي ﷺ وأمهرها النجاشي ، وبعث لها ﷺ شرحبيل بن حسنة فجاء بها سنة ست وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين . أو إثنين وأربعين .

«جويرية» بنت الحرث المصطلقية ، وقد تقدم ذكرها ، تزوجها

النبي ﷺ سنة ستو أخمس . وماتت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين . وهي إبنة خمس وستين سنة .

«ميمونة» بنت الحرث الهلالية . تزوجها ﷺ في ذي القعدة في عمرة القضاء سنة سبع . وبنى بها بسرف على عشرة أميال من مكة وقدر الله سبحانه أنها ماتت بالمكان الذي دخل بها فيه بسرف سنة إحدى وستين على الأصح . وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً رضي الله عنها .

صفية ، بنت حيي بن أخطب من بني النضير ، من سبط هرون بن عمران عليه السلام ، سبيت يوم خيبر ، فأعتقها ﷺ وتزوجها ، وجعل عتقها صداقها . وذلك سنة سبع ، وماتت بالمدينة سنة خمسين على الأصح .

فهؤلاء زوجات النبي ﷺ المنزهات عن كل شين ، المتصفات بكل زين ، وقد ورد في تشريفهن ، وتنزيههن ، واحترامهن ، وتعظيمهن ، من الآيات الكريمة ، في سورة النور وسورة الأحزاب وغيرهما ما يدل على عظم منزلتهن ، وغزارة فضائلهن ، وطهارة شمائلهن رضي الله عنهن ا هـ .

* وحمزةٍ ثم عباسٍ وجعفرِهم
وابنَيْهِمَا وأبي بكرٍ وثَانيهِ) * ٩٨

حمزة بن عبد المطلب ، يكنى أبا عمارة ، أسد الله وأسد رسوله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، أسلم قديماً ، وهاجر وجاهد ، وقتل يوم أحد ، كما تقدم ذكره ، قال ابن هشام ، ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال « لن أصاب بمثلك أبداً وما وقفت

قط موقفاً أغيظ إلي من هذا الموقف ، ثم قال : جاءني جبريل عليه السلام فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع ، حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ .

قال الامام عليه السلام ، وروى الترمذي عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ « إن كل نبي أعطي سبعة نجباً رفقا ، وأعطيت أنا أربعة عشر ، قلنا من هم ؟ قال : علي ، وجعفر ، وحمزة وأبو بكر وعمر ومصعب بن عمير ، وبلال وسلمان ، وعمار ، وعبد الله بن مسعود » . قال الترمذي حديث حسن غريب ، وقد روي موقوفاً على علي عليه السلام .

وسقط إثنان(١)،وفي رواية أنهما المقداد وحذيفة ، وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث جابر والطبراني من حديث علي عن النبي ﷺ قال : « حمزة سيد الشهداء يوم القيامة » وأخرج صاحب الفردوس من حديث عابس بن ربيعة ، عن النبي ﷺ قال : « خير إخواني علي ، وخير أعمامي حمزة » ا هـ .

العباس بن عبد المطلب أبو الفضل عم النبي ﷺ كان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث ، كان رئيساً في الجاهلية والاسلام ، أسلم قديماً ، وكان يكتم إسلامه ، ثم هاجر قبل الفتح ، ومات في شهر رمضان سنة إثنتين وثلاثين بالمدينة .

وفي حديث أخرجه الترمذي عن علي كرم الله وجهه في الجنة ، أن رسول الله ﷺ قال له : « والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ، ثم قال : أيها الناس من آذى عمي فقد أذاني ، فان عم الرجل صنوأبيه » .

قال الامام عليه السلام : وعن ابن عباس يرفعه « العباس مني

---

(١) في سنن الترمذي أنهم عليّ والحسين وجعفر وحمزة وأبوبكر وعمر ومصعب والمقداد وأبو ذر وبلال وسلمان وعمار وعبدالله بن مسعود ومع هذا فلا نقص في العدد

وأنا منه » أخرجه الترمذي والحاكم . وعن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ « العباس عمي وصنوأبي فمن شاء فليأت بعمه » أخرجه ابن عساكر .

جعفر بن أبي طالب أبو عبد الله ذو الجناحين ، أسلم قديماً ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً . وهو أسن من علي كرم الله وجهه بعشر سنين . واستشهد في غزوة مؤتة كما تقدم ذكره سنة ثماني ، وله إحدى وأربعون سنة فوجد في ما أقبل من جسده تسعون جراحة ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت جعفر يطير في الجنة مع الملائكة » أخرجه الترمذي .

وعن إبن عمر أنه كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين ، وقد تقدم ذكر شيء من أخباره رضي الله عنه .

قال الامام عليه السلام : وقال فيه النبي ﷺ « إنه أشبه خلقي وخلقي » وقال له النبي ﷺ « اللهم بارك له في صبيبه » وقال « اللهم أخلف جعفراً في أهله » ا هـ .

وقول الامام عليه السلام : وإبنيهما ، يريد عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما .

فأما عبد الله بن العباس فكنيته أبو العباس ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل بسنتين ، ودعا له رسول الله ﷺ فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وكان حبر الأمة وعالمها وكان عمر بن الخطاب يقربه ، ويشاوره مع جلة الصحابة ، ومات بالطائف سنة ثماني وستين . قال الامام عليه السلام : وكان ابن عباس ،

من أعلم الناس بتفسير القرآن وقال فيه ابن مسعود ؛ نعم ترجمان القرآن ابن عباس ؛ وقال فيهابن مسعود : هو أعلم الناس بما نزل على محمد ، وسندهما جيد ا هـ

وأما أبو جعفر فهو عبد الله بن جعفر ، ولد بأرض الحبشة ، واستشهد أبوه بمؤتة ، فكفله النبي ﷺ وأدبه ، ثم توفي بالمدينة سنة ثمانين ، وكان جواداً ظريفاً حليماً عفيفاً . وكان يسمى بحر الجود ،وقيل لم يكن في الاسلام أسخى منه ، والله أعلم .

قال الامام عليه السلام : وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه من بني هاشم ، وبايع النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين ، فبسط له يده وتبسم وبايعه ، وقال ﷺ فيه وفي أخوته : « أنا وليهم في الدننا والآخرة » اهـ .

وأما أبو بكر فهو أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي وهو من أول الناس إسلاماً ، وأكملهم إيماناً ، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها . وكان مولده بمكة ، قبل الفيل بسنتين وأربعة أشهر ، وتولى الخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الأول . سنة إحدى عشرة .ثاني يوم موت النبي ﷺ ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة . وله ثلاث وستون سنة على الأصح ، وقد وردت في فضله أحاديث خاصة ومشتركة ، بينه وبين غيره .

فعن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ « أتاني جبريل عليه السلام فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي . فقال أبو بكر : يا رسول الله . وددت إني كنت معك حتى أنظر إليه ، . فقال رسول الله ﷺ : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من .

أمني أخرجه أبو داود ؛ وعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه . ما خلا أبو بكر فان له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة . وما نفعني مال أحد قط ، ما نفعني مال أبي بكر . ولو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن صاحبكم[1] خليل الله » أخرجه الترمذي .

وفي حديث أخرجه البخاري ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه « إنه ليس من الناس أحد أمن علي في ماله ونفسه ، من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلا لاتخذت أبي بكر خليلا ولكن خلة الاسلام أفضل » الحديث . وعن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي بكر : « أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار » أخرجه الترمذي .

وعن الخدري ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم » أخرجه أبو داود والترمذي ، وعن عمران رسول الله ﷺ خرج ذات يوم وأبو بكر وعمر ، أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وهو آخذ بيديهما وقال « هكذا نبعث يوم القيامة » أخرجه الترمذي وعن ابن مسعود ، أن رسول الله ﷺ قال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فأطلع أبو بكر ، ثم قال يطلع عليكم رجل من أهل

(1) يريد الرسول نفسه صلى الله عليه وآله وسلم .

الجنة ، فأطلع عمر ، أخرجه الترمذي .

وأما ثانيه : فالمراد أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ، أسلم سنة ست أو خمس من النبوة ، بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة إمرأة ، وظهر الاسلام يوم إسلامه ، ولذلك سمي الفاروق ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو أول من دعي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين ، وأول من جمع القرآن في المصحف على قول ، وأول من جمع الناس على قيام رمضان .

قام بالأمر عقيب موت أبي بكر بعهده إليه ونصه عليه .

وطعنه أبو لؤلوه غلام المغيرة بن شعبة ، بالمدينة مصدر الحاج يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد غرة المحرم سنة أربع وعشرين ، وله من العمر ثلاث وستون على قول الأكثر والله أعلم .

وعن إبن عمر أن رسول الله ﷺ قال « اللهم أعز الاسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب ، قال : وكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب أخرجه الترمذي .

وعن ابن عباس نحوه ؛ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لقد كان فيما قبلكم من الأمم ، ناس يحدثون من غير أن يكونوا أنبياء ، فان يكن في أمتي أحد فانه عمر ، أخرجه الترمذي ، والبخاري ومسلم . وعن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، أخرجه البخاري . وفي حديث أخرجه الترمذي عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « إني لأ نظر إلى

شياطين الأنس والجن تفر من عمر » . وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم ، أن رسول الله ﷺ قال له : إيه يا بن الخطاب : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » . والأحاديث في ذلك كثيرة والله أعلم .

* (ومِثْلُ عُثْمٰنَ مَعَ سَعْدٍ سَعِيدَهم
وَطَلْحَــةٍ وَابْنِ عَــوَّامٍ حَوَارِيْهِ) * ٩٩

أما عثمان فهو ذو النورين أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاصي القرشي الأموي ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وسمي ذو النورين لزواجه بابنتي رسول الله ﷺ رقية ، ثم أم كلثوم ، كما مر ، استخلف أول المحرم سنة أربع وعشرين ، وقتل يوم الجمعة لثماني عشر ليلة خلت من المحرم غرة سنة خمس وثلاثين ، قيل قتله الأسود النجيبي من أهل مصر ، وقيل غيره ، ودفن ليلة السبت وله من العمر اثنتان وثمانون ، وقيل أكثر .

وعن عبد الرحمن بن سمره قال : جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ، فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها في حجره ويقول « ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ، مرتين » أخرجه الترمذي . وأخرج في حديث آخر أنه حمل على ثلاثمائة بعير في جيش العسرة فقال رسول الله ﷺ نحو ما تقدم ، وعن طلحه قال : قال رسول الله ﷺ « لكل نبي رفيق ، ورفيقي يعني في الجنة عثمان » أخرجه الترمذي .

وأخرج هو والنسائي ، أن عثمان ناشد الناس يوم الدار هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب

إلا بئر رؤمة ، فقال رسول الله ﷺ من يشتريها ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ؟ فاشتريتها من مالي وأنا اليوم أمنع أن أشرب منها حتى أشرب من الماء الملح قالوا : اللهم نعم قال : وأنشدكم الله والاسلام ، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله ؟ فقال رسول الله ﷺ من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة ، فاشتريتها من صلب مالي ، وأنا اليوم أمنع أن أصلي فيه ركعتين ، قالوا نعم ، قال: وأنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهزته ؟ قالوا اللهم نعم ، الحديث وفي معناه أحاديث أخرى .

وأما سعد : فالمراد به سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب القرشي الزهري ، أسلم قديماً وشهد المشاهد كلها ، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، مات بالعقيق من نواح المدينة وحمل إليها على رقاب الرجال ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين على قول الأكثر ، وهو آخر العشرة موتاً ، وعن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله ﷺ يفدى أحداً غير سعد بن أبي وقاص ، سمعته يوم أحد يقول : « أرم فداك أبي وأمي » أخرجه البخاري ومسلم ، وزاد في آخره « أيها الغلام الحزور » ومناقبه كثيرة وكان مستجاب الدعوة .

وأخرج الترمذي عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : اللهم استجب لسعد إذا دعاك .

وأمـا سعيـد ، فهو أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل القرشي العدوي . أسلم قديماً ، وشهـد المشاهد كلهـا مـع النبي ﷺ غير بدر ، فانه بعثه رسول الله ﷺ مع طلحة يطلبان خبر العير ، مات بالعقيق قرب المدينة ، فحمـل إليها ودفن بهـا سنة إحدى وخمسين أو إثنتين وخمسين . وقيـل بل مـات بالكوفة عن بضع وسبعين سنة ، وهو ابن عم عمر ، وزوج أخته وأسلما قبل إسلامه .

وأما طلحه . فهو أبو محمد طلحـة بن عبيـد الله بن عثمان التيمي القرشي أسلم قديمـاً وشهـد المشاهد كلها ، غير بدر كما تقدم ، وقتل يوم الجمل رمـاه مروان بن الحكم سنة ست وثلاثين في جمادى الآخرة . ولـه أربـع وستون سنة على الأكثر ، وهو ممن حسن بلاؤه يوم أحد مع رسول الله ﷺ ووقى لرسول الله ﷺ بيده فشلت ، وجرح يومئذ أربعـة وعشرين جراحة ، وقيل أكثر .

وعن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة » أخرجه الترمذي .

وأمـا ابن عوام ، فالمراد به أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلـد بن أسد الأسدي القوشي ، وأمـه صفية بنت عبـد المطلب ، عمة النبي ﷺ أسلم قديماً وهو ابن ست عشر سنة وهاجر الهجرتين وشهـد المشاهد كلهـا مع النبي ﷺ وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله ، وعن علي كرم الله وجهه قـال : قـال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال

الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير أنا ، ثم قال في الثالثة إن لكل نبي حوارياً ، وأن حواري الزبير » أخرجه البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

وعن علي كرم الله وجهه : سمعت أذني من في رسول الله ﷺ وهو يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » أخرجه الترمذي والياء في حوارية مشددة في الأصل لكن خفضها الناظم للضرورة ومثل ذلك جائز .

* (وكَابْنِ جَرَّاحِهِمْ جَمَّتْ فَضَائِلهِم
وَنَسْلِ عَوْفٍ عَدِيْدَ العَشْرِ يُوْفِيْهِ) *

وأما ابن جراحهم فالمراد به أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي ، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، ونزع حلقتي المغفر من وجه رسول الله ﷺ وسقطت ثنيتاه ، وتوفي بالأردن في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وهو ابن ثماني وخمسين سنة .

وعن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن لكل أمة أميناً ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » أخرجه البخاري ومسلم .

وعن حذيفة قال : جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، أبعث إلينا رجلا أميناً . فقال : « لأبعثن إليكم رجلا أميناً حق أمين . فاستشرف بها الناس . فبعث أبا عبيدة » أخرجه البخاري ومسلم .

وفي حديث أخرجه مسلم . قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال : «هذا أمين هذه الأمة» .

وأما نسل عوف ، فالمراد به أبو محمد عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي ، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد ، وجرح عشرين جرحاً يومئذ . وقيل أكثر ، وأصيبت رجله يومئذ فعرج .

ولد بعد الفيل بعشر سنين ، ومات سنة إثنتين وثلاثين ، بالمدينة . وله إثنتان وسبعون سنة ، وقيل أكثر .

وعن عائشة : أن النبي ﷺ كان يقول لنسائه : «إن أمركن مما يهمني من بعدي ، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون الصديقون ، قالت عائشة يعني المتصدقين ، ثم قالت لأبي سلمه بن عبد الرحمن سقى الله أباك من سلسبيل الجنة ، وكان ابن عوف قد تصدق على أزواج النبي ﷺ بحديقة بيعت بأربعين ألفاً» أخرجه الترمذي ، وأخرج من طريق آخر ، أنها بيعت بأربع مائة ألف .

وقول الامام عليه السلام ، عديد العشر يوفيه ، إشارة إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود ، عن سعيد بن زيد حيث قال : اشهد على رسول الله ﷺ يقول . عشرة في الجنة ، النبي في الجنة ، وأبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، ولو شئت لسميت العاشر فقالوا من هو ؟ فسكت ، ثم قالوا من هو ؟ قال : سعيد بن زيد . وفي رواية أخرى ، أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول

وإني لغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيته : أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن مالك في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وأبو عبيده بن الجراح في الجنة ، وسكت عن العاشر فقالوا ومن العاشر ؟ قال : سعيد بن زيد ، يعني نفسه ، الحديث ، وقد أخرج الترمذي ، نحوه عن عبد الرحمن بن عوف .

وقيل هو مرسل ،

والأحاديث الواردة في فضائل الصحابة المذكورين وغيرهم ، كثيرة مشهورة رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقول الامام عليه السلام : عديد العشر أي الأنفس العشر أراد عليه السلام أنه إنما أنث إسم العدد لتأويل المعدود بمؤنث وهي الأنفس ، والله أعلم .

١٠١ * (وَسَعْدُ بنِ مَعاذٍ ذِي الكَرَامَــةِ مَنْ
لَموْتِهِ اهْتَــزَّ عَرْشُ الله بَارِيْهِ) *

عن البراء بن عازب قال : أهدي للنبي ﷺ ثوب حرير فجعلنا نلمسه ونتعجب منه ، فقال النبي ﷺ « أتعجبون من هذا ؟ قلنا : نعم ، قال : مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا » أخرجه البخاري ، ومسلم . وغيرهما ، بروايات عدة ، ونحوه من روايات أنس .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إهتز العرش لموت سعد بن معاذ » وفي رواية لمسلم قال : قال رسول الله ﷺ

وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم . « إهتز لها عرش الرحمن عز وجل » ولـه عن أنس بمعناه .

وهو أبو عمرو ، سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي الأشهلي الأنصاري أسلم بين العقبتين . وأسلم أهل داره جميعاً باسلامه ، وسماه رسول الله ﷺ سيد الأنصار ، وكان مقداماً مطاعاً شريفاً في قومه من جلة الصحابة وأكابرهم ، وخيرهم ؛ شهد بدراً وأحداً وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ ، ورمي سهم يوم الخندق في أكحله فلم يرق الدم حتى مات بعد شهر في ذي القعدة ، سنة خمس ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى .

* (كَذَاكَ بَاقِيْ سُعُودِ النَّصِرْ صَارَ لَهُمْ

قُرْبٌ مِنَ اللهِ سَامِي القَدْرِ عَالِيْـهِ) * ١٠٢

أشار عليه السلام ، إلى ذكر من اسمه سعد من الصحابة ، سوى من تقدم ذكره .

فمنهم سعد بن عباده أبو ثابت الأنصاري الخزرجي ، ثم الساعدي شهد العقبة مع السبعين ، وهو أحد النقباء الأثني عشر ، وشهد بدراً على قول وما بعدها من المشاهد ، وكان سيداً ، مقدماً ، وجيهاً ، له رئاسة وسيادة ، يعترف له بها قومه ، وكان الأنصار أرادوا أن يعقدوا له البيعة عقيب موت النبي ﷺ فلما بويع لأبي بكر ، خرج من المدينة مغاضباً لقومه ، ولم يبايع أبـا بكر ، ومات بحوران ، من أرض الشام ، لسنتين ونصف من خلافة

عمر ، سنة خمس عشرة على الأصح ، ووجد ميتاً في مغتسله . وسمع أهله قائلا يقول لا يرى شخصه ، نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده ، رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده ، فزعموا أن الجن قتلته (١) ، والله أعلم .

ومنهم سعد بن الربيع أنصاري خزرجي عقبي بدري نقيب شهد العقبة الأولى والثانية وقتل يوم أحد شهيداً .

وروي أن رسول الله ﷺ أمر من يلتمسه يوم أحد ، فوجدوا بـه رمق فسأل عن رسول الله ﷺ ثم قـال لمن حضره مـن الأنصار ، لا عـذر لكم عند الله ، إن نيـل رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف أو كما قال رحمة الله تعالى عليه .

وسعد بن خيثمه ، أبو عبد الله الأنصاري الأوسي شهد العقبة ، وشهد بدراً ، واستشهد بهـا ؛ وكان يقال لـه سعد الخير رحمه الله آمين .

وسعد بن مالك بن سنان ، وهو أبو سعيد الخدري الخزرجي ، غلبت عليه كنيته ، وهو من الحفاظ المكثرين ، والعلما الفضلاء ، أول مشاهده الخندق ، لحداثة سنه ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين ، ولـه أربع وثمانون سنة رحمه الله .

ومنهم سعد بن عبيـد الأوسي وسعد بن عميـر الخزرجي ، كلاهمـا من فضلاء الصحابة ، واختلف أيهما الذي جمع القرآن على عهـد رسول الله ﷺ ، والأقرب أنـه سعد بن عمير وكلمته

---

(١) وتقول رواية أن قتله لسبب أنه بال قائماً في حُجرٍ ورواية أخرى تقول : أنه قتل لمخالفته أبابكر قال بعضهم :

وما ذنب سعد أنه بال قائمـاً ولـكنه لـمّا يبايعْ أبا بكر

أبو زيد والله أعلم .

سعد بن خوله القرشي العامري ، هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وشهد بدراً على قول ومات بمكة في حجة الوداع ، وهو الذي عناه النبي ﷺ حيث قال في حديث وصية سعد بن أبي وقاص . لكن التائس سعد بن خوله ، تأسى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة ، ليس الأرض التي هاجر إليها ، لأن موت المهاجر في دار هجرته ، أعظم لهجرته ، وهو زوج سبيعه الأسلمية رحمه الله تعالى .

قال الأمير شمس الدين علي ابن الأمام يحي شرف الدين عليه السلام [1] . بلغت السعود على عهد رسول الله ﷺ من الأنصار وغيرهم نيفاً وتسعين سعداً ، وسنذكر المشهورين منهم ، حيث لم يذكرهم هذا العلامة ابن بهران . فمنهم :

سعد بن مالك الساعدي ، توفي بالروحا متوجهاً إلى بدر ، وأوصى للنبي ﷺ برحله وراحلته ، وثلاثة أوسق من شعير ، فقبلها ثم ردها على ورثته ، وضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره .

وسعد الأسود الأسلمي ، قتل شهيداً في بعض غزوات رسول الله ﷺ فأتاه النبي ﷺ فوضع رأسه في حجره ، وأرسل فرسه وسلاحه إلى زوجته ، وقال : قولوا لهم قد زوجه الله خيراً من فتاتكم .

وسعد بن الأطول الجهيني .

وسعد بن معاذ الانصاري ، وليس بسعد بن معاذ المشهور .

وعـن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ صافح يـده في غزوة تبوك وقبلهـا وقال : هذه يدلا تمسها النار أبداً .

وسعد بن أياس البدري الأنصاري .

وسعد بن بحير بن معاوية ، من حلفاء الأنصار ، وهو المعروف بابن خيثمه ، عن جابر بن عبد الله قـال : نظر النبي ﷺ إلى سعد بن خيثمه يوم الخندق يقاتل قتالا شديداً ، فدعاه وقال : من أنت يا فتى ؟ قـال : سعد بن خيثمه ، فقـال لـه النبي أسعد الله جدك ، وكان لـه جهاد مع رسول الله ﷺ وهو والد أبي يوسف القاضي .

وسعد مولى أبي بكر الصديق ، كان يخدم النبي ﷺ ويعجب بخدمته ، فقـال ﷺ « اعتق سعداً فقال : ما لنا ها هنا غيره ، فقال النبي أعتق سعداً ، أتتك الرجال » . سكن البصرة ومات بها .ﷺ

وسعد بن حماد ن مالك الأنصاري ، شهد أحداً وما بعدها ، وقتل يوم اليمامة شهيداً .

وسعد بن الحارث بن الصمه الأنصاري الخزرجي الصحابي شهد صفين مع علي عليه السلام ، وقتل يومئذ شهيداً .

وسعد بـن حارثـه بن لوذان ، شهـد أحداً وما بعدها ، وقتل يوم اليمامة .

وسعد بن خارجة أخو زيد بن خارجه ، استشهد هو وأبوه يوم أحد .

وسعد بن خليفة الخزرجي ، شهد أحداً وقتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص .

وسعد بن خولي . مولى حاطب بن أبي بلتعة ، شهد بدراً ومولاه حاطب وكان من المشهورين .

وسعد بن أبي رافع ، وعنه قال : دخل علي النبي ﷺ يعودني ، فوضع يده بين يدي حتى وجدت بردها على فؤادي .

وسعد مولى رسول الله ﷺ .

وسعد بن زيد الأنصاري الأشهلي ، كان من فضلاء الصحابة بعثه رسول الله ﷺ إلى نجد ، وأهدى لرسول الله ﷺ سيفاً من نجران .

وسعد بن زيد بن مالك الأوسي ، شهد بدراً والعقبة

وسعد بن سلامة شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، قتل في خلافه عمر بالعراق .

وسعد بن سويد بن قيس الخزرجي ، قتل يوم أحد شهيداً .

وسعد بن سهيل الخزرجي شهد بدراً رحمه الله تعالى .

وسعد بن ضميره الضمري شهد حنيناً وما بعدها .

وسعد بن عابد المؤذن مولى عمار بن ياسر ، المعروف بسعد القرض وإنما قيل له ذلك لأنه كان يتجر فيه ، ومسح النبي ﷺ رأسه وبارك عليه وجعله مؤذن مسجد قبا ، وخليفة بلال إذا غاب وعاش سعد القرض إلى أيام الحجاج .

وسعد بن عبد قيس القرشي الفهري ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية .

وسعد مولى عتبة بن عدوان شهد بدراً مع مولاه عتبة ، وعن ابن عباس في قوله تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم)

نزلت في عتبة وسعد مولاه ، وفي حاطب وسعد مولاه المتقدم .

وسعد بن عثمان بن جلده الزرقي أبو عباده ، شهد بدراً رحمه الله .

وسعد العرجي دليل النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة .

وسعد بن عقيب يكنى أبا الحارث استصغر يوم أحد وشهد الخندق .

وسعد بن عمارة بن مالك شهد بدراً والخندق .

وسعد بن عمارة الزرقي أبو سعيد مشهور بكنيته .

وسعد بن عماره أحد بني سعد بن بكر كان مشهوراً في الصحابة رضي الله عنهم .

وسعد بن عمير الأنصاري ، كان هو وأخوه ميمنة شهد صفين مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وكان فاضلا تقياً رحمه الله .

وسعد بن عمير بن كعب الأنصاري ، شهد أحداً وما بعدها ، واستشهد في قتل يوم بئر معونة شهيداً هو وإبنه الطفيل بن سعد .

وسعد بن عمير بن عبيدة بن الحارث ، شهد أحداً وما بعدها ، واستشهد يوم اليمامة .

وسعد بن قيس العتري ، سماه رسول الله ﷺ سعد الخير وليس بسعد بن خثعمه الذي ذكره المصنف . وكان يقال له سعد الخير رحمه الله .

وسعد بن مسعود الأنصاري . عن أبي هريرة قال : جاء الحارث الغطفاني إلى النبي ﷺ فيوقعة الأحزاب يوم الخندق فقال :

يا محمد شاطرنـا تمر المدينة ، فقال : حتى استأمر السعود ، فبعث إلى سعد بن معـاذ ، وسعد بن عباده وسعد بن مسعود ، وسعد بن النعمان بن زيد بن أكال الأنصاري الأوسي ، وهو الذي أخذه أبو سفيان بن حرب أسيراً ، ففـدى إبنـه عمرو بـن أبـي سفيان بـه .

وسعد بن النعمان بن قيس الظفري الأنصاري شهد بدراً رحمه الله .

وسعد بن وهب الجهني ، كان يسمى في الجاهلية غيان وبلده يقال لها غوا ، فسألـه رسول الله ﷺ عن إسمه وأين ترك أهله ؛ فقال : إسمي غيان وتركتهم في غـوا فقال رسول الله ﷺ بـل أنت رشدان وأهلك برشاد .

قال الأمير شمس الدين علي بن أمير المؤمنين : هؤلاء المشهورين من السعود رضي الله عنهم ولهم مناقب كثيرة غير ما ذكرنا ، أودعهـا ابن عبد البر في الأستيعاب ، وإبن الأثير في أسد الغابة وغيرهما والله أعلم ؛ والذي ذكر في أسد الغابة نيفـاً وتسعين سعداً ، وجملة من ذكرها هنا بعد الستة من مشاهيرهم تسعة وثلاثون والله أعلم .

* (وَكَمْ هُمَامٍ مِنَ الأَصحَابِ كَانَ لَهُ

وَصْفُ النَّبِيِّيْنَ لَوْلاَ الْخَتْمِ حَامِيهِ) * ١٠٣

قد تقدم قوله ﷺ لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبـي بعـدي » .

وعن عقبة بن عامر قال : قال ﷺ لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب أخرجه الترمذي .

وفي حديث أخرجه الترمذي أيضاً عن أنس أن رسول الله قال : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى عليه السلام في ورعه .

وعن عبد الرحمن بن زيد قال : سألت حذيفة عن رجل قريب السمت والدل والهدي من رسول الله ﷺ حتى نأخذ عنه ، فقال : ما نعلم أحداً أقرب سمتاً ولا هدياً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد ، الحديث يعني ابن مسعود ، أخرجه الترمذي بتمامه :

١٠٦ * (كَم مَوْطِنٍ قَدرَ أَوا فِيهِ مَلَائِكَـــة
مُخَاطِبِينَ وعَونـــاً فِي مَغَازِيْـــهِ) *

أما رؤية الملائكة حال كونهم مخاطبين لرسول الله ﷺ فنحو ما ورد في كتاب الايمـان أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الايمان والاسلام والاحسان والساعة ، فجعل ﷺ يخبره وهو يصدقه ثم أدبر فعجب الصحابة ولم يعرفوه فأخبرهم رسول الله ﷺ أن جبريل عليه السلام أتاهم ليعلمهم دينهم الحديث ؛ أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

وروي أن علياً عليه السلام رأى جبريل عليه السلام يحدث رسول الله ﷺ في صورة رجل وأخبره ﷺ أنـه جبريل عليه السلام . كذلك روي عن ابن عباس وعائشة وغيرهما ، وأما حال كونهم غوثاً في المغازي فكما كان في بدر وأحد وحنين ؛ وقد تقدم ذكر شيء من ذلك .

* (وبَعضُهُمْ كَانَتِ الأَملاَكُ تُشْبِهه
وبَعضُهُمْ كَانَ نُورُ السَّوْطِ يَهْدِيـهِ) *١٠٥

أما الذي كانت الأملاك تشبهه فهو دحية ابن خليفة الكلبي ، قد وردت فيه أحاديث كثيرة . تفيد أن جبريل عليه السلام كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية ، وكان من أجمل الناس صورة وهو من كبار الصحابة وفضلاءهم شهد أحداً وما بعده ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر ومات بالشام في أيام معاوية بن أبي سفيان ،

وأما الذي كان نور السوط يهد يهفهو الطفيـل بن عمرو الدوسي أسلم قد يمأفي مكةثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل فيها حتى هاجر النبي ﷺ إلىالمدينة، فقدم عليه وهو بخيبر ومعهمن تبعه من قومه ولم يزل مع النبي ﷺ حتى قبض ، قتل باليمامة ، حكى عنه في سيرة ابن شام أنه كان يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بهـا فمشى إليه رجال من قريش ،وكان الطفيلرجلا شاعراً لبيباً شريفاً ، فقالوا له : يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الذي بين أظهر ناقد أعضل بنـا ،قد فرق جماعتنا وشتت شملنا وإنمـا قوله كالسحر يفرق بين الرجـل وبين إبنـه . وبينـه وبيـن أخيه، وبيـنالرجل وزوجته وإنمانخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا،فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً فو الله مازالوابه حتي أجمع ان لااسمع منه شيئاًولا أكلمه حتى أني حشوت في أذني كرسفاً ، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله وأنا أريد أن لا أسمع ، قال : فغدوت إلى المسجد فاذا رسول الله ﷺ قائم عند الكعبة فقمت منه قريباً وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال : فسمعت

كلاماً حسناً قال فقلت في نفسي ، وأثكل أمي ، والله إني رجل لبيب شاعر ، وما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذي يأتي بـه حسناً قبلتـه ؛ وإن كان قبيحـاً تركته ، قال : فمكثت حتى إذا انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فأتبعتـه ، حتى إذا دخل بيتـه دخلت عليـه ، فقلت يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا ، الذي قالوه ، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبـا الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولا حسناً . فأعرض علي أمرك ، قال : فعرض علي الأسلام رسول الله ﷺ وتلى علي القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منـه قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الأسلام فأدع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوم إليه ، فقال : اللهم أجعل له آيـة ، قال : فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر ، وقع نور بين عيني مثـل المصباح ، قال : فقلت اللهم في غير وجهي إني أخاف أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم فتحول ذلك فوقع في رأس سوطي ، فجعـل الحاضر يتراءون ذلك في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنـا أبط إليهم من الثنية حتى جئتهم إلى آخر مـا ذكره . وفيه : أنه ما زال يدعو قومه إلى الإسلام حتى قدم على رسول الله ﷺ عام خيبـر في سبعين أو ثمانين بيتاً ممن أسلم من دوس والله أعلم .

وعن أنس : أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من

عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ، ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله ؛ وسماهما في رواية أخرى . عباد بن بشر . وأسيد بن خضير . أخرجه البخـاري .

وحكى القاضي عياض في الشفاء . أن قتادة بن النعمان صلى مع النبي ﷺ العشاء في ليلة مظلمة مطيرة ، فأعطاه عرجوناً وقال: انطلق بـه فانه سيضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً فاذا دخلت بيتك فسترى سواداً فأضربه حتى يخرج فانه الشيطان ، فانطلق فأضاء لـه العرجون حتى دخل بيته ووجـد السواد فضربه حتى خرج .

* (وبَعضُهم كَانَتِ الأَملاَكُ تُقرِئه السَّ
لامَ قَبْـلَ التَّنَادِي إذ تُنَاجِيْـهِ) * ١٠٦

عن مطرف وهو ابن عبد الله الشخير قال : قال عمران بن حصين أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك بـه ، إنه قد كان يسلم علي الملك حتى اكتويت فترك ثم تركت الكي فعاد ، وفي رواية أنه قال له ذلك في مرض موته ، وقال له : إن عشت فاكتم علي وإن مت فحدث بـه إن شئت ؛ ذكره رزين [١] .

قال الامام عليه السلام : ومعنى تقرئه السلام ، تبلغه الكرامة بالسلام عليه من الله سبحانه ، لأن سلامهم عليه لا يكون إلا باذن إلهي ، فكأن السلام من الله عز وجل ! . .

(١) ومن هذا الباب ما روى المؤلف في ذكر فضائل خديجة — رضي الله عنها — وقد تقدم ، فأنظره .

١٠٧ * (سُبْحَانَ رَبِّي مَا أَوحَيٰ خُرُوجهُمْ
مِنَ الظَّلامِ إلىٰ نُور يُجَلِّيْـــهِ) *

١٠٨ * (مِنْ مُؤْمِنٍ نُورُهُ هَادٍ لِأُمَّتِـــهِ
دَأْباً إلى آنْ يَجِيءَ الحَشْرُ جَائِيهِ) *

التسبيح تستعمل في التعجب من الأمر البديع العجيب ،وأوحى: بمعنى أسرع والمراد بالظلام الجهل والنور الهدى قال الله تعالى : (الله ولي الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وكل مهتد بهداية النبي ﷺ إلى آخر الدهر ،جزاه الله عنـا أفضل ما جزى نبيـاً عن أمته ، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الراشدين والتابعين لهم باحسان آمين .

١٠٩ * (وَكَمْ ثَنَائِي لِمَنْ جَاءَ الثَّنَاءُ لَهُـــمْ
في الذِّكْرِ في غَيرِ فَضْلٍ مِنْ مَثَانِيـــهِ) *

قد وردت آيات في القرآن في الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ كقوله عز وجل : (محمد رسول الله والذين معه) الآية ؛ وغيرها كما و معروف .

وقوله عليه السلام : في غير فصل بل فصول كثيرة ومثاني القرآن سوره وآياته لأنهـا تثني في تلاوته أي تكرر . وقد تطلق المثاني على ما دون المثين من السور وعلى سورة الفاتحة وحدها .

١١٠ * (وكلُّهُمْ عِنْدَنا عَدْلُ رِضاً ثِقَـــة
حَتْمٌ مَحَبَّتُهُ حَتْـــمٌ تَوَلِّيْـــهِ) *

قال الأمام عليه السلام:عن أبي ذر إن جملة الصحابة مائة ألف وعشرون ألفاً، وقال الشافعي: نقل أصحاب رسول الله ﷺ والمسلمون ممن سمع منه ورآه ، زهاء ستين ألفاً وقال: الحاكم أبو عبد الله يروي الحديث عن قريب من خمسة آلاف صحابي ١ ..

ومذهب المحققين من أهل الأصول أن الصحابة عدول جميعهم بتعديل الله ورسوله ، يجب توليهم ومحبتهم على كل مسلم إلا من حدث منه ما يقدح في العدالة كما و مقرر في مواضعه مفصل والله الموفق ، وإلى ذلك أشار الإمام عليه السلام بقوله :

فصل

في ذكر من أحدث بعد النبي ﷺ ما يخرجه من حكم الصحبة وذكر ما يتضمن من المعجزات عموماً وخصوصاً

* (إلاَّ أُناساً جَرَى مِنْ بَعْدِهِ لَهُمُ
أَحْدَاثُ سُوْءٍ وَمَاتُوا فِي أَثَانِيهِ) * ١١١

* (مِنْ رِدَّةٍ وَمُرُوقٍ وَالخُرُوجِ عَنِ الْـ
أَمْرِ الإِلٰهِيِّ وَالقَسْطِ المُنَافِيهِ) * ١١٢

أما الردة فإنه لما توفي رسول الله ﷺ ارتد كثير من الأعراب كبني حنيفة وبني أسد وبعض بني تميم وغيرهم ، فلم يزل

المهاجرون والأنصار يجاهدونهم حتى ردوهم إلى الأسلام بالسيف وصدق الله وعده وأظهر دينه .

وشرح ما وقع من ذلك يحتاج إلى مجلدات وهو مبسوط في مواضعه من كتب التاريخ .

وأما المروق فكما وقع من الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام وكفروا أصحاب رسول الله ﷺ وسفكوا دماء المسلمين فقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام يوم النهروان ولم يزل لهم أتباع يخرجون على المسلمين في كل عصر ولهم تعمق في الدين خرجوا به عن الأيمان واستحوذ عليهم الشيطان ، فنعوذ بالله من الخذلان .

وأما الخروج عن الأمر الألهي والقسط بفتح القاف وهو الجور المنافي للأمر الألهي فكما كان من الناكثين والقاسطين ومن ارتكب المحظورات الصريحة من غيرهم والله أعلم وأحكم .

١١٣* (مَا قُلْتُ إلاَّ الَّذِي قَدْ قَالَ خَالِقُنَا
فِي ذِكْرِهِ أَو رَسُولُ اللهِ حَاكِيهِ) *

١١٤* (فَكُلُّ حَادِثَةٍ فِي الدِّينِ قَدْ وَرَدَتْ
وَفِتْنَةٍ وَامْتِحَانٍ مِنْ أَعَادِيهِ) *

١١٥* (فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَالنَّقْلِ الصَّحِيحِ عَنِ
الرَّسُولِ فِي لَفْظِ تَنْصِيصٍ وَتَنْبِيهِ) *

قال الله عز وجل : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) .

قال الإمام عليه السلام (١) : « قال الله سبحانه : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) وهذا المعنى هو الذي أشار إليه بقوله ، والخروج عن الأمر الإلهي فإن قوله تعالى ، حتى تفيء أي ترجع ، نص على أنها قد خرجت عن أمر الله ، وهو دينه . وهم معاوية وأصحاب معاوية فدلت على أنهم أسوء حالا من الخوارج لأنهم شاركوا في المروق وهو الخروج عن الأمر الإلهي ، وفي البغي على إمام الحق وزادوا بالقسط وهو الجور في أحكامهم ومخالفة الشريعة في إقدامهم وإحجامهم عمداً لا تأويلا كالخوارج ، فالخوارج هم المتأولون قطعاً وقد بفدهم تأويلهم ، وأما معاوية ومن إليه فلا تأويل لهم بل هم طلبة ملك قطعاً وخارجون من الدين عمداً ، فالعجب ممن عكس القضية ، وحرف النصوص القرآنية ، وحشى في حديث النبي ﷺ ما يناسب عقيدته الفرية وأما قوله تعالى من المؤمنين ، فيعني بـه ما يدعونه من ظاهر التلبيس بالإيمان في حق كثير منهم وما كانوا فيه قبل البغي في حق كثير وذلك ظاهر ، وإلا ناقض قوله تعالى :

(١) أنظر إلى هذا البحث في هذا الموضوع وقد نسبه المؤلف للناظم الإمام شرف الدين رضي الله عنه فكلما وردت عبارة قال الإمام عليه السلام فالمراد بها ، الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين رضي الله عنه حذفناها اختصاراً كما أشرنا في أول الكتاب .

وقد أتبعه الشارح بأدلة نبوية فتأمل .

« حتى تفيء إلى أمر الله » لأن الخارج عن أمر الله ليس بمؤمن ولو فاسقاً على الصحيح ولهذه الاشارة بسط في مواضعه » اهـ .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجـال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني ، حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا فلأقولن أي رب أصحابي ، أصحابي ، فليقولن لي إنك لا تدري مـا أحدثوا بعدك ، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيجلاؤن عن الحوض فأقول : يا رب أصحابي فيقول : إنه لا علم لك بمـا أحدثوا بعدك ، إنهم إرتدوا على أدبارهم ، أخرجه البخاري ومسلم ؛ وللبخاري ؛ أن رسول الله ﷺ قال : بينما أنا قائم على الحوض ، إذا زمرة . حتى إذا عرفتهم خرج رجـل من بيني وبينهم فقال لهم هلم فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى النار ، قلت ما شأنهم ؟ قال : إنهم قد ارتدوا على أدبارهم ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همـل النعم .

وفي هذا المعنى أحاديث أخر .

وفي المستدرك : عن أبي أيوب قال : أمر رسول الله ﷺ علياً بقتال الناكثين ، والقاسطين والمارقين ،وروى عن علي كرم الله وجهه ، أنه قال : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

وعن أبي سعيد الخدري نحـوه .

وروي من طرق عدة أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام : إنك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ؛ وهذا الحديث قد عد من الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ .

فأما الناكثين وهم أصحاب يوم الجمل الذين نكثوا بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام . ثم خرجوا إلى البصرة ، وأظهروا أنهم يطالبون بدم عثمان بن عفان ، فسار إليهم علي عليه السلام فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزمهم .

وأما القاسطين . فهم أهل صفين معاوية وأصحابه وأتباعه ، الذين بغوا على إمام الحق عليه السلام ، فسار إليهم فقاتلهم بمن أطاعه حتى إذا أيقنوا بالهلكة بعد أن قتل منهم خلق كثير ، رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح ، وقالوا ندعوكم إلى كتاب الله ، فعلم علي وذووا البصيرة من أصحابه أنها خديعة ، فانخدع جمهور عسكره بذلك حتى قال بعضهم : إن لم تترك قتالهم وتحاكمهم إلى كتاب الله قتلناك . أو كما قالوا فغلبوه عليه السلام على أمره ، ثم حكموا عمرو بن العاص من أصحاب معاوية ، وأبا موسى الأشعري ، فخدع عمرو أبا موسى ، وأثبت الخلافة لمعاوية .

فأنكرت طائفة من الناس التحكيم ، وقالوا لا حكم إلا لله سبحانه ، واعتزلوا الفريقين وكفروهم ، فراجعهم علي عليه السلام واحتج عليهم ، فرجع بعضهم وأصر الباقون ، وسفكوا الدماء ، ونهبوا الأموال ، فسار إليهم عليه السلام فقتلهم يوم النهروان ؛ وهؤلاء هم المارقون المشار إليهم في الحديث المتقدم ، لأنهم تعمقوا في الدين حتى كفروا أفاضل الصحابة ، وذهبوا إلى أن كل معصية كفر ، وأنه إذا كفر الإمام كفرت الرعية

بكفره ، ولهم أقاويل منكرة ، ويقال لهم الخوارج والمحكمة ، والمارقة .

وقد وردت فيهم عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، فعن زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي عليه السلام الذين خرجوا إلى الخوارج ، فقال علي كرم الله وجهه : أيها الناس ؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن قوماً من أمتي يقرأون القرآن ، ليست قرأتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم ، وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الأسلام كما يمرق السهم من الرمية » .

لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل » وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع ، على عضده ، مثل حلمة الثدي ، عليه شعرات بيض ، وساق القصة ، إلى أن قال : وقتل بعضهم على بعض فقال علي كرم الله وجهه : التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه فقام علي عليه السلام بنفسه إلى أن أوتى بناس قد قتل بعضهم على بعض قال أخروهم . فوجده مما يلي الأرض ، فكبر ثم قال صدق الله وبلغ رسوله ، قال : فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ قال : إي والله الذي إله لا إلا هو حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له ، أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن عبيد الله بن رافع أن الحرورية لما خرجت على علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقالوا . لا حكم إلا لله قال : كلمة حق

أريد بها باطل : إن رسول الله ﷺ وصف لنا أناساً إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم وأشار إلى حلقه ، من أبغض خلق الله منهم : أسود إحدى يديه طبي شاة[1] أو حلمة ثدي فلما قتلهم علي كرم الله وجهه قال : أنظروا فنظروا فلم يجدوا شيئاً ، فقال : أرجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً ، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه ، أخرجه مسلم .

وفي حديث أخرجه الستة إلا الترمذي ، عن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج في هذه الأمة ، ولم يقل منها ؛ قوم يحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، الحديث .

وفي رواية ، قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة ، وهو رجل من بني تميم ، فقال يا رسول الله إعدل ، فقال رسول الله ﷺ : ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : أئذن لي يا رسول الله فأضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ،وصيامه مع صيامهم . زادفي رواية يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام ، وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وذكر الحديث إلى أن قال آيتهم

(١) الطبي بطاء مهملة وباء موحدة ساكنة بعدها ياء مثناة : هو للشاة بمثل الضرع ويقال : الطبي للحافر والباع . والخف : للخف . والضرع للظلف أي لذي الظلف . وفي المثل : بلغ الحزام الطبيين ، تمت من أساس البلاغة .

رجل أسود أحد عضديه ، وفي رواية إحدى يديه مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس .

فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل ، فالتمس فوجد ، فأتي بــه حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذي نعته بــه ؛ وفي رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ قال : تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهــا أولى الطائفتين بالحق ، وفي الحديث روايات أخر وزيادات وفي معناه أحاديث كثيرة .

وقال الامام عليه السلام : وعن أسامة بن زيد قال : أشرف النبي

فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا : ، فقال إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر ، متفق عليه ؛ وعن حذيفــة إن النبي ﷺ قال : إنكم لا تدرون لعلكم تقتلون ، متفق عليه ؛ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : بادروا بالأعمال فتنــاً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنــاً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا ، أخرجه مسلم والترمذي .

وعن أم حبيبه أن رسول الله ﷺ قال : ويــل للعرب من شر قد اقترب ، أخرجه البخاري .

وقال للأنصار : إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني ، متفق عليه .

وقال : ويـح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، أخرجه أحمد .

وأخبر ﷺ بملك بني أمية واتخاذهم مــال الله جل وعلا دولا

وعبيده خولا وما ينال أهـل بيته من الكرب والقتل والتشديد ما أشار إليه ﷺ بقوله« ويح أفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف»أخرجه ابن عساكر من حديث مسلمه بن الأكوع ، وأخبر ﷺ بقتل علي عليه السلام ، وقال بأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه ، يعني لحيته من رأسه ، وأن عثمان يقتل شهيداً وهو يقرأ من المصحف ، وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً ، وأنه يقتل شهيداً ، وبمحاربة الزبير لعلي عليه السلام وهو لهظالم ، ونباح كلاب الحوئب على إحدى نسائه ، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة بعد ما كادت ، فنبحت عائشة عند خروجها إلى البصرة ، وقال لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك ، وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج اليد الذي فيهم وأن سماهم التحليق وأن في قتلهم أجراً لمن قتلهم ، وأخبر ﷺ بقتل الحسين رضي الله عنه بالطف ، وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه ، وقال في زيد بن صوحان زيد وما زيد لسبقته يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده ، فقطعت يده يوم جلولا ثم قتل يوم الجمل مع عليه عليه السلام ، وكحديث إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ، وهو حديث مشهور ، وقد قواه الذهبي بعد أن رواه من طرق كثيرة ، وهو خصم لا يقبل في مثل هذا إلا مـا في حكم المتواتر .

وحديث الأغيلمه من بني مروان ، وحديث لعن الراكب والقائد والسائق وغير ذلك .

وهي أحاديث صحيحة عند أهـل البيت عليهم السلام بل متواترة ، وقد صحح الحاكم وغيره حديث الأغيلمه وحديث

لعن مروان ، وهو مولود ، وقول النبيﷺ « فيه الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون » وغير ذلك كما هو مبسوط في المستدرك وذكر كثير من العلماء أنه من المتواتر ١ هـ. ما ذكره عليه السلام .

فصــل

في ذكر أول الأشعار بصعود نفس المختار ﷺ إلى بارئها العزيز الجبار

١١٦ * (لا سِيَمَا عِند قُرْبِ الحَادِثِ الجَلَــلِ
الْمُرِيعِ لِلدِّينِ وَالإِسلاَمِ بَادِيْــهِ) *

١١٧ * (مِنْ مِثْلِ مَا كَانَ فِي حَجِّ الوَدَاعِ وَفِي
يَوم الغَدِيرِ الَّذِي أَضحي يُثَنِيـــهِ) *

١١٨ * (أَبَانَ فِي نَصِّهِ مَنْ كَانَ خَالِقُنَــا
لَهُ يُوَالِي وَمَنْ هذَا يُعَادِ يْـــهِ) *

١١٩ * (وَهْوَ الحَدِيثُ اليَقِينُ الكَوْنَ قَد قَطَعَتْ
بِكَونِهِ فِرْقَةٌ كَانَتْ تُوَهِّيْـــهِ) *

أراد بالحادث الجلل وفاة رسول الله ﷺ إذ لا أجل منها ولا أعظم والذي كان في حجة الوداع ، نحو ما أخرجه النسائي عن جابر قال : رأيت رسول الله ﷺ على راحلته يوم النحر وهو يقول : « خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أعيش بعد عامي هذا » ونحو ما أخرجه الترمذي أيضاً عن جابر قال : «رأيت

رسول الله ﷺ في حجة الوداع يوم النحر وهو على ناقته القصوى يخطب ، فسمعته يقول : « إني تركت فيكم ما إن أخذتم بـه لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي » اهـ .

وعن ابن عمر قال : كنا نتحدث عن حجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ، ولا ندري ما حجة الوداع ، حتى حمد الله رسول الله ﷺ وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال : ما بعث الله من نبي إلا أنذره أمته ، أنذره نوح والنبيون من بعده ، وأنه يخرج فيكم فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم إن ربكم ليس بأعور إنه أعور عينه اليمن كأن عينه طافية ، ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هـل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد ، ثلاثاً ، ويلكم أو ويحكم أنظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، هذه رواية البخاري ، ولـه في أخرى : فطفق النبي ﷺ يقول اللهم اشهد ، ثم ودع الناس ، فقالوا : هذه حجة الوداع .

وأما حديث يوم الغدير ، فهو من الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ وقد روي بن طرق كثيرة عن خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم ، بعضها من روايات أهـل البيت عليهم السلام ، وبعضها من روايات غيرهم من علماء الحديث ، وفي بعض الروايات زيادات وما ينكره إلا مكابر مباهت .

فمن روايات أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ما رووه بالإسناد عن البراء بن عازب قال : أقبلت مع النبي ﷺ في حجة الوداع

فكنا بغدير خم فنودي أن الصلاة جامعة وكسح للنبي تحت شجرتين فأخذ بيد علي عليه السلام فقال : «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، فقال : هذا مولى من أنا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة».

ورووا بالأسانيد إلى زيد بن أرقم قال : نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة ، عند سمرات خمس دوحات عظام فقام تحتهن ، فأناخ ﷺ عشية ، فصلى ثم قام خطيباً « فحمد الله وأثنى عليه وقال : ما شاء الله أن يقول ثم قال : أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ما اتبعتموهما ، القرآن وعترتي أهل بيتي ، ثم قال : أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : نعم ؛ فقال ﷺ : من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال رجل من القوم : ما يألو أن يرفع ابن عمه .

وروى بعضهم ، من طريق الحاكم أبي سعيد المحسن بن كرامة ما لفظه : فقام ﷺ خطيباً بغدير خم ، وأخذ بيد علي كرم الله وجهه فرفعها حتى رأى بعضهم بياض إبطه ، قال : « ألست اولى بكم من انفسكم ؟ قالوا : اللهم نعم . فقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » فقام عمر فقال : بخ بخ يا ابن أبي طالب . أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ؛ قال الحاكم أبو سيعد رحمه الله . وحديث الموالاة وحديث غديرخم قد رواه جماعة من الصحابة وتواتر النقل به حتى دخل

في حد التواتر ، فرواه زيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري ، وأبو أيوب الأنصاري ، وجابر بن عبد الله ، ثم ذكر روايات بعضهم وهي تضمن ما تقدم مع زيادات ، وروي بالإسناد إلى عبد خير قال : حضرنا وعلياً عليه السلام ينشد الناس في الرحبة فقال : أنشد من سمع النبي ﷺ يقول : «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعـاد من عاداه» ؟ فقام إثني عشر رجلا كلهم من أهل بدر ، فيهم زيد بن أرقم فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك لعلي عليه السلام .

وأما روايات غير أهل البيت وغير شيعتهم ، فقد روي عن الرسالة النافعة للإمام المنصور بالله عـن مسنـد الإمام أحمد بن حنبـل هذا الحديث المذكور من طرق كثيرة بنحو ما سبق ، وحكاه أيضاً عن جامع رزين ، وعن مناقب ابن المعازلي الشافعي ، وذكر أنه رفع الحديث المذكور إلى مائة من أصحاب رسول الله ﷺ قال : وقد ذكر محمد بن جرير الطبري ، صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطرقه من خمسة وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية ، وذكر أبو العباس أحمد بن عقده خبر يوم الغدير وأفرد له كتاباً ، وطرقه من مائة طريق ، وخمس طرق ، ولا شك في بلوغه حد التواتر ، وحصول العلم بـه ولم نعلم خلافاً ممن يعتد بـه من الأمة وهم بين محتج بـه ومتأول له ، إلا من يرتكب طريقة البهت ومكابرة العيان ، تم كلامه .

وفي المستدرك ، بالإسناد إلى زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ، ونزل بغديرخم أمر بدوحات فقمن ثم قال : «كأني قد دعيت فأجبب إني قد تركت فيكم الثقلين

أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي فأنظروا كيف تخلفونني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم قال : إن الله عز وجل مولاي ، ومن كنت وليه فهذا وليـه ، اللهم وال من والاه : » وذكر الحديث بطوله وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بطوله .

وفيه عن زيد بن أرقم ، نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند السمرات خمس دوحات عظام فكنس الناس مـا تحت السمرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلى ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه ووعظ فقال : ما شاء الله أن يقول ثم قال : «أيها الناس إني تارك فيكم أمرين ، لن تضلوا إن أتبعتموهما . وهما : كتاب الله وعترتي أهـل بيتي ، ثم قال : أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ ثلاث مرات ، قالوا : نعم ، فقال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه » اهـ .

قال الإمام عليه السلام في قوله : أضحى يثنيه ما حاصله إن أضحى هنا بمعنى صار ، ومعنى يثنيه بمعنى يكرره ويؤكده والتضعيف فيه للتنكير ، وذلك من جهة المعنى ، لأن قوله ﷺ « إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » كان يوم عرفة في حجة الوداع ، فثناه بحديث غديرخم في الثامن عشر من ذي الحجة الحرام وفي كلا الحديثين تنويه بذكر علي عليه السلام ومزيته ثم إن قوله ﷺ في أول حديث الغدير « إني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلى قوله لن يفترقا حتى يردا على الحوض » يتضمن تفضيل علي عليه السلام ، وقوله في آخره «من كنت مولاه فعلي مولاه » إلى

آخر تثنية وتكرير لتفضيله وأيضاً فجميع الأحاديث الدالة على فضله عليه السلام تتضمن ما دل عليه حديث الغدير فهي في المعنى تثنية له وتكرير وتأكيد وتقرير له عليه السلام .

وقول الإمام عليه السلام . وهو الحديث اليقين الكون ، البيت كأنه إشارة إلى كلام ذكره الحافظ الذهبي فى تذكرته حيث قال اعتنى في حديث غديرخم محمد بن جرير الطبري فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه ، قال الذهبي : بهرني كثرة طرقه فقطعت بوقوعه ، فظاهر كلامه أنه كان قبل ذلك لا يقطع بصحته ، وقال في بعض كتبه : وصدر الحديث متواتر فتيقن أن رسول الله ﷺ قاله ، قال ابن كثير يعني قوله « من كنت مولاه فعلي مولاه »

قال الذهبي : وأما « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فزيادة قوية الاسناد وصححها أبو ذر اهـ .

ومعنى قول الامام عليه السلام وهو الحديث اليقين الكون ، أي المتيقن كونه ووقوعه ، وكذا قوله قد قطعت بكونه أي بوقوعه وصدوره عن النبي ﷺ :

* (وَقَالَ يَا قَوْمَنَا قَدْ أَقْبَلَتْ فِتَن
لَكُمْ كَمُنْعَكِرِ الإظْلَامِ دَاجِيْهِ) * ١٢٠

* (فَاخترْتُ جِيرَةَ دَيَّانِي مَعَ الْمَلَاءِ الْ
أَعْلَى المُطَهْرِ مِمْا لَيْس يُرضِيهِ) * ١٢١

* (وَكَانَ فِي صَفَرٍ ما كَانَ مِنْ ضَرَرٍ
وَنَازِلٍ بِرَسُولِ اللهِ يُؤْذِيـهِ) * ١٢٢

قال في سيرة ابن هشام ما لفظه : قال ابن اسحق ، وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وعبأ مع أسامة المهاجرون الأولون ، قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ .

قال ابن اسحق : فبينما الناس على ذلك ، ابتـدا رسول الله ﷺ يشكو مرضه ، الذي قبضه الله فيه إلى مـا أراده مـن رحمته وكرامته في ليال بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول .

فكان أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ من ذلك فيما ذكر لي أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدأ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن اسحق : وحدثنـي عبد الله بن عمر عن عبيد بن جبير مولى الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي . فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم مـا أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل يتبع آخرها أولها الآخرة أشد من الأولى ، ثم أقبل علي فقال : يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي واالجنة قال : فقلت بأبي أنت وأمي . فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة . قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم

انصرف . فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه .

قال ابن اسحق : وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه إلى الصبح وأبو بكر يصلي بالناس . فلما خرج رسول الله ﷺ فرح الناس فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه فدفع النبي ﷺ في ظهره ، وقال : صل بالناس وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس وكلمهم رافعاً صوته حتى يخرج صوته من باب المسجد يقول : «أيها الناس ، سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، إني والله ما تمسكون علي بشيء إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن . »

وروي فيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعه يقول : « إن الله سبحانه لم يقبض نبياً حتى يخيره » قالت : فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : « الرفيق الأعلى من الجنة » قالت : قلت إذاً والله لا يختارنا وعرفت أنه الذي يقول لنا : « إن نبياً لن يقبض حتى يخير » اهـ . .

وعن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ يقول : وهو صحيح :« لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخير » قالت عائشة : فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : « اللهم الرفيق الأعلى » قلت إذاً لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو

صحيح في قوله : « إنه لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير ».

قالت : فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله « اللهم الرفيق الأعلى » .

وفي رواية أخرى ، قالت : فسمعته يقول « مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين » أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم والموطاء والترمذي بروايات عديدة .

١٢٣ * (وَفِي الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمَ الْخَمِيسِ بِهِ
كُلُّ الرَّزِيَةِ قَالَ الْبَحْرُ : هِيْ هِيْ هِيْ) *

هذه إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم ، عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، « قال النبي ﷺ هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده إلى يوم القيامة » ، قال عمر في رواية مقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ومنهم من يقول ما قال عمر في رواية ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما كثر اللغط والاختلاف قال رسول الله ﷺ قوموا عني ؛ قال : وكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية . ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم ؛ وفي رواية قال : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع . فخرج ابن عباس وهو يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين

كتابه ؛ وفي أخرى قال ابن عباس يوم الخميس ، وما يوم الخميس زاد في رواية : ثم بكى حتى بل دمعه الحصى قلت يا آبا عباس : وما يوم الخميس قال :اشتد برسول الله ﷺ وجعه ، فقال «إيتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً » فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه ؟ هجر ؟ استفهموه ، فذهبوا يرددون عليه فقال : « ذروني دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه » الحديث .

والبحر لقب لابن عباس ، لقب به لسعة علمه ؛ وقول الامام عليه السلام هي هي هي يحتمل أن تكون كلها مبتدآت محذوفات الأخبار أي هي الرزية ، هي الرزية ، هي الرزية ، وأن تكون الثالثة مع الثانية تأكيداً للأولى ، والخبر محذوف ، وأن تكون الأولى مبتدأ والثانية خبرها ، فالثالثة تأكيد للخبر ، وأن تكون الثانية تأكيد للأولى وهي المبتدأ ، والثالثة خبرها ، وجميع ذلك في الدرجة العليا من البلاغة . ومن الاخبار :عن اللفظ بمثله كقوله أنت أنت ، وقول أبي النجم : وشعري شعري ، أي أنت المعروف بالكمال ، وشعري المعروف بالجودة ، ونحو ذلك ، ومنه قول الأول :

رموني وقالوا يا خويلد لا ترع
فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

* (وَيَومَ الاثْنَينِ في تَالِيْهِ كَانَ صُعُو
د الروح طَابتْ مع الأَملاكِ ترقِيهِ) * ١٢٤

* (فأَظْلمتْ أُفق الأَرضَينِ وابْتهجت
بِهِ السَّماوَات مَعْ عَرْشٍ وَمَا فِيهِ) * ١٢٥

قال الأمام عليه السلام : عن سليمان بن طرحان التيمي قال : مرض رسول الله ﷺ بالوجع يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر ، وتوفي يوم الاثنين اثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول ، ذكره الواقدي ، وجزم به كاتبه ابن سعد وزاد . ودفن يوم الثلاثاء .

وفي مسند أحمد أنه دفن ليلة الأربعاء ، وفي رواية ابن عباس أنه توفي لعشر خلون من شهر ربيع الأول ١هـ .

وعن جعفر الصادق أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين فلم يغسل إلا آخر يوم الثلاثاء ، الحديث ؛ ذكره في جامع الأصول ، ولم يذكر مخرجه ، وفي حديث أخرجه البخاري وغيره عن عائشة أن رسول الله ﷺ لما اشتد به المرض وبين يديه ركوة ، أو علبه . ـ شك للراوي فيهما ـ فجعل يدخل يديه في ذلك الماء فيمسح بهما وجهه ، ويقول لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ثم يصب بيده ، فجعل يقول « في الرفيق الأعلى حتى قبض ﷺ فمالت يده » .

وفي رواية الترمذي عنها قالت : رأيت النبي ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول « اللهم أعني على سكرات الموت وغمرات الموت » ١هـ .

وفي السيرة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ توفي حين اشتد الضحى يعني من يوم الأثنين ففرغ من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء ودفن ليلة الأربعاء ، قال ابن اسحق ولما توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين . وكانت عائشة فيما بلغني تقول لما

توفي رسول الله ﷺ : ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق وعال ، فصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيئهم ﷺ ..

قلت ولعمري إن العبارات تقصر عن شرح الحال عقيب ذلك الحادث الملم النازل والخطب المدلهم الهائل الذي هو أحق وأولى بقول القائل :

يقولون حصن ثم تأتي نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم يزل نجوم السماء والأديم صحيح

ولقد أبلغ الأمام عليه السلام في وصف تلك الحال وأوجز وأبدع فيما ضمنه ذلك المقال ، وأعجز زاده الله فيما منحه من خلال الكمال ، وبارك الله له فيما اختصه من كمال الخلال وما أحقه بقول من قال :

جرى معك الجارون حتى إذا انتهوا
إلى الغاية القصوى سبقت وقاموا

فليس لشمس مذ أنرت إنارة وليس لبدر مذ تممت تمام

وقد ذكر في جامع الأصول في المجلد الآخر منه ما لفظه :

كان ابتداء مرض رسول الله ﷺ من صداع عرض له وهو في بيت عائشة ثم اشتد عليه وهو في بيت ميمونة ، ثم استأذن نسائه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له ، وكانت مدة مرضه إثنتي عشر يوماً ، وقيل أربعة عشر يوماً ومات يوم الإثنين ضحاً من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، وسنة ثلاث وأربعين وتسعمائة للإسكندر ، قيل مستهل الشهر ، وقيل : لليلتين خلتا منه ،

وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت . الأكثر ، ودفن ليلة الأربعاء وسط الليل ، وقيل ليلة الثلاثاء ، والأول أكثر ، وصلى عليه المسلمون أرسالا أفراداً لا يؤمهم أحد ودفن بموضع موته من حجرة عائشة .

فولد يوم الاثنين وبعث نبياً يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين ، وغسله علي والعباس والفضل بن العباس وصالح مولى النبي ﷺ وهو شقران وقيل : كان معهم أسامة بن زيد ، وقيل : غيره .

ونزل لحده هؤلاء المذكورون وقيل كان معهم عبد الرحمن بن عوف ، وقيل غيرهم .

وكان له من العمر يومئذ ثلاث وستون سنة ، وقيل: خمس وستون ، وقيل: ستون ، والأول أكثر وأصح ،وكان مدة النبوة ثلاثاً وعشرين سنة أو خمساً وعشرين أو عشرين على الخلاف في مدة عمره والله أعلم .

وفي قول الأمام عليه السلام ، وأظلمت أفق الأرضين ، البيت ، إشارة إلى ما أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أنس قال : لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء فيها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه ﷺ أظلم فيها كل شيء وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا .

قال الترمذي : حديث صحيح غريب . قال ابن كثير إسناده على شرط الشيخين وفي رواية غريبة . أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا بعضا . وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها .

وقوله فابتهجت بـه السماوات إلى آخره : إشارة إلى الحديث المروي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أخرجه البهيقي وغيره وهو مرسل وفيه أن ملك الموت عليه السلام قال : يا محمد إن الله أرسلني إليك ، فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضت ، وإن أمرتني أن أترك تركت ، فنظر النبي ﷺ إلى جبريل فقال لـه جبريل : يا محمد إن ربك قد اشتاق إليك ، فقال رسول الله ﷺ لملك الموت : إمض لما أمرت به ، فقبض روحه الشريفة . انتهى ما ذكره الامام عليه السلام .

فصـــل

في ذكر أول ما وقع من الإختلاف الذي أشار إليه عليه السلام بقوله :

* (وَكَانَ بَعدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْنَمَـــةٌ
وَمَا مِنَ الكَرْبِ لا أَسْتَطِيعُ أَرْوِيْـــهِ) * ١٢٦

* (صَانَ الْوَصِيُّ بِهَا الإِسْلاَمَ إِذْ بقِيت
أَعْلاَمَ شَرعٍ يرَاعِيهَا مراعِيـــهِ) * ١٢٧

صدر البيت الأول مضمن من شعر عمة رسول الله ﷺ صيفة بنت عبد المطلب ، ويروى أن فاطمة البتول عليهـا أفضل السلام تمثلت بها عند مخاطبتها لأبي بكر في شأن «فدك» حيث أنشدت هذه الأبيات وهي :

قد كان بعدك أنباء وهينمة لو كنت حاضرها لم يكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا
فغبت عنا فنحن اليوم نغتصب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به
عليك تنزل من ذي العزة الكتب
تهضمتنا رجال واستخف بنا
مذ غبت عنا فكل الخير محتجب
وقد رزئنا الذي لم يرزه أحد
من البرية لا عجم ولا عرب
فسوف تبكيك ما عشنا وما بقيت
منا العيون بهتان همى سرب

وفي سيرة ابن هشام ما لفظه :

قال ابن اسحق : ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعده، واعتزل علي عليه السلام والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، في بيت فاطمه ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم أسيد بن خضير في بني عبد الأشهل فأتى آت إلى أبي بكر وعمر فقال : إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وقد انحازوا إليه فإن كان لكم بأمر الناس حاجة . فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم ورسول الله ﷺ في بيته . لم يفرغ من أمره قد أغلق من دونه الباب أهله ، قال عمر : فقلت لأبي بكر إنطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه .

وفي حديث أخرجه البخاري عن ابن عباس ، أن عمر قال في خطبة له قبل قتله بأيام ما لفظه . وإنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر . فقلت لأبي بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقربوهم ، أقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعده ، فاذا رجل من مـل بين ظهرانيهم فقلت من هذا ؟ قالوا : هذا سعد بن عبادة ، فقلت ما له ؟ قالوا : يوعك فلما جلسنا قليلا نشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الأسلام ، وأنتم معاشر المسلمين المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة فاذا هم أرادوا أن يخزلونا من أصلنا وأن يقصوننا من الأمر أي يخرجونا منه وينحونا عنه ، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقاله ، أي هيأت أعجبني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أواري منه بعض الحسد ، فلما أردت أن أتكلم ، قال أبو بكر : على رسلك ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر فكان أحلم مني ، وأوقر وأوفق ، والله الموفق ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاقال في بديهته مثلها وأفضل منها حتى سكت ، فقال ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش

هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيده بن الجراح وهو جالس فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا تسول نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن .

فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش « الجذيل » تصغير الجذل وهو عود ينصب للابل الجربى يحك فيه فتستشفى والمحك الذي كثر الاحتكاك به حتى صار أملس ، و « عذيقها » تصغير عذق بفتح العين ، وهي النخلة ، والمرجب المسند بالرجبة وهي خشبة ذات شعبتين وذلك إذا طالت الشجرة وكثر حملها اتخذوا ذلك لها والمعنى أني ذو رأي يستشفى به في الحوادث وينتفع به ـ والقائل ذلك هو الحباب بن المنذر ، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت :أبسط يدك يا أبا بكر فبايعته ، وبايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار وبردنا على سعد بن عباده فقال قائل منهم ، قتلتم سعد بن عباده فقلت قتل الله سعد بن عباده ، قال عمر : إنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمرنا أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى ، وأما أن نخالفهم فيكون فساداً ، فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتتلا انتهى . « التغرة » مصدر غر وهي من التغرير كالتعله والتقدير خوف تغرة أن يقتلا ، قال الامام عليه السلام : وكان بعدك أنباء وهينمة . إشارة إلى الأبيات

المذكورة لصفية التي تمثلت بها فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وقوله : وما من الكرب لا أستطيع أرويه ، إشارة إلى ما وقع من الهوان والزلات التي أنبني عليها وثار منهـا ونشأ عنها كل فتنة ومحنة في الإسلام وذلك من إساءة أهـل السقيفة بالخلافة على أهل البيت الذين هم أصلهـا ونصابـها ومركزها وأقطابها وقد وردت في قضيتهم وفيهم النصوص القرآنية والبراهين النبوية فاستخف بحقهم ولم ينظر إليهم وإلى تقديمهم بموجبات الإيثار وسبقهم ، وبعد ذلك وقع التجاسر على العقوق لهم والهضم وتمكنت الشبهة في التهاون والتنقص لهم والوصم ، فأول ما كان من ذلك إغضاب سيدة نساء العالمين ومشاحنتها في الذي ادعت أنه لها ملك بالأرث والنحلة لها من أبيها الرسول الأمين ﷺ حتى ماتت وهي غضباء شجية ، ولحقت بأبيها وهي حزينة بكية ، وقد روي عنه ﷺ أنه قال « إنهـا بضعة مني يريبني ما يريبها »، في قصة حديث المسور الصحيح عندهم وإن كان عند أهل البيت من الموضوعات الفرية ، لكن بعض هذه الجملة متواتر من الأمور القطعية ، ثم تعقب ذلك كل محنة في الدين من ارتداد المرتدين والخطأ الواقع في الشورى بين الستة التي هي أخت السقيفة بل أعظم خطراً وأخفى تأويلا ونظراً ثم تعقب ذلك عظائم الامتحان من فتنـة عثمان وما نشأ عنها وتعقبها من الفتن الفادحة الشأن ، من مثل الجمل ، وصفين وكربلاء والحيرة وغير ذلك إلى آخر الزمان ١هـ .

وروي الامام المنصور بالله عليه السلام فيما حكى في كتابه الشافي عن المغيرة بن شعبة أنه قال : أنا أول من صرف هذا الأمر من أهل هذا البيت وذلك أني أتيت يوم وفـاة رسول الله ﷺ وأبو

بكر لازم للباب ، فقلت : ما وقوفك ها هنا ؟ قال : أنتظر علي بن أبي طالب يخرج فنبايعه ، فقد سمعنا فيه من رسول الله ﷺ ما سمعنا ، فقال : أنشدك الله في الأسلام وأهله ، لأن فعلت ذلك لتكونن قيصرية وكسروية ولينتظرن بها الجنين في بطن المرأة ، فلم يقبل قولي فذهبت إلى عمر فلقيته ، فقلت له : ألله ألله في الأسلام ، إني لقيت أبا بكر وهو ينتظر علياً ، وقال كذا وقلت كذا والله لئن فعلتم ذلك هذا لينتظرن بهـا الجنين في بطن المرأة ولتكونن قيصرية وكسروية ، قال : وخف معي عمر وكان أبو بكر لا يكاد يخالفه فما زال يفتـل منه في الذروة والغارب حتى أخذ بيده وسار إلى سقيفة بني ساعدة وكان ما علمه الناس .

وروي أنه لمـا بويـع أبو بكر تخلف عن البيعة علي عليه السلام وسائر بني هاشم ، وطلحة والزبيـر ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي وبريده الأسلمي ، وسعد بن عباده وابنه قيس ، وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وسهل بن حنيف ، وأبي بن كعب ، والمقداد بن الأسود وقيل كان فيمن تخلف عبد الله بن مسعود وحذيفه بن اليماني ، وأنه كسر سيف الزبير ، وضرب ووجي عنق سلمان ، وخرج سعد بن عباده إلى الشام حتى مات بها كما تقدم ذكره .

وروي أن العباس رضي الله عنه قال لعلي عليه السلام أمدد يدك أبايعك فيقال عم الرسول ﷺ بايع ابن أخيه . فلا يختلف عليك إثنان ، فقال علي عليه السلام : لو كان عمي حمزة حياً وأخي جعفر باقياً .

وقد رويت عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وغيره كلمات في هذا الشأن تدل على تألمه وتظلمه مما كان . وأنه إنما أغضى مخافة انشقاق عصا المسلمين وافتراق كلمتهم وما يؤدي إليه ذلك من قوة شوكة المرتدين وظهور نفاق المنافقين . وانهدام قواعد الدين .

ورأى أمور المتقدمين عليه جارية على السداد هادية سبل الرشاد إلى أن حدث ما حدث في الإسلام من تغير الأحكام واختلال النظام .

فقام بالأمر حين تضيق عليه القيام وجاهد في الله حق جهاده ، حتى ورد مشرع الحمام وشايعه على ذلك كل سميدع همام من المهاجرين والأنصار الجحاجحة الأعلام والتابعين بإحسان من أفاضل الأنام قدس الله أرواحهم جميعاً في دار السلام .

والضمير في « بهـا » عائد إلى« الأنباء » و « الهينمة » « وإذ » للظرفية ، والضمير في « يراعيهـا » عائد إلى أعلام وفي « تراعيه » عائد إلى شرع ، والمراعاة المراقبة أي يراقب تلك الأعلام ويحافظ عليها من يراقب الشرع الشريف ويحافظ عليه والله أعلم .

* (حتّي إذا انتُهِكَت أَحكَامُهُ وعَفَت
أَعْلاَمُهُ قَامَ بالأَرْوَاحِ يفْدِيْـهِ) * ١٢٨

* (مِنْه وَمِنْ شِيْعَةٍ مَعْه ومِنْ عقبِ
سَالَتْ على أَشلٍ أَنفَاسُهمْ فِيْـهِ) * ١٢٩

أشل

لما أفضى الأمر إلى عثمان بن عفان غلب عليه جماعة من أهل بيته ومن يتعلق بـه من لا خير فيهم .

كمروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ وابن طريده والوليد بن عقبه بن أبي معيط الذي سماه الله ، فاسقاً ، في قوله تعالى « إن جاءكم فاسق » الآية وكان مدمـن خمر حتى روي أنه أم بالناس في الصلاة وهو سكران .

وكعبد الله بن أبي سرح الذي ارتد عن الأسلام وأهدر دمه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وأمثالهم ممن لاحظ لهم في الدين ، فولاهم عثمان الولايات وأقطعهم الإقطاعات ، ولم تزل تصدر عنهم الأفاعيل المنكرات وما زال الصحابة يعاتبون عثمان في شأنهم خصوصاً علي عليه السلام ، ويعدهم عثمان بالعتبى فلما طالت تلك الأمور وضاقت بها الصدور تداعى عليه جماعات من العراق ومن مصر ومن غيرهما فحاصروه في داره بالمدينة وطلبوا منه أن يعتزل الأمر فامتنع حتى انتهى الحال إلى أن تسور عليه جماعة منهم فقتلوه ، وقد كان علي عليه السلام عرض عليه أن ينصره ويدافع عنه ، فاستعفاه من ذلك ، ولم يكن يظـن أنه يقتل .

ولما كان عقيب ذلك انثال الناس من المهاجرين والأنصار وسائر أهل الأقطار على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وهو معتزل في بيته ، مغلق عليه بابه ، فطلبوا منه البيعة ، وبذلوا لـه النصرة فرأى عليه السلام أنه لم يبق له عذر في ترك القيام بالأمر .

كما روي عنه أنه قال : لولا حضور الحاضر ووجوب الحجة بوجود الناصر . لألقيت حبلها على غاربهـا ، ولسقيت آخرها بكأس أولها . ونحو ذلك .

فأجابهم إلى البيعة امتثالا لأمر الله . وغيرة على دين الله . فأقام قناة الأسلام . وأدار رحى الأحكام على قطب الأحكام ، وسار في الرعية سيره أخيه سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وأجبرهم جميعاً على منهاج العدل ، وقضى بينهم بالقضاء الفصل ، فسلك بهم مضيقاً . فلم يدع له الحق صديقاً ، فنكث الناكثون ، وقسط القاسطون ، ومرق المارقون كما تقدم ذكر طرف من ذلك .

فلم يزل عليه السلام يجر الجحافل وينشر القساطل ، ويروي الأسل والمناصل ، من دماء حزب الباطل ، ويوقع بالمخالفين الوقائع التي تشخص لها أبصار الأبطال ، ويشيب منها رؤوس الأطفال ، إلى أن ختم الله له بالحسنى وزيادة واختار له المصير إلى دار السعادة ، فاغتاله عدو الله عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله في الدنيا والآخرة المرادي الخارجي شقي الأمة بنص الصادق المصدوق رسول الله ﷺ .

كمن لـه ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان الكريم سنة أربعين ، فضربه بسيف مسموم على هامته عند خروجه إلى صلاة الصبح بمسجده بالكوفة ، ثم مات عليه السلام من تلك الضربة بعد ثلاث ليال .

وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأصح ، وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً وصلى عليه ابنه الحسن عليه السلام ، ودفن سحراً ، .

وأما عدو الله ، ابن ملجم فقبض عليه ، وأمر علي عليه السلام أن يطعم ويسقي وقال : إن عشت فأنا ولي حقي وإن مت فشأنكم

وحقكم ، فلما مات عليه السلام ، قتل الملعون وعجل الله بروحه إلى النــار .

ثم قام بالأمر ، مولانا أمير المؤمنين الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، وسيد شباب أهــل الجنة ، فبايعه الناس وأظهروا الجد معه والنصيحة ، ثم خذله أكثرهم ، ومالوا إلى الدنيا ، وراسله معاوية في الصلح ، فصالحه لما رأى في ذلك من المصلحة على شروط لم يف له بها .

ثم مات عليه السلام مسموماً شهيداً بالمدينة ، ودفن بالبقيع سنة خمسين على قول الأكثر ، وكان ولادته في شهر رمضان سنة ثلاثة من الهجرة على الأصح .

ثم قام بعده أخوه أبو عبد الله أمير المؤمنين الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ وريحانته وسيد شباب أهل الجنة ، بويع له في الكوفة عقيب موت معاوية ، فلمــا خرج إليها وقرب منها أخلفه أهلهــا ، وتلقته عساكر اللعين يزيد على يد اللعين عبد الله بن زياد بالطف مـن كربلاء بين الكوفة والحلة من أرض العراق فقتله سنان بن أنس الخثعمي لعنه الله ، وقيل شمر بن ذي الجوشن لعنهم الله جميعاً ، وذلك يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، وكان مولده في شعبان سنة أربع .

وكانت علقت به أمه فاطمة الزهراء عليهــا السلام ، بعد ولادة أخيه الحسن بخمسين ليلة قدس الله أرواحهم في الجنة ولعن أعداءهم . .

ثم لم يزل من ذريتهما الطاهرة في كل وقت من يدعو إلى سبيل

الرشاد ، ويرفع راية الجهاد . ويجر الأجياد ، ويجاهد أهل العناد ، ويحسم مواد الفساد ، كما هو معلوم مشهور ، وفي كتب التاريخ مزبور مسطور .

نجوم سماء كلما انقض كوكب بدأ كوكب تأوي إليه كواكبه

وإلى ذلك أشار الأمام عليه السلام بقوله : يا سيد الرسل الأبيات .

فصل

في ذكر طائفة الحق الباقية وفرقة الإسلام الناجية

* يا سَيِّدَ الرُّسْلِ إنَّا مَعْشَرٌ خُشُنٌ

في دِينِكَ الصِّدْقِ نُحْيِيْهِ وَنَحْمِيهِ) * ١٣٠

* (مِنْ آلِ سِبْطَيْكَ لاَ تَنْفَكُّ طَائِفَةٌ

مِنَّا عَلَى الحَقِّ نخْزِيْ مَنْ يُنَاوِيْهِ) * ١٣١

* (وَلاَ تَزَالُ على أكتافِنَا خُذُمٌ

تُبِيد خَضْراءَ قَوْمٍ لاَ تراعِيْـهِ) * ١٣٢

الخذم السيوف القاطعة ، وتبيد بمعنى تهلك ، ويقال : أباد الله خضراءهم أي سوادهم ومعظمهم .

أشار الأمام إلى الحديث في الولاة للذي من معناه « فان لم يستقيموا لكم » يعني على الحق ، « فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم أبيدوا خضراءهم ، فا ٕن لم تفعلوا تكونوا رواغين أشقياء »

أخرجه الطيالسي والطبراني من حديث ثوبان رفعه ورجاله ثقات وفيه انقطاع لكن له شاهد في الطبراني من حديث النعمان بن بشير بمعناه ، والمراد بالخشونة في البيت الأول ، التصلب في دين الله عز وجل ، وفي وصف الدين بالصدق مبالغة ، كما في قولهم ، رجل عدل ، والسبط ، ولد الولد ، والمناواة ، المباعدة للعداوة ، والمراعاة ، المراقبة ، وقول الإمام عليه السلام : من آل سبطيك ، إشارة إلى قول النبي ﷺ « للحسن والحسين سبطان من الاسباط » أخرجه الترمذي وابن ماجه ،والحاكم من حديث يعلى بن مرة ، وقوله طائفة منـا إشارة إلى الحديث المشهور الآتي « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين » الخبر ورواه عمر ان بن حصن وثوبان وعقبه بن عامر والمغيرة وغيرهم اهـ .

١٣٢ * مِنَّا خَلِيفَةَ حَقٍّ مَنْ تَكونُ لَه
شُرُوطُ شَرْعٍ بِالاستخلافِ تُمليهِ) *

مذهب أئمة أهـل البيت عليهم السلام ، أن الائمامة لا تصح إلا في أولاد الحسين عليهم السلام بالإجماع على صحتها فيهم ، ولا دليل على صحتها في غيرهم ، وشروط الإمامة معروفة ، ومعنى تعليه تصيره علياً أي حقيقـاً بالاستخلاف ، وقوله : من تكون له إلى آخره . بدل من خليفة حق .

* (فَنَحنُ طَائِفَةُ الْحَقِّ الَّتِي وَرَدَت
فِيْها الأَحَادِيثُ مِمَّا الكلُّ يَرْوِيهِ *)

عن ثوبـان قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال طائفة من أمتي

ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ، وأخرجه أبو داود في جملة أحاديث ، وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم « لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » وفيه روايتان نحو ذلك ، وفي حديث أخرجاه « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله . لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « لا يزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق من ناوءهم ، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال » أخرجه أبو داود ؛ وعن أبي هريره : أن رسول الله ﷺ قال : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو إثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » أخرجه الترمذي ، ولأبي داود نحوه .

وفي حديث أخرجه أبو داود « ألا إن من أهل الكتاب افترقوا على إثنتين وسبعين ملـة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، إثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة » وفي حديث أخرجه ابن عمر بن العاص « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملـة كلها في النار إلا ملـة واحدة » قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال « : من كان على ما أنـا عليه وأصحابي » اهـ .

والدليل على أن الطائفة المحقة الباقية ، والفرقة الموفقة الناجية هم أهل البيت عليهم السلام ، ومن أتبعهم ما أشار إليه الأمام عليه السلام في قوله :

١٣٥ * (تركْتنا معْ كِتابِ اللهِ جلَّ إلى الـ
حوْضِ الَّذي لِمُوالِينــا يُروِّيْهِ) *

١٣٦ * (سفِينةُ اللهِ تُنْجِيْ منْ يلُوذُ بِها
وَمن تَخَلَّفَ ، في النِّيرَانِ تَهْوِيهِ) *

١٣٧ * (وَنُورُكُم أَيُّهَا الأَشْبَاحِ صَارَ بِنا
وَهْوَ الَّذِي آيَةُ التَّطْهِيرِ تَعْنِيهِ *)

١٣٨ * إِجْمَاعُنَا حُجَّةُ الإِجْمَاعِ وَهْوَلَــهُ
أَقْوَى دَلِيلٍ عَلىٰ مَا العِلْمُ يُنْبِيهِ) *

أشار عليه السلام في البيت الأول إلى نحو ما أخرجه الترمذي من حديث زيد بن أرقم : قال قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم مـا أن تمسكتم بـه لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهـل بيتي ، لن يفترقا حتى يبردا علي الحوض ، فأتظروا كيف تخلفوني فيهما » وفي حديث أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم قال : « قام رسول الله ﷺ فينـا خطيبنا بمـاء يدعى خماً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثني عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : « أما بعد : ألا أيهـا الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، ألا وإني تارك فيكم ثقلين ، أولهمـا كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا بـه . فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل

بيتي ، وأذكركم الله في أهل بيتي » فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهـل بيتـه ؟ فقال : نساؤه من أهل بيته . ولكن أهل البيت من حرم الصدقة بعده ، الحديث .

وفي رواية : فقلنا من أهل بيته نساؤه ؟ قال : لا ؛ أيـم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها ، فترجع إلى أبيها وأمهـا وأشار عليه السلام في البيت الثاني إلى الحديث المشهور ، « أهل بيتي كسفينة نوح . من ركبها نجـا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى » وقد تقدم ذكر حديث الأشباح ، وآية التطهير ، ووجه الدلالة في جميع ذلك ظاهر ، لأ ن النبي ﷺ أخبر في الحديث الأول بأن أهـل البيت لن يفارقوا كتاب الله ولا يفارقهم ، ومن كان كذلك فهو المهتدي الناجي المحـق كما لا يخفى ، و وجه الدلالة في البيت الثاني أظهر لأنه شبههم بسفينة نوح ، ومعلوم أنه لم ينج من قوم نوح إلا من ركب سفينته ، وكذلك لا ينجو من أمة محمد ﷺ إلا من اتبع صالحي عترته ، وإلا لم يكن للخبرين المذكورين فائدة ولا معنى .

وقول الإمـام عليـه السـلام : حديث « أهـل بيتي كسفينة نوح ، أخرجـه الحاكم مـن وجهيـن عن أبي ذر . ولفظـه سمعت رسول الله ﷺ يقول « مثـل أهـل بيتي فيكـم مثـل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجـا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى ، ومثل حطة لبني إسرائيل » وفي الوجه الآخر بدون قوله « ومثل حطه » إلى آخره ، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الصغير والأوسط من غير طريق وأبو نعيم كذلك ، وأبو يعلى عن أبي ذر أيضاً والبزار وابن المغازلي أبو الحسن وزاد

« ومن قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال » ، وأخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبزار وغيرهم . عن ابن عباس وغيره وأخرجه ابن المغازلي عن سلمة بن الأكوع وأخرجه البزار عنه ، ورواه الطبراني في الصغير والأوسط أيضاً عن أبي سعيد الخدري ، وهذا ما ذكره السمهوري في كتاب جواهر العقدين وفي هذه زيادة « مثل حطه » وغير ذلك مما يؤكد المعنى المشترك في الكل وكيف ترى من يضعف هذا الحديث وله هذه الطرق من رواية غير أهل البيت ، وإذا ضمت إلى رواية أهل البيت الحقت المعنى بالمتواتر قطعاً وكذلك حديث الحوض ، أخرجه أهل البيت عليهم السلام بطرق كثيرة وأخرجه غيرهم في قصة رجل كان يسمى معاوية بن خديج كان يسب علياً عليه السلام عند معاوية بن أبي سفيان ، فقال له الحسن بن علي عليهما السلام : إياك وبغضنا ، فإن رسول الله ﷺ قال : « لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار » أخرجه الطبراني ، وفي الطبراني أيضاً أن الحسن بن علي عليهما السلام قال : انت معاوية بن خديج فسكت فلم يجبه ثلاثاً ، قال : أنت الساب علياً عند ابن آكلة الأكباد ؟ أما لئن وردت على الحوض لتجدنه مشمراً حاسراً عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله ﷺ قول الصادق المصدوق ، وفي رواية الطبراني أيضاً عن علي بن أبي طلحة مولى بني أمية في قصة معاوية بن خديج نحو ما تقدم ، ورواه بطريقين أحدهما رجالها ثقات وإن كان بعضهم قال لا يعرف علي بن أبي طلحة فرواية الثقات عن المجهول تعريف له ولاسيما إذا احتف به الثقات من خلف وأمام ، مع

أن الثقة قد عرفه بأنه مولى موالي بني أمية والحق ما شهد به العدو ، وقد أخرجه الطبراني أيضاً عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يا علي ، معك يوم القيامة عصي من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض » ولأحمد بن حنبل في المناقب من حديثه يعني أبي سعيد الخدري أيضاً مرفوعاً « أعطيت في علي خمساً هن أحب إلي من الدنيا وما فيها أما واحدة فهو تكائي [1] بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من الحساب ، وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته ، وأما الثالثة فواقف على عقر حوضي يسقي من عرف من أمتي » الحديث [2] . وفي قصة فيها كرامة باهرة لمحمد الباقر بن علي بن أبي الحسين زين العابدين وفي آخر القصة من قوله عليه السلام :

نحن على الحوض رواده　　نذود ونسعد وراده
فمن فاز ما فاز إلا بنا　　وما خاب من حبنا زاده
فمن سرنا نال منا مناه　　ومن ساءنا ساء ميلاده
ومن فاتنا غاصباً حقنا　　فيوم القيامة ميعاده

ولبعضهم :

بأيدهم سقي الأنام لدى الظما ، فزمزم في الدنيا وفي الحشر كوثر

وذكر الكفار والمنافقين في هذه الأحاديث وغيرها تدل على أن مبغضي علي عليه السلام وأهل بيته ، من الكفار والمنافقين وهو مقتضى الحديث الصحيح « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا

(١) التكاء ما يتكأ به .

(٢) تمام الحديث وأما الرابعة فساتر عورتي ومسلّمي إلى ربي . وأما الخامسة فلست أخشى أن يرجع زانياً بعد إحصان ولا كافراً بعد إيمان ، انتهى .

منافق » وهذه الأحاديث وغيرها تبطل من تأويل المنافقين بغير ظاهر النفاق لتوعدهم هنا بالنار وجمعهم مع الكفار في البوار ، مثل حديث الأعمش في حق أبي موسى الأشعري وقوله في حقه وحق عبد الله بن مسعود ، « أحدهما منافق » ثم أخذ يطري بمدح عبد الله بن مسعود ليصرف الآخر المتهم إلى أبي موسى الأشعري .

وهو مقتضى قول الإمام أحمد بن حنبل حين سئل عن الحديث المشهور إن علياً قسيم الجنة والنار ، فقال : وما تنكرون من هذا الحديث ؟ وهو معنى قوله ﷺ « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق » اهـ .

وقول الإمام عليه السلام « ونوركم أيها الأشباح صار بنا » البيت، فيه إشارة إلى أن المراد بآية التطهير الخمسة الأشباح ونسلهم بدليل قوله ﷺ في الخبر المتقدم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ونحوه فإنه يدل على استمرار ملازمة أهل البيت عليهم السلام لكتاب الله تعالى وعدم افتراقهما إلى آخر أيام الدنيا فلو لم يكن المراد بأهل البيت إلا الخمسة لما صدق الخبر المذكور ونحوه إذ المقصود بملازمة كتاب الله تعالى والعمل به ولا يتصور ذلك في حق الميت لارتفاع التكليف عنه كما لا يخفى ، والمراد بالتطهير في الآية الكريمة إنما هو التطهير من درن الذنوب والأوزار وذلك هو معنى العصمة وهي اللطف الذي تترك عنده المعصية لا محالة وليس المراد بالطهارة من الآصار البدنيــة ، بمعنى أنه لا ينجس منهم شيء ، منها لأن الاجماع منعقد على أنه ينجس منهم ما ينجس من غيرهم من الفضلات عدا رسول الله ﷺ فلو لم تحتمل الآية على التطهير من الذنوب لخلت عن الفائدة .

ثم إن العصمة لمن بعد الخمسة عليهم السلام من نسلهم المطهرين ، إنما يثبت لجماعتهم للعلم بصدور الخطأ والعصيان من بعض آحادهم فتعينت العصمة لجماعتهم بمقتضى هذه الآية الكريمة والخبرين السابقين .

وقول الامام عليه السلام « إجماعنا حجة الإجماع » البيت إشارة إلى إقامة دليل على حجة الاجماع وتحريره ، أن إجماع الأمة يتضمن إجماع أهل البيت عليهم السلام ، إذ هم بعض الأمة بل سادتهم وخيرهم ، وقد ثبت أنهم جماعة معصومة بدليل الآيات والأخبار السابقة المتواترة معنى وفي تجويز الخطأ على الأمة تجويز الخطأ على أهل البيت عليهم السلام ، وذلك ينافي العصمة التي قد ثبتت لهم .

ولا يخفى على المنصف أن هذا الدليل أقوى من سائر الأدلة في كتب الأصول كالاستدلال بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين » الآية ، ونحو قوله ﷺ « لا تجتمع أمتي على ضلالة » .

ولكونهم أجمعوا على تخطئة المخالف للاجماع ، ومثلهم لا يجمع على القطع بتخطئته في شرع إلا عن دليل قاطع لما في هذه الأدلة ونحوها من المناقشات وما يرد عليها من الاعتراضات على ما هو مقرر في موضعه في كتب الأصول .

وتحرير دلالة آية التطهير على العصمة مع ما سبق ذكره هو أن الله عز وجل أخبر عن نفسه وهو أصدق القائلين (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وإرادته تعالى لما هو من فعله لا يتأخر عن مراده إذ الإرادة المتقدمة على

الفعل عزم ، وفائدته توطين النفس وذلك لا يجوز على الله عز وجل فإذا أخبر سبحانه بأنه يريد شيئاً من فعله قطعت بحصول ذلك الشيء المراد كما هو مقرر في موضعه من كتب الكلام والله أعلم .

١٣٩ * (هٰذَا وَإِنِّي بِذِكْرِ الطُّهْرِ حُزْتُ عَظِيمَ
الذِّكْرِ لِلهِ مُعْلِيهِ ومُسْنِيهِ) *

قوله عليه السلام هذا وإني من الاقتضاب القريب من التخلص قال بعضهم : هو من فصل الخطاب الذي هو أحسن موقعاً من التخلص ، ولفظة هذا مبتدأ محذوف الخبر ، أو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كما ذكر والأمر هذا والواو التي بعده للحال والمراد بالطهر ، رسول الله ﷺ تسمية بالمصدر للمبالغة كما في قولهم رجل عدل ورخاء .

والمعنى أن من ذكر الرسول فقد ذكر الله ، كما أنه من يطع الرسول فقد أطاع الله عز وجل ، والضمير في معليه ومسنيه ، راجع إلى الطهر والله أعلم .

١٤٠ * (يَا رَبِّ فَاجْعَل مَدِيحِي فِيهِ أَنْجَحُ مَا
بِهِ يَنَالُ مُرَجٍّ مَا يُرَجِّيهِ) *

الفاء جواب شرط محذوف دل عليه البيت السابق ، أي يا رب إذا كان الأمر كذلك فاجعل الخ. وأنجح . ها هنا فعل تفضيل وهو إما من نجحت الحاجة إذا انقضت . وإما من قولهم انجح الرجل إذا ظفر بمطلوبه . ويكون على مذهب سيبويه في جواز بناء فعل التفضيل من الرباعي بالهمزة كما في قولهم : هو أولاهم للمعروف ، وأعطاهم للدينار والدرهم

فصـــلٌ

الدعـــاء في الختام

* (وَإِنَّ عَبْدَكَ يا رَحْمانُ يَسْئَلُكَ الْ
قَبُولَ وَالعَفْوَ وَالتَّوفِيقُ تُؤتِيهِ) * ١٤١

قوله عليه السلام : وإن عبدك من وضع الظاهر موضع المظمر للاستعطاف بذكر العبودية ، وكان مقتضى الظاهر أن يقول وإني وإنما عدل عنه لما في ذكر العبودية من الخضوع الذي بـه يستجلب الرحمة ويستحق الإجابة ، ثم بالغ عليه السلام في الإستعطاف واستنزال الرحمة بتعقب ذلك بقوله : يا رحمان وتخصيصه هذا الإسم الشريف الذي لم يسم به غير الباري عز وجل بالنداء من بين سائر أسماء الله سبحانه لما كان معناه ـ البليغ الرحمة المتناهية ـ فوقع موقعاً لا تفي لشرحه العبارة ولا تحيط بكنهه الاشارة ، ومثل ذلك لا يصدر إلا عن تنوير وإلهـام من اللطيف الخبير ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله على كل شيء قدير ؛ والتوفيق في اصطلاح المتكلمين ، هو اللطيف الذي يفعـل المكلف عنده الطاعة ، والضمير في تؤتيه ، راجع إليه :

* (وَعِصْمَةً مِنْكَ يَا ذَا الطَّوْلِ مَانِعَةً
مِن كُلِّ ذَنْبٍ مِنَ النِّيرَانِ تَحْمِيهِ) * ١٤٢

العصمة في اصطلاح المتكلمين هي اللطف الذي يترك المكلف عنده المعصية ، والطول ـ الفضل والزيادة ـ يقال لفلان على فلان طول ، أي فضل وزيادة ، وفي الصحاح أنه المن ، يقال طال عليه وتطول إذا أمتن عليه ، ومن الأولى متعلقة بمانعة ، والثانية ، بتنجيه .

١٤٣ * (وَنُصْرةً لَكَ مِنَّا يَاعَلِيمُ كَمَا
يَكُونُ مِنْكَ لَنَا نَصْرٌ تُوَالِيهِ) *

قوله عليه السلام ، ونصرة ، عطف على القبول وما بعده ، وفي البيت إشارة إلى معنى قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) وفي قوله : يا عليم ، توسل من الامام عليه السلام إلى الباري تعالى في طلب النصر منه ، بما يعلمه سبحانه من إرادة الامام لنصرة دينه واستفراغه الوسع في ذلك فهو في حسن موقعه ، قريب من قوله عليه السلام في البيت السابق : يا رحمان ، وفي البيت من صنعة البديع النوع المسمى بالعكس والتبديل ، وهو أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت ، وتؤخر ما قدمت اهـ .

١٤٤ * (أَسعِدْ وأَرشِدْ وسَدِّدْ وَارْعَ وَاكْفِ وَزِدْ
أَمْدِدْ وأَيِّدْ عَلَى كُلِّ نُنَاوِيـــــــهِ) *

هذا النوع من البديع يسمى تفويفاً من قولهم برد مفوف إذا كان على لون فيه خطوط بيض بالطول . وقد ذكره السكاكي وغيره ، وحاول سعد الدين رده إلى غيره من أنواع البديع . فلم يتم له

ذلك ، والمناوءة . المباعدة مفاعلة من النوى الذي هو البعد .

* (وَهَبْ لَنَا رَحْمَةً يَا رَبِّ شَامِلة
لَنَا جَمِيعاً وعَنَّا السُّوءَ تَنْفِيـــهِ) * ١٦٥

* (وَفِي دُعَاءِيَ أَولادِيَ كَذَا سَلَفِـــي
وَإِخْوَتِيْ وَكَذَا أَشْيَاعُنَـــا فِيــهِ) * ١٦٦

* (وَالمُسْلِمُونَ فَسَعْنَـــا يَا كَرِيْمُ بِجُو
دِ مِنْكَ يَا وَاسِـعَ الإِنْعامِ تُرْبِيهِ) * ١٦٧

فاعل تنفيه أما ضمير الرحمة ، وأما ضمير رب ، وقوله أشياعنا فيه ، أما أن يكون حرف الجر متعلق بأشياعنـا والضمير المجرور لله عز وجـل وإن لم يجر له ذكر لحضوره في قلب كل موحد وعدم التباسه بغيره أي أشياعنـا في الله عز وجل ، وأما أن يكون الكلام مبتدا وخبراً أي وكذا أشياعنا داخلون فيه ، أي في الدين ، وهو الأقرب ، ومعنى تربيه ، تكثره وتضاعفه ، والضمير راجع إلى جود .

وقد خص وعم الامام الأواب في هذه الثلاثة الأبيات بدعائه المجاب الذي ليس لمثله دون الله حجاب ، وذلك مقتض أعراقه للزكية وأخلاقه النبوية ، وشفقته على الرعية . أجزل الله جزاءه وتقبل دعاه وأطـال بقـاه ونصر لـواه وأدر عليه آلاه ، وهذا دعاء للبرية شامل .

فصــل

في بيان الأدب في إستعمال الحمد والصلاة بعد البسملة في أول كل أمرٍ ذي بال وفي أثنائه وخاتمته .

١٤٨* (وَالْحَمْدُ للهِ في صَدْرِ الْمقَالِ وَفِي الـ
خِتَــامِ مِنْهُ وَفِي الأَثْناءِ نُنْشِيْــهِ) *

قال الامام عليه السلام في حقيقة الحمد ما لفظه : تحقيق حقائق الحمد والمدح ، والشكر ، أن الحمد هو الثناء الحسن ، والوصف الجميل على الفضائل ، وهي الصفات الحميدة ، والفواضل ، وهي النعم المفيدة ، كل ذلك مما يكون بالاختيارية مثل فضيلة العلم والسخاء والشجاعة ونحوها ، وفواضل العطاء والاحسان وصلة الرحم ونحو ذلك ، ولا يكون على غير الاختيارية مثل حسن الوجه ، وتمام الشكل ، وبهاء الجبين ، وكمال التقويم ونحو ذلك ، والمدح يكون في كل من الأوصاف الاختيارية وغيرها ، فكل حمد مدح ولا عكس .

ولا يرد على هذا ما أورده بعض متأخري المفسرين من أنه يلزم منه ألا يصح إطلاق الحمد على صفاته الذاتية ، لأننا نلتزم ذلك فنقول يمدح الله بصفاته الذاتية ولا نقول أنه يحمد عليها بمقتضى وضع اللغة العربية كما لنا أن نقول : أنه يحمد سبحانه ، ويمدح على الفضائل الاختيارية وغيرها ، ولا يصح أن الشكر له تعالى عليها بأن الشكر مختص بأنه لا يكون إلا على الفواضل ،

وهي النعم المسداة إلى الغير وهو أخص في المدح من جهة السبب ، وإن كان أعم منها من جهة المورد لأن مورده يكون اللسان والجنان والأركان ، والحمد والمدح لا يكون إلا باللسان ، فبينه وبينها عموم وخصوص من وجهه ، وهما فيما بينهما عموم وخصوص من كل جهة ، لأن المدح أعم من الحمد من كل وجه ، والحمد والمدح أخوان كما قال في الكشاف من حيث كان كل حمد مدحاً ، ولم يكن كل مدح حمداً بخلاف الشكر ، فإنه لا يقال كل حمد شكر ولا كل شكر حمد ولا مدح بل الحمد كما قال في الكشاف إحدى شعب الشكر من جهة المورد فالأخوة بين المدح والحمد أقرب .

فليتأمل فإنه تحقيق لم يسبق إليه ، وإن كان قد حام كثير من متأخري محققي المفسرين والشراح عليه والله أعلم .

* (حمداً جزيلاً جميلاً لا كِفَاءَ لَهُ
إلاَّ جَلاَلَ إلٰهِ الْعَرشِ مُعْطِيـهِ) * ١٤٩

* (كذا الصَّلاةُ عَلَى المُخْتَارِ دَائمَةً
وآلِهِ مَا شَدا فِي الأَيْكِ شَادِيْـهِ) * ١٥٠

هذا الختام مما لم يسبق الأمام عليه السلام إلى مثله ، وذلك لما اشتمل عليه من فصاحة الألفاظ ، وجودة المعاني ، وحسن السبك

والايذان بالانتهاء والارشاد إلى الأرب في استعمال الحمد لله تعالى ، والصلاة على نبيه ﷺ في إبتداء الكلام وأثنائه وخاتمته ، وغير ذلك مما يقصر الافهام عن إدراك غايته ويقهقر الأوهام عن الترقي إلى نهايته ، وما أجدر هذا الختام الميمون بأن يتمثل في حقه المتمثلون بقول من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (ختامه مسك وفي ذلك فليتناس المتنافسون .)

وفي جامع الأصول ، عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصلي علي ، فلا تجعلوني كغمر الراكب [1] صلوا علي أول الدعاء وأوسطه وآخره » هذه الرواية ذكرها رزين ، وأخرجه الترمذي موقوفاً على عمر ، وقال في آخره حتى يصلى على نبيك ﷺ ، وعن فضاله بن عبيد قال : سمع النبي ﷺ رجلا يدعو في صلاته ، فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد ذلك ما شاء » وفي رواية قال : بينما رسول الله ﷺ قاعداً إذ دخل عليه رجل فصلى فقال : اللهم أغفر لي وارحمني ، فقال رسول الله ﷺ « عجلت أيها المصلي ، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم ادعه » قال : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك ، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « أيها المصلي ادع تجب » أخرجه الترمذي .

---

(١) قال في القاموس غمر كصُرَدْ : قدح صغير أو أصغر الأقداح .

وفي رواية أبي داود ان النبي ﷺ سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى ، ولم يصل على النبي ﷺ . فقال النبي « عجل هذا ، ثم دعاه فقال له أو لغيره ، إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ويصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء » .

قال الامام عليه السلام : الصلاة على النبي ﷺ المطلوبة من الله سبحانه . والمشروعة على المكلفين مخصوصة بأنها بمعنى الاجلال والتعظيم الذي يحق للأنبياء عليهم السلام ، على حسب مراتبهم فلا يليق إطلاقها بلفظ التعظيم بها إلا على الرسول ﷺ بخلاف الصلاة بمعنى الدعاء بالرحمة من الله تعالى ، فانها ترد من الله سبحانه من المكلفين لغير الأنبياء كقوله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » ، وقول النبي ﷺ : « اللهم صل على أبي أوفى ، وصلت عليكم الملائكة » .

وإلحاق الآل بالنبي ﷺ من تمام الصلاة علية ، التي هي بمعنى الاجلال والتعظيم ، فلا يجوز إطلاقها على الآل جملة أو على واحد منهم أو جماعة على سبيل الاستغلال ، لأن النبي ﷺ طلب من الله سبحانه أن يكون من تمام الصلاة عليه إلحاق آله به كما ألحق آل ابراهيم به في الصلاة عليه ، فلا يكون التشبيه بالصلاة على إبراهيم لكونها أفضل من الصلاة على محمد ﷺ لما أشرنا إليه من أنه لم يطلب إلا إلحاق آله به كابراهيم ، وإذا ذكر أحد من أئمة آل محمد ﷺ باسمه بعد ذكر الصلاة على النبي ﷺ تبعاً فلا بأس به ويكون من باب الخصوص بعد العموم ، كقوله تعالى : وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل .

وللصلاة على النبي ﷺ واجبة في الصلاة المكتوبة على مذهب

العترة ، والشافعي ، وجماعة من السلف وأدلة وجوبها على النبي في الصلاة قاضية بوجوب إلحاق الآل به كما هو مذهب العترة ورواية الشافعي وغيره .

وقد بينا أحكام الصلاة على النبي ﷺ ومعانيها ، والخلاف فيها ، وأول ذلك في خطبة الأثمار مبسوطاً .

وآل النبي ﷺ هم أهل الكساء وذريتهم لأن الآل هو أهل تعاقبت فيه الهمزة والهاء فلا وجه لمن قال أن الآل غير الأهل من أتباع النبي وغيرهم لأن أهل بيته قد بينهم حديث الكساء بما لا ريب فيه وأيضاً فإن آل إبراهيم هم ذريته بلا خلاف ، ومطلوب النبي ﷺ أن يلحق آله به كما ألحق آل إبراهيم به ، ومن قال أن آل النبي ﷺ أتباعه ، فما يتقحم على ذلك إلا لريح نصب فيه ، واستدلاله بنحو آل فرعون باطل لأن آل فلان إذا أطلق فحقيقته في ذريته التي تسبق الفهم إليها عند عدم القرائن ، وهذه حقيقة الحقيقة ، وإطلاقه على غير ذلك على طريق المجاز بقرائن تدل عليه ، وحديث الكساء وغيره موضح وموجب للجري على الحقيقة ومن أدخل آل المطلب فيهم ؛ كالشافعي ، فلشغفه بلحوقه بآل رسول الله ﷺ وبدلالة « نحن وبنو المطلب كهاتين » الخبر .

لكن حديث الكساء ونحوه يدفع ذلك وهو لمن ألحق قريشاً بالآل أدفع وما روي عن النبي ﷺ من أنه قال : آل محمد كل تقي ؛ فقد ذكر المحققون أنه إن صح الحديث . فمعناه كل تقي من آله نحو قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) ، ولا يحل هذا بالحاق الآل بالنبى حتى يقال إن المراد بقول من يقول : الطيبين

الطاهرين ، التخصيص فليس المراد به التخصيص هناك ، بل المدح كبسم الله الرحمن الرحيم . .

فلا يليق أن يخطر الداعي التخصيص في قلبه بل المدح ، لأن آل النبي ﷺ أفضل من غيرهم على سبيل الجملة ، وخروج الفرد منهم عن التقوى لا يخرج جملتهم عن الأفضلية ، بل ولا ذلك الفرد ، لأن الفضل هنا بمعنى أن الطاعة من الأفضل أعظم موقعاً في اللطفية من المفضول ، وهذا معنى الأفضلية من الأشخاص ، والأزمان ، والأمكنة ، والأقوال ونحوها إذا أطلقت ، وقد يوصف بالفضل بمعنى النفع الموجود في المفضل كقولك الحنطة أفضل من غيرها من الحبوب ، وهل العنب أفضل من التمر ، وقد يجيىء في الأشخاص بقرينة ، كقوله ﷺ « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » يعني في الالتذاذ والذوق بدليل التشبيه بالمطعوم اللذيذ ، وهي كناية شريفة ، فلا معنى لما ذكره ابن حزم وغيره بأن المراد بالتفضيل هنا الأعم في الأشخاص قال : لأن النبي ﷺ منزه عن ذكر أحوال النساء لأننا نقول أما مثل هذه العبارة فلا كراهة فيها ، فقد جاء عن النبي ﷺ لجابر « هلا بكرا يداعبها وتداعبه » وغير ذلك ، فعلى هذا لا يجوز أن يلحق بالصلاة على النبي وآله من مثل وأصحابه في الصلاة ، لأن ذلك ليس من تمام الصلاة على النبي وآله وسلم ومخالف لتعليم النبي ﷺ المشهور الرواية ، بل اللاحق بالمتواتر وقد ذكر جماعة من أصحاب الشافعي كما رواه الجوهري عن ابن عبد السلام ؛ وروي عن غيرهما أيضاً ، وقول من قال أنه يجوز ذلك من باب قياس الأولى ، لأن الصحابي

أفضل من الواحد من آل النبي ﷺ الذي ليس بصحابي :ليس بقول صحيح لما ذكرناه من أن إلحاق آله الأدنين بـه من تمام الصلاة عليه ، فلا معنى لذكر الأفضلية هنا ، ثم إنا لا نسلم أن الواحد من الصحابة أفضل من الواحد من آل النبي ﷺ غير الصحابة ، بل الدليل قائم على أن آل النبي ﷺ أفضل قطعاً صحابيهم وغيره وقد بسطنا في هذه الاشارات في خطبه الأثمار .

واختلف في إضافة آل إلى الضمير .

قال البطليوسي في شرح [1] ذكر أبو جعفر بن النحاس أنه لا يضاف إلا إلى الأسماء الظاهرة ولا يضاف إلى الأسماء المضمرة ، فلم يجز أن يقال صل الله على محمد وآله . قال : وإنما الصواب وأهله ، وذكر مثل ذلك أبو بكر الرشيدي في كتابه الموضوع في لحن العامة ، وهذا مذهب الكسائي وهو أول من قاله ، وأتبعناه على رأيه وليس بصحيح لأنه لا قياس يعضده ، ولا سماع يؤيده ، وقد روي أبو علي البغدادي عن أبي جعفر بن قتيبة عن أبيه هكذا ، ولم ينكره ، وروي أبو العباس المبرد في الكامل أن رجلا من أهل الكتاب ورد على معاوية ، قال له معاوية : أتجدني في شيء من كتب الله تعالى ؟ قال : إي والله حتى لو كنت في أمة لوضعت عليك يدي من بينهم ، قال : وكيف تجدني ؟ قال : أجدك أول من يحول الخلافة ملكاً والخشنة ليناً ، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم ، قال : ثم يكون ماذا ، قال : ثم يكون رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجز الأموال ويصطنع الرجال

---

(١) بياض في الأصل ، فينظر .

ويجند الجنود ويبيح حرمة الرسول ، قال : ثم ماذا ؟ قال ثم يكون فتنة تتشعب بأقوام حتى يفضى الأمر إلى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا منحوس ، فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال يعدو قاهراً وعلى من ناوءه ظاهراً ويكون بـه فريق مسترفعين قال فتعرفه إن رأيته ، قال ربما ، فأراه من بالشام من بني أمية فقال : ما أراه هاهنا ، فوجه به إلى المدينة مع ثقات من رسله ، فاذا بعبد الملك بن مروان يسعى مؤتزراً في يده طائر فقال للرسل : ها هو ذا ، ثم صاح به : أي أبو من ؟ قال : أبو الوليد قال : يا أبا الوليد إن بشرتك بشارة تسرك ما تجعل لي ؟ قال : وما مقدارها من السرور حتى تعلم مقدارها من الجعل ؟ قال : إن تملك الأرض . قال : ما لي من مال،ولكن أرأيت إن تكلفت لك جعلا أنـال ذلك قبل وقته ؟ قال : لا ، قال : فإن حرمتك أيؤخر عن وقته ؟ قال لا ، قال : حسبك ما سمعت.هكذا .

روي أبو العباس وغيره في هذا الخبر من آلك وليس منك بإضافة إلى الكاف وأبو العباس من أئمة اللغة المشهورين بالحفظ والضبط ، وقال أبو علي الدينوى في كتابه الذي وضعه في إصلاح المنطق ، تقول فلان من آل فلان وآل بني فلان ولا تقول من آل الكوفة ولكن من أهل الكوفة ، فاذا كتبت قلت من أهلـه ولا تقل من آله إلا في قلة من الكلام ، فهذا نص بأنها لغة ، وقد وجدنا مع ذلك آل في الشعر مضافاً إلى المضمر ، قال عبد المطلب حين جاء إبرهة الأشرم لهـدم الكعبة :

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

يعني قريشاً ، لأن العرب كانوا يسمونهم آل الله لكونهم أهل البيت انتهى كلام البطليوسي ، وذكر بعد هذا للكميت وغيره من شعراء العرب ومن المولدين ، ثم عقبه بتحقيق أصل همزة آل بما أشرنا إليه أولا ، تم ذلك .

وفي رواية للنسائي نحو رواية أبي داود .

وقول الامام عليه السلام حمداً جميلا منتصب على أنه مفعول مطلق ، والعامل فيه الحمد لله .

وقوله عليه السلام : لا كفاء له أي لا مثيل له ولا نظير ، والهاء في معطيه راجعة إلى الحمد لأنه إنما حصل بأقدار الله عز وجل وتوفيقه ، فهو من عطاياه السنية ومواهبه السرية ، ودائمة: يحمل الرفع على الخبرية والنصب على الحالية ، والعامل فيها ما في الجار والمجرور من معنى الفعل ، والشادي في الأصل المنشد ، يقال شدى الرجل إذا أنشد شيئاً من الشعر يمد به صوته ثم استعير للطائر إذا صاح وترنم ، والأيك الشجر الملتف ، وأحدته أيكة

انتهى والحمد لله رب العالمين .

(ملحوظـة)

وقع غلط مطبعي يسير جداً ولا يخفى على المطالع ومن ذلك :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٦	ليطفئوا	أن يطفئوا
٦	١٧	الشركون	الكافرون
١٨	٣	اسم الجامع	اسم المدرسة

انتهى إلى هنا كتاب « شرح قصص الحق » لمؤلفه القاضي العلامة محمد بن يحيى بهران رحمه الله تعالى .

وقد ذكر في خاتمة النسخة الخطية التي اعتمدناها عند الطبع بخط كاتبها القاضي العزي محمد بن حسن تقي ما لفظه :

قال في الأم المنقول منها : كان الفراغ من رقم هذا الكتاب المبارك يوم الإثنين خامس عشر شهر شوال من شهور سنة ست وسبعين وتسعمائة من الهجرة النبوية .
« قلت » وهذا يعني أن النسخة الخطية المطبوع عليها نسّخت على نسخة كتبت بعد وفاة المؤلف رحمه الله بمده وجيزة حيث أن وفاته سنة ٩٥٧ فالفرق بين وفاته وبين كتابة النسخة تسعة عشر عاماً لا غير .

ثم إن النسخة التي اعتمدنا عند الطبع هي من كتب القاضي العلامة أحمد بن حسن بن تقي بن عبد الله حاجب الثلايي رحمه الله ، تفضل بإعارتنا إياها ولده القاضي العلامة حسن بن احمد تقي حفظه الله ، ويزيد من قيمتها أنه كان القاضي احمد تقي المذكور كتب ملاحظات بخط يده على النسخة المذكورة ، وهو معروف ومشهور بالعلم والزهد والصلاح وكان حاكماً للوقف ومفتياً شرعياً في مدينة «ثلا» من أعمال « صنعاء اليمن » عرفته أيام الدراسة في هجرة ثلا وسمعت الثنا عليه من كثير منهم السيد العلامة المجتهد المحقق عبد الله بن عبد الله أبو منصّر حفظه الله ولا يعرف ذا الفضل إلا ذووه .

هذا ما أردت إيضاحه في ختام الكتاب والله أسأله أن يجزي من أعان على طبع الكتاب ونفقته وأن يسعد طلبة العلم الشريف ويكثّر سوادهم ويرزقنا وإياهم العلم والعمل به وأن يجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم ، آمين .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين ورضي الله عن صحابته الراشدين والتابعين باحسان إلى يوم الدين ، آمين .

توقيع

حرر شهر جمادى الآخره عام ١٣٩٤ هجرية — يحيى عبد الكريم بن محمد الفضيل

موافق ٨ شهر تموز سنة ١٩٧٤ ميلادية — غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

الفهـــرس

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة




منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
توزيع المكتب العالمي للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا - بناية شابت
تلفون: ٢٣١٩٣٠ _ ٢٥٥٢١٧ _ ٢٤٩٩٢٣
ص.ب: ١٣٩٠
برقياً: مكتحياة. بيروت

الثمن : ٨ ل. ل.